الغـــزو الفـــكـــري

في وسائل ثقافة الطفل المسلم

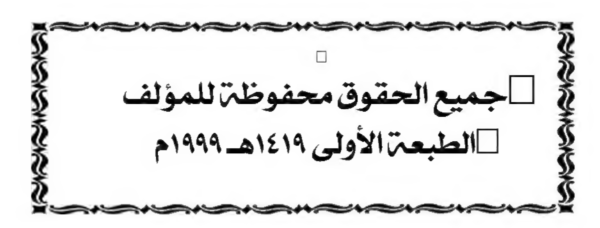
(مظاهـــره وآثـــاره)

د. إسماعيل علي

أستاذ بجامعة الأزهر



هذا الكتاب جزء من رسالة دكتوراه، من كلية أصول الدين بالقاهرة ـ جامعة الأزهر، عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.



الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م

محمد، إسماعيل علي
الغزو الفكري في وسائل ثقافة الطفل المسلم
«مظاهره وآثاره»
أ.د. إسماعيل على محمد.
ط١. ١٩٩٩م
دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر ـ المنصورة
رقم الإيداع: ٢٦٩٧ / ٩٩
الترقيم الدولي: ٣ ـ ٠١٣ ـ ٣١١ ـ ٩٧٧

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر ـ القاهرة ـ المنصورة
القاهرة . محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥ ـ المنصورة . ص.ب. : ١٦٧
e_mail : mmaggour@hotmail.com

الغزو الفكري

في وسائل ثقافة الطفل المسلم

«مظاهره وآثاره»

أ.د. إسماعيل علي
أستاذ بكلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر

دار الكلمة
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الروم: ٣٠]

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا ﷺ عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

[آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١] .

أما بعد: فإن الله تعالى قد أرسل منذ أقدم العصور أنبياء ورسلاً إلى البشر يعرفونهم بالخالق، ويهدونهم إلى صراطه المستقيم، ويأخذون بأيديهم إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، بيْد أن أهل الباطل لم يَرُق لهم أن ينتشر ضياء الحق، ويستهديَ به الخلق، ولم يطمئنوا إلى ذلك، فأخذوا على كواهلهم مهمة إطفاء نوره وإزالته، ودأبوا على مقاومة الحق ومحاربة أهله، حتى صار ديدنهم هو ما عبر عنه الله تعالى في قوله الكريم في قول ربنا عز

وجل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:٣٢] .

وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن ينشأ هذا الصراع ويشِبّ منذ وُجِد في الدنيا حق وباطل، وتاريخ الدعوات والرسالات حافل بصور شتى من هذا الصراع.

ولم يتورع خصوم الإسلام عن استخدام كل ما أتيح لهم من وسائل وأساليب في محاربة الدعوة الإسلامية ، والنَّيْل ممن آمن بها بأي شكل من أشكال النَّيْل ، وكان من أهم الأسلحة المستخدمة في كل مراحل الصراع، وأشدها ضراوة إلى الآن: سلاح الغزو الفكري ، الذي قوامه الحرب بالكلمة ، والفكرة المعادية ، والمعلومة الضالة المضللة ، فهو سلاح موجود منذ قديم الزمن ، ولكن الخصوم قد ركزوا عليه في الأحقاب الأخيرة، وعولوا عليه أكثر من قبل ، لا سيما بعد ما فشلت الأسلحة العسكرية، والمعارك الحربية في كسب وحسم الصراع لصالحهم .

ولقد خطط أعداء الإسلام لأن يجعلوا للطفل المسلم نصيبا موفورًا من حملات الغزو الفكريّ، بغية تدمير مستقبل الأمة الإسلامية، وضربها من القواعد؛ إذ الأطفال هم مستقبل الأمة، فهم شبابها في الغد، ورجالها في المستقبل، وعدتها للزمن، وإذا ما صلحت الأجيال الناشئة واستقام على هدى الإسلام أمرها، وأُشرِبت الثقافةَ الإسلامية؛ صلحت الأمة وأفلحت، وعزت وسادت، وإذا ما فسدت الأجيال الناشئة وشردت عن هدي الإسلام، وضلت الصراط المستقيم، فأبشر للأمة بالخراب والضياع، طال

الزمن أم قصر.

ومن أجل هذا وغيره سعى أعداء الإسلام إلى الحيلولة بين الأجيال الناشئة وبين هدي دينها، وتفريغها من ثقافته، وتجريدها من عقيدته، وسلخها من أخلاقه، وتنشئتهم على غير هداه، ثم حَشْوِ عقولها بالفكر المعادي للإسلام، وخططوا لاستغلال وسائل ثقافة الطفل المسلم، في هذه الحرب الفكرية الشرسة، التي هي أَضَرّ بضحاياها من الوباء المتفشي، والطاعون المستعر، فكان أن صار كثير من تلك الوسائل في مجملها روافد للغزو الفكري الثقافي ، تصب في عقل الطفل المسلم وقلبه ما أريد لها أن تحمله من سموم وتيارات فكرية معادية، تستهدف الإسلام وثقافته من كل النواحي.

الكتابة في هذا الموضوع ودواعي اختياره:

والواقع أن هناك دراساتٍ حديثةً تناولت موضوع الغزو الفكري للعالم الإسلامي، وعرضت للتيارات الحديثة، والاتجاهات الفكرية المعادية، ونحوها من التي ترمي إلى القضاء على الإسلام وأهله، واستراتيجية الصراع الحضاري بين الغرب والشرق ، والخلفية الفكرية لهذا الصراع ... ونحوها من الدراسات .

ولكن لم أجد ـ فيما يظهر لي ـ الدراسات الكافية التي تناولت الغزو الفكري الموجه للطفل المسلم بشكل مستقل، يكشف عن المؤامرة على الأمة الإسلامية في شخصه، ويرصد مظاهر هذا الغزو، ويستخلص آثاره على الأمة بعامة، والطفل بخاصة، على المدى البعيد ، والمدى القريب ، مع سبل مواجهته وتفاديه ، باستثناء كتابات يسيرة متناثرة ، لا يمكن الاكتفاء بها في سد هذه الثغرة الخطيرة .

وقد كان الذي دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع ما تراءى لي من خطورة الغزو الفكريّ ـ عامة ـ والموجه للطفل المسلم ـ خاصة ـ وما يكتنفه من تخطيط ومكر ، وقد رأيت مظاهره تفشو ، وآثاره الضارة تستفحل وتسري سريان النار في يابس الحطب ، والذين يدعون إليه يكثرون ويتسللون إلى كل مواقع ومعاقل التوجيه والتثقيف ، ويخلّفون من الآثار كتلك التي تخلفها جحافل الجراد حين تعدو على المروج الخضراء، فتحيلها خرابًا بلقعًا ، وأن كثيرين من المسلمين غافلون أو متغافلون عن هذا الخطر الماحق ، المحدق بالأمة في صورة النشء الصغير ، مع ما لاحظته من قلة أو ندرة الكتابة فيه ، وتغطيته بالقدر الذي لابد منه لمعرفة المكر الخبيث ، وكشف غاشية هذا الوباء المنتشر ، الذي أحاط بأمة يراد لها الفناء من قبل أعداء لا يرقبون فيها إلاًّ ولا ذمة .

ثم إن وسائل التثقيف والتوجيه في البلاد الإسلامية والعربية ـ والسواد الأعظم منها خاضع لإشرافنا نحن المسلمين عليها ـ ينبغي أن تكون بمثابة الحصون التي تدرأ عن الأمة أي خطر فكريّ ، وتمنح النشء حصانة ومناعة ضد الأفكار والثقافة المعادية ، هذا هو دورها المرتجى، وتلك أمانة في عنقها، فكيف إذا غدت هذه (الحصون) منطلقًا تنطلق منه كل شاردة وواردة من الأفكار المعادية ، ومباءة تتناثر منها الجراثيم الفكرية الضارة بنا وروافد للغزو الفكريّ والثقافي تتجرع منها الأجيال سمومًا فكرية تفوق في ضراوتها السموم البيضاء والسوداء على السواء ؟!

وإذْ كان ذلك كذلك؛ فقد لزم التنبيه إلى الغزو الفكري الذي يسيل من عروق تلك الوسائل لاسيما ما كان مسلَّطًا منها على الطفل المسلم، بذكر شذرات من مظاهره تاركًا استقصاءَها لمقام آخر، أو لمن يتفرغ لذلك،

فنحن بحاجة لمثل هذا، ثم بالتنبيه إلى آثاره الضارة؛ كي تتيقظ الهمم، وتتوحد الجهود من أجل مواجهته وتوقِّي شرورِه، لأننا إذا رُزِقنا اليقظةَ والتنبّهَ لهذا الخطر، فقد نجونا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة، فذلك ذلّ الأبد، والله المعافي.

وإنها لفريضة مُحْكَمة على أهل العلم، والداعين إلى الله، أن يحذّروا أهليهم وأمتهم، ويبصّروهم، وينبهوهم إلى ما يكمن لهم في الطريق من هلاك موبق ـ خاصة في عصرنا هذا الذي لم تعان الأمة من وجع مثل ما تعاني فيه ـ معذرة إلى الله ولعلهم يتقون.

وإنني إذ أقدم هذا الجهد المتواضع أسأل الله تعالى أن يعم به النفع وأن يجعله عملاً صالحًا ولوجهه خالصًا، وأن يوفقنا جميعًا لخدمة ديننا، ونفع أمتنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله رب العالمين.

أبو عمر إسماعيل علي محمد

الأحد: ٢٨ من ذي الحجة ١٤١٧ هـ

٥ من مايو ١٩٩٧م

مصر

الشرقية ـ كفر صقر ـ كفر حماد

تمهيد

في هذا التمهيد أوضح المقصود بالمصطلحات المهمة التي تضمنها عنوان البحث، وذلك على النحو التالي:

الغزو الفكري:

الغزو الفكري تعبير مجازي يقصد به محاربة الخصم، ومحاولة القضاء علي، بغير الطرق العسكرية، وسلاح هذا الغزو الرئيسي هو الكلمة، ولذلك يعبر عنه أحيانًا بحرب الكلمة.

ويمكن تعريف الغزو الفكري المعادي للإسلام بأنه: قيام أعداء الإسلام وخصومه، بمحاربته ومحاولة القضاء عليه، وإيقاف مَدّه، وإخراج المسلمين منه، أو صرفهم عن التمسك به، لإحكام السيطرة عليهم، واستغلالهم وشلّ بواعث القوة فيهم، بالطرق غير العسكرية [(١)].

الغزو الثقافي:

و "الغزو الثقافيّ" [(٢)] من المصطلحات ذات الصلة بـ "الغزو الفكريّ" ويُذكَر حيثما ذُكِر، وكلاهما يدُلّ على ما يدُلّ عليه الآخر؛ فكلاهما طَريق مِن طُرُقِ محاربةِ الخصم، ومحاولة القضاء عليه بغير قتال عسكريّ.

وهو يعني محاولةَ أعداءِ الأمةِ الإسلاميةِ السيطرةَ والتغلّبَ عليها من خلال المعارف أو الأفكار، والعقائد، والنظم، والمبادئ، والأخلاق، والتراث، واللغة، والفنون، ونحو ذلك.

الوسائل :

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع: الغزو الفكري التحدي والمواجهة، للمؤلف، نشْر دار الكلمة.

(٢) سيأتي بيان لمفهوم "الثقافة" بعد قليل.

والوسائل جمع وسيلة، ومن خلال استقراء كتب اللغة [1] نجد أن لها أكثر من معنى ، وعليه فإننا نرى مفهوم الوسائل : أنها الأدوات أو الوسائل التي يتوصل بها إلى شيء ما .

وأشير في هذا المقام إلى أن كثيرين من الباحثين يخلطون بين الوسائل والأساليب، أو يستعملونها على أنهما مترادفان، والظاهر أنهما متغايران .

فالوسيلة هي الأداة أو الواسطة ـ كما تقدم ـ، وأما الأسلوب فكما جاء في كتب اللغة [2]: هو الطريقة والفن والوجه، والطريق والمذهب، ويقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه، وغير ذلك من الدلالات.

ولعل سبب الظن بأنهما مترادفان هو دلالة كل منهما على معنى الطريقة ، ولكنهما متغايران ، فمثلاً : القصة أسلوب ، والشعر والمثل والإنشاء والخبر وغيرها ، لابد له من وسيلة يبلغ بها وينشر ويذاع من خلالها ، وقد تكون الوسيلة هي الكتاب ، أو الإذاعة ، أو التلفاز أو الاتصال الشخصي ونحوها ، وهكذا يتضح أن الوسيلة غير الأسلوب ، فالأسلوب هو طريقة حمل المعنى وعرضه ، والوسيلة هي الأداة التي بلّغ بواسطتها هذا الأسلوب .

الثقافة :

والثقافة في اللغة ، مصدر «ثقُف» ، وهذه المادة تدور في كتب اللغة

(١) يراجع على سبيل المثال: لسان العرب لابن منظور جـ ١١ص ٧٢٤ ، ٧٢٥ دار بيروت للطباعة والنشر ، الصحاح للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ٥/ ١٨٤١ دار العلم للملايين . بيروت . ط الثالثة : ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ، ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر أحمد الزاوي ٤/ ٦١٢. الدار العربية للكتاب ط الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

(٢) انظر : ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٥٩٠ ، الصحاح ١/ ١٤٩ ، لسان العرب ١/ ٤٧٣ ، أساس البلاغة للزمخشري ص ٣٠٤ . دار الفكر ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م .

حول معاني الحِذْق وتقويم المعوج من الأشياء ، والتسوية ، والتأديب والتهذيب وهكذا [١].

ولقد صار مفهوم الثقافة ذا دلالات حديثة واسعة ليس لها وجود في المعاجم العربية القديمة ، حيث صار يعني ذلك النسيج الكلي المكوَّن من المعارف أو الأفكار ، والعقائد ، والنظم ، والمبادئ ، والأخلاق ، والتراث ، واللغة ، والفنون ، الخاصة بأمة ما ، والمميزة لها عن غيرها من الأمم .

الطفل :

وجاء في معاجم اللغة أن الطفولة هي المرحلة من الميلاد إلى البلوغ ، وكذلك في كتب الفقه ، وأن بلوغ الولد يكون بالاحتلام أو الإنزال ، وبلوغ البنت يكون بالحيض أو الحبل ، وهناك اختلاف حول سن البلوغ لمن يحتلم ولمن تحيض ، والراجح أن الولد والبنت إذا بلغ كل منهما سن الخامسة عشرة يعد بالغًا مكلفًا [٢].

وسائل ثقافة الطفل المسلم :

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن أقرر أن المقصود بوسائل ثقافة الطفل: الأدوات أو الوسائط التي يتم من خلالها توصيل الثقافة للطفل أو تقريبها إليه، أي يتم من خلالها نقل العلوم والأفكار، واكتساب المعارف والخبرات التي تؤثر في تفكيره ومعتقداته وأخلاقه وعاداته ، وسائر اتجاهاته ومواقفه في مختلف طرق الحياة .

وأما وسائل ثقافة الطفل في عصرنا الحاضر؛ فهي كثيرة ومتنوعة، بل إن كل ما يسهم في تزويده بمعارف أو خبرات يعد من وسائل الثقافة .

---

(١) يُنظَر: أساس البلاغة ص ٨٤ .

(٢) لمزيد من التفصيل، يراجع: صور من حقوق الطفل في الإسلام، للمؤلف، نشر دار الكلمة.

لكننا نكتفي بالإشارة إلى أهم هذه الوسائل وأشهرها، وأكثرها وأبلغها تأثيرًا، وذلك لخطورتها، ولتركيز الخصوم عليها في تسميم ثقافة الطفل المسلم وبث الأفكار المعادية.

وهذه الوسائل يمكن أن تنحصر في أصلين رئيسين، تندرج تحتهما أو تنبثق عنهما فروع ، وذلك على النحو التالي :

الأول: التعليم ، ويندرج تحته :

أ ـ التعليم الوطني أو الحكومي .

ب ـ التعليم الأجنبي .

الثاني: الإعلام، ويندرج تحته:

أ ـ الإعلام المقروء، ويتمثل في وسائل كثيرة منها الكتب، وهي إما كتب عربية ، وإما غير عربية ، والكتب العربية إما مكتوبة بأقلام عرب، وإما مترجمة عن أصل غير عربي ، ومنها المجلات والصحف والمنشورات.

ب ـ الإعلام المسموع من خلال وسيلة الإذاعة المسموعة ونحوها .

جـ ـ الإعلام المشاهد، من خلال السينما ، والتليفزيون والمسارح ونحوها.

د ـ الاتصال الشخصي ، ويتمثل في وسائل كثيرة في عصرنا مثل الوالدين في البيت ، والخادمة ، والرحلات والمعسكرات ، ونحوها .

تلك فيما أرى أهم وسائل ثقافة الطفل المسلم في عصرنا الحاضر، وأكثرها شيوعًا، وأكثرها اختراقًا، واستغلالاً ـ بشكل أو بآخر ـ من قبل الخصوم الذين يحاربوننا بالغزو الفكري .

وهذه الوسائل هي التي عوّلت عليها في استخراج مظاهر أو صور أو دلائل الغزو الفكري الموجّه للطفل المسلم.

الباب الأول

من مظاهر الغزو الفكري
في وسائل ثقافة الطفل المسلم

تمهيد

لقد قمت بفحص ما تيسر لي فحصه من وسائل ثقافة الطفل المسلم في أكثر من بلد من البلاد الإسلامية ، فوقفت على مظاهر كثيرة وصور عديدة للغزو الفكري المعادي ، ووجدتها متنوعة تتصل بأكثر من مجال ، وألفيتها هي نفسها موجودة في وسائل ثقافة الكبار ، مع اختلاف في طريقة العرض.

وهذه المظاهر أو الصور يمكن اعتبارها ـ إلى حد بعيد ـ بمثابة شبهات مثارة في وجه الثقافة الإسلامية أريد لها أن تروج في وسائل ثقافة الطفل المسلم، وقد لاحظت أن من غير اليسير استقصاءها وإحصاءها ، لا لشيء إلا لكثرتها ، وبالفعل تجمع لديّ عدد غير قليل منها ، ووجدتني مضطرًا لأن أشير إلى بعضها فقط والاستغناء عن البعض الآخر ، لعدم الإطالة من ناحية ولظني بأنها ستكون كافية أو وافية بالغرض المطلوب من ناحية أخرى.

وقد كان المقصود من ذكر هذه النماذج أو المظاهر أن أدلل على امتلاء وسائل ثقافة الطفل في عصرنا الحاضر بالسموم الفكرية القاتلة أو الأفكار التي تتعارض مع الإسلام وأكشف عنها ، وكانت عنايتي منصرفة في المقام الأول إلى أن أثبت بأن ذاك المظهر أو تلك الصورة تعد من قبيل الغزو الفكري المعادي وذلك في ضوء الميزان الذي حكّمته ، وهو القرآن والسنة في ضوء فهم وتفسير الصحابة والسلف الصالح ، ثم ما قرره العلماء الإثبات من سلف الأمة وخلفها من اجتهادات واستنباطات ، وما وضعوه من معايير وضوابط مستمدة من الشريعة الإسلامية ، وفي ضوء ما هو

مقرر من حقائق وثوابت متعارف عليها .

ثم إنني اجتهدت في أن أشير إلى مصدر ما عددته من مظاهر أو صور الغزو الفكري المعادي، سواء أوَقفت على المصدر بنفسي أو من خلال ما ذكره غيري من الباحثين الذين وقفوا عليه، وذكروا ذلك في بحوثهم التي أطمئن إليها ، ولم أجد مفرا من التصريح بهذه الوسيلة أو تلك من وسائل الثقافة التي تحمل أو تروِّج لفكرة ما من الأفكار الخاطئة ، وإن كنت لا أفضل هذا ، بيد أن أمانة البحث ، وإنصاف الحقيقة ، قد حتما هذا، فأسأل الله أن يعصمني من الشطط والزلل ، وأن يرزقني التجرد والإخلاص، ويباعد بيني وبين اتباع الهوى .

*****

الفصل الأول

الغزو الفكري في جانب العقيدة الإسلامية

المبحث الأول

العقيدة الإسلامية وأهميتها

المبحث الثاني

صور من الغزو الفكري في جانب العقيدة الإسلامية

المبحث الأول

العقيدة الإسلامية وأهميتها

«العَقْد : الجمع بين أطراف الشيء ، ويستعمل ذلك في الأجسام الصُّلبة كعقد الحبل وعقد البناء ، ثم يستعار ذلك في المعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرها ، فيقال : عاقدتُه وعقدتُه وتعاقدنا وعقدْتُ يمينَه ، قال تعالى : ﴿ عاقدتْ أيمانكم ﴾ [١] وقُرئ : ﴿ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ وقال : ﴿ بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ [٢] وقرئ : ﴿ بما عقَدْتُم الأيمان﴾ ومنه قيل : لفلان عقيدة ، وقيل للقلادة عِقْد» [٣] .

«وعقد البيع واليمين والعهد : أكده . و ـ قلبَه على الشيء لزمه .

و (العقيدة) : الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لدى معتقده . و ـ (في الدين : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل (جمع) عقائد» [٤].

والعقيدة الإسلامية تعني الإيمان الجازم ، الملازم للقلب ؛ بالله ـ تعالى ـ وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره فأركانها هي أركان الإيمان الواردة في حديث جبريل المشهور ، الذي جاء فيه : « قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله واليوم

---

(١) النساء : ٣٣ .

(٢) المائدة : ٨٩ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ص٣٤١ .

(٤) المعجم الوسيط ٢/ ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ... » الحديث [١].

وعلى هذا فإن « مفهوم الإيمان » أو العقيدة ينتظم في ستة أمور :

أولاً : المعرفة بالله ، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، والمعرفة بدلائل وجوده ومظاهر عظمته في الكون والطبيعة .

ثانيًا : المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة ، أو العالم غير المنظور ، وما فيه من قوى الخير التي تتمثل في الملائكة ، وقوى الشر التي تتمثل في إبليس وجنوده من الشياطين ، والمعرفة بما في هذا العالم أيضًا من جن وأرواح .

ثالثًا : المعرفة بكتب الله التي أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل ، والخير والشر ، والحلال والحرام ، والحسن والقبيح .

رابعًا : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى ، وقادة الخلق إلى الحق .

خامسًا : المعرفة باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وجزاء ، وثواب وعقاب ، وجنة ونار .

سادسًا : المعرفة بالقدَر الذي يسير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير .

وهذا المفهوم للإيمان ، هو العقيدة التي أنزل الله بها كتبه ، وأرسل بها رسله وجعلها وصيته في الأولين والآخرين .

وإنما جعل الله هذه العقيدة عامة للبشر ، وخالدة على الدهر ؛ لما لها من

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه ، ب بيان الإيمان والإسلام والإحسان . من رواية عمر بن الخطاب ﷺ . مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٠رقم ٨ ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك القدر ، ب في الإيمان بالقدر جـ ١ ص١٣٠ ، ١٣١ ، وابن ماجه في المقدمة ، ب في الإيمان جـ١ ص٢٤ رقم ٦٣.

الأثر البيِّن والنفع الظاهر في حياة الأفراد والجماعات .

فالمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة ، وتوقظ حواس الخير ، وتربي ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرافها وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفسافها .

والمعرفة بالملائكة : تدعو إلى التشبه بهم ، والتعاون معهم على الحق والخير ، كما تدعو إلى الوعي الكامل واليقظة التامة ، فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو حسن ، ولا يتصرف إلا لغاية كريمة .

والمعرفة بالكتب الإلهية : إنما هي عرفان بالمنهج الرشيد الذي رسمه الله للإنسان ، كي يصل بالسير عليه إلى كماله المادي والأدنى .

والمعرفة بالرسل : إنما يقصد بها ترسُّم خطاهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والتأسِّي بهم باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة والحياة النظيفة التي أرادها الله للناس .

والمعرفة باليوم الآخر : هي أقوى باعث على فعل الخير ، وترك الشر .

والمعرفة بالقدر : تزوِّد المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العِقاب والصعاب ، وتصغر دونها الأحداث الجسام (١) .

وإن حاجة البشر إلى هذه العقيدة لماسّة ، لما لها من الأهمية الكبرى ، والآثار البالغة ، حتى ليمكن القول بأن الناس في حال الاهتداء إليها والإيمان بها يكونون أحياءً ، وفي حال الضلال عنها ، والكفر بها يكونون أمواتًا .

---

(١) العقائد الإسلامية ، السيد سابق ، ص٨ ـ ١٠ باختصار . دار الكتاب العربي ، بيروت .

ولا غَرْو ، فإن للإنسان جسدًا وروحًا ، ولكلٍّ غذاؤه ، الذي به قوام حياته ؛ فأما غذاء الجسد فمعروف من طعام وشراب ، ونحو هذا ، وأما غذاء الروح ؛ فليس شيئًا آخر غير الإيمان ، فإذا اهتدى الإنسان إلى غذاء البدن ، وافتقد غذاء الروح أو حُرِمه ؛ فهو ميت ، وإن كان يغدو بين الناس ويروح .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [(١)] .

« والتفسير المأثور عن ابن عباس { أن المراد بالميت : الكافر الضال ، وبالإحياء : الهداية ، وبالنور : القرآن ، وبالظلمات : الكفر والضلال»[(٢)] .

وقد ذكر المفسرون روايات فيمن نزلت فيهم هذه الآية ، فجاء أنها نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ وأبي جهل بن هشام ـ لعنه الله ـ وجاء أنها نزلت في حمزة وأبي جهل ، وجاء أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل [(٣)] .

«والصحيح أنها عامة في كل مؤمن وكافر» [(٤)] ، فيدخل في ذلك كل من انقاد لأمر الله تعالى ، ومن بقي على ضلاله وعتوه» [(٥)] .

---

(١) الأنعام : ١٢٢.

(٢) روح المعاني للألوسي ٧/ ١٨ .

(٣) انظر على سبيل المثال : الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي جـ ٧ ص٥٢ . دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م ، روح المعاني ٧/ ١٨ : ١٩ ، أسباب النزول للواحدي ، ص١٢٨ ، تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي جـ ٣ ص٩٤ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (السابق) ص٥٢ ، تفسير القرآن العظيم (الموضع السابق) .

(٥) روح المعاني (السابق) ص١٩.

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله [١] :

إن هذه العقيدة تنشئ في القلب حياة بعد الموت ، وتطلق فيه نورًا بعد الظلمات ، حياة يعيد بها تذوق كل شيء ، وتصور كل شيء ، وتقدير كل شيء بحس آخر لم يكن يعرفه قبل هذه الحياة . ونورًا يبدو كل شيء تحت أشعته وفي مجاله جديدًا كما لم يبد قط لذلك القلب الذي نوّره الإيمان .

هذه التجربة لا تنقلها الألفاظ ، يعرفها فقط من ذاقها .. والعبارة القرآنية هي أقوى عبارة تحمل حقيقة هذه التجربة ، وأنها تصورها بألوان من جنسها ومن طبيعتها .

إن الكفر انقطاع عن الحياة الأزلية الأبدلية ، التي لا تفنى ولا تغيض ولا تغيب ، فهو موت وانعزال عن القوة الفاعلة المؤثرة في الوجود كله ، فهو موت وانطماس في أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية ، فهو موت والإيمان اتصال واستمداد واستجابة ، فهو حياة .

إن الكفر حجاب للروح عن الاستشراف والاطلاع ، فهو ظلمة وختم على الجوارح والمشاعر ، فهو ظلمة وتيه في التيه وضلال فهو ظلمة .

وإن الإيمان تفتُّح ورؤية ، وإدراك واستقامة .. فهو نور بكل مقومات النور .

وإن الكفر انكماش وتحجر .. فهو ضيق .. وشرود عن الطريق الفطري الميسر .. فهو عسر .. وحرمان من الاطمئنان إلى الكنف الآمن .. فهو قلق .

(١) في ظلال القرآن . بقلم سيد قطب ٣/ ١٢٠٠ . دار الشروق بيروت الطبعة الثانية عشرة ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .

وإن الإيمان انشراح ويسر وطمأنينة وظل ممدود ..

وما الكافر ؟ إن هو إلا نبتة ضالة لا وشائج لها في تربة هذا الوجود ولا بذور ، إن هو إلا فرد منقطع الصلة بخالق الوجود ، فهو منقطع الصلة بالوجود . لا تربطه به إلا روابط هزيلة من وجوده الفردي المحدود الحسي وما يدركه الحس من ظاهر هذا الوجود !

إن الصلة بالله والصلة في الله ، لتصل الفرد الفاني بالأزل القديم والأبد الخالد ، ثم تصله بالكون الحادث والحياة الظاهرة ، ثم تصله بموكب الإيمان والأمة الواحدة الضاربة في جذور الزمان ، الموصلة على مدار الزمان ، فهو في ثراء من الوشائج ، وفي ثراء من الروابط ، وفي ثراء في «الوجود» الزاخر الممتد اللاحب (١) ، الذي لا يقف عند عمره الفرديّ المحدود . ا . هـ.

«أفمن نفخ الله في روحه الحياة ، وأفاض على قلبه النور .. كمن حاله أنه في الظلمات ، لا مخرج له منها ؟ إنهما عالمان مختلفان شتان بينهما شتان !» (٢) .

والأمة التي تتربى على هذه العقيدة ، وتتشرب الإيمان ؛ ترتفع إلى أعلى عليين ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٩] ، وتستعلى بهذا الإيمان وتسخر من المحن ، وتهزأ بها ، في ثبات ويقين . وقد تجسدت هذه المعاني في نماذج من البشر ، وتحققت فيها وبها.

ومن هذه النماذج ؛ سحرة فرعون ، فقد أنشأهم الإيمان خلقًا آخر ، إذ كانوا قبل هدايتهم للإيمان بالله بقليل ؛ لا يعدون أن يكونوا جماعة من

---

(١) اللّحْب : الطريق الواضح ، كاللاحب ، والملحَّب ، القاموس المحيط ص١٧١.

(٢) في ظلال القرآن ٣٠/ ١٢٠١ .

المرتزقة ، والعبيد الخاضعين للجبار المتأله فرعون ، يخضعون لـه ويسـبحون بحمده ، ويحنون له الجبْاه ، شأنهم في ذلك شأن كـثير مـن النـاس علـى مـر الأزمان ، يعيشون في ضلال ، أنظارهم لا تكـاد تغـادر مـواطئ أقـدامهم ، وآمالهم لا تتجاوز رغباتهم المادية ، ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾

[الشعراء:٤١]

وما هي إلا سويعات ، فتنقلب الأوضاع ، ويبعث الأمـوات (السـحرة) ويصبحون في عداد الأحياء ، بعد أن هزهم الإيمـان ، وأحيـا مـوات قلـوبهم ، وفجر طاقاتهم ، وأعلى هممهم وعـزائمهم ، كمـا يحيـى الله الأرض الميتـة بـــالقطْر ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحـج:٥] ، فصـار العبيـد سـادة ، والضـعفاء أقويـاء ، وسمـت الأنظـار وتطلعـت في الأفـق الرحيـب ، وأضـحت الآمـال عظيمـة ، لأنهـا ارتبطـت بالعظيم سبحانه وتعالى ، وبرزت العقيـدة شـامخة ، تتحـدى سـلطان وبغـي المتجبر المتعالي فرعون .

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:٧٠ـ ٧٣] . □

وكذلك العرب كان حالهم ، فقد كانوا قبـل الإسـلام كمـا وصـفهم الله

تعالى بقوله : ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢] ، ضلال في الاعتقاد ، وضلال في السلوك والأخلاق ، وضلال في المعيشة ، وانحطاط في المكانة الاجتماعية ، ولم يكونوا في ميزان القوى العالمية - إذ ذاك - شيئًا مذكورا .

ثم حدث التحول الأكبر في حياتهم بعد الإسلام ، فتحولوا من رعاة غنم ، إلى قادة أمم ، ومن الضلال والتِّيه ؛ إلى أمة ذات رسالة ، ومن تخلف وانحطاط إلى أمة وسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣] .

ولقد تم هذا التحول بالإيمان ، والإيمان وحده ؛ الإيمان الذي أحيا موات نفوسهم ، وأصلح فساد قلوبهم ، وسما بهم ، وأعلى بين الناس ذكرهم ، ولولا الإيمان ؛ لما تم هذا التحول ولا عشر معشاره !

فلقد وضع رسول الله ﷺ يده على الداء ، وأتى بأصوب دواء ، ولا دواء سواه ؛ فالداء هو الجاهلية بجميع أشكالها ، وفي شتى جوانبها ، وبكل أقذارها وأوزارها ، والدواء هو الإيمان بالله ﷻ ، الذي هو المفتاح الأوحد للنفس البشرية ، والسبيل الأقوام لتخليصها من ضلالها ، وانتشالها من وُهْدانها [١] وأوحالها .

ولقد أكدت وقائع التاريخ ، وحوادث الزمان ؛ أن الناس لا يُقادون إلا بالدين ، ولا ينصلحون إلا بالإيمان ، ولا يضحُّون إلا في سبيل العقيدة ، إذ لابد للإنسان من عقيدة تحفزه لفعل الخير ، والإقلاع عن الشر ، وتحمّل

(١) وُهْدان وأوْهُد جمع «وَهْد» وهي الأرض المنخفضة والحفرة . المعجم الوسيط ٢/ ١١٠٢ .

المصاعب في سبيل ذلك ، وليس كالعقيدة الإسلامية في التأثير على الفرد والأمة تأثيرًا إيجابيًا ، يبعد عن الشر ، ويدفع إلى الخير ، لما لها من سلطان على النفس لا يعدله في قوته سلطان ، فإذا ما انعدم هذا السلطان ، انفلت زمام النفس ، ولم تعد توجد قوة تسيطر عليها ، فتكبح عن الشر جماحها ، أو تأخذ بيدها إلى الصراط السويّ .

والأمثلة على هذا كثيرة ، وأسوق هنا المثالين التاليين :

فأما المثال الأول : فقد حدث قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان ، عندما صدر الأمر الإلهي بتحريم الخمر تحريمًا قاطعًا ، ووجوب الانتهاء عنها ، وذلك في قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ .

[المائدة: ٩٠ـ ٩٢]

وما إن سمع المسلمون أمر ربهم ؛ حتى انتهوا من فورهم ، وكان لسان حالهم قبل مقالهم : «انتهينا ربنا» ، وكانت الكؤوس على الشفاه فردوها ومَجُّوها ، وسارعوا إلى إراقة ما تبقى لديهم من خمر ، وهم الذين عشقوها وافتتنوا بها دهرًا طويلاً ، فلكم زينوا بها المجالس ، وقرضوا في وصفها الأشعار ، واجتمع على شربها الأخلاء ، وتهادى بها الأصدقاء ، وإذا بهم يقطعون صلتهم بها دون تردد أو تضجّر ، كأن لم يكن لهم بها عهد ، ولا في قلوبهم لها ذرة من حب ، أو شيء من التعلق .

عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبا

طلحة الأنصاري وأبيَّ بن كعب شرابًا من فضيخ [١] وتمر .

قال : فجاء آت فقال : إن الخمر قد حُرِّمت . فقال أبو طلحة : يا أنس ، قم إلى هذه الجرار فأكسرها . قال : فقمت إلى مِهْراس [٢] لنا ، فضربتها بأسفله حتى كسرت [٣] .

فهل حَمَلهم على التخلي عن الخمر ونبذها بهذه السرعة إلا سلطان العقيدة ، التي رباهم الرسول ﷺ عليها وأشربت قلوبهم حبها ؟!

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : وانحلت العقدة الكبرى ـ عقدة الشرك والكفر ـ فانحلت العقد كلها . وجاهدهم الرسول ﷺ جهاده الأول فلم يحتجْ إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي . وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى ، فكان النصر حليفه في كل معركة ، وقد دخلوا في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة ، لا يشاقّون الرسول ﷺ من بعد ما تبين لهم الهدى ، ولا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى ، ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر أو نهي ، حدثوا الرسول ﷺ عما اختانوا أنفسهم ، وعرضوا أجسادهم للعذاب الشديد إذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد . نزل تحريم الخمر والكؤوس المتدفقة على راحاتهم ، فحال أمر الله بينها وبين الشفاه المتلمظة ، والأكباد المتقدة ، وكسرت دنان الخمر فسالت في

---

(١) فضخه ، كمنعه : ولا يكون إلا في شيء أجوف . الفضيخ : عصير العنب ، وشراب يتخذ من بُسْر مفضوخ ولبن غلبه الماء . القاموس المحيط ص٣٢٩ ، والبُسْر : هو التمر قبل إرطابه (أيضًا ص٤٤٦) .

(٢) المهراس : الهارون ، وحجر منقور يتوضأ منه . القاموس المحيط ص ٧٤٩ .

(٣) رواه مالك في الموطأ . ك الأشربة . ب جامع تحريم الخمر جـ٢ ص ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، وأخرجه البخاري في ك الأشربة ، ب نزول تحريم الخمر وهي من البُسر والتمر جـ٦ ص٢٤١ ، ٢٤٢ . ومسلم في ك الأشربة . ب تحريم الخمر . مسلم بشرح النووي جـ ١٣ ص ١٥١ رقم ١٩٨٠ .

سكك المدينة [١] .

فهذا مثال على ما للعقيدة من سلطان على النفس ؛ عندما تكون حاضرة وحيّة .

وأما المثال الثاني : فهو شاهد على أن أية قوة لا يمكن أن تقوم بما تقوم به العقيدة مهما كانت أو عظمت في السيطرة على النفس وكبح جماحها عن الشر .

وقد وقع في العصر الحديث ، ويتعلق بالخمر أيضًا ، وها هي ذي قصته :

«منعت حكومة أمريكا الخمر ، وطاردتها في بلادها واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة كالمجلات والجرائد والمحاضرات والصور والسينما للتنفير من شربها وبيان مضارها ومفاسدها ، ويقدرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولار ، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة ، وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عامًا لا يقل عن ٢٥٠ مليون جنيه ، وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفس ، وسجن ٥٣٢٣٣٥ نفسًا ، وبلغت الغرامات إلى ١٦ مليون جنيه وصادرت من الأموال ما يبلغ ٤٠٤ ملايين جنيه ، ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غرامًا بالخمر وعنادًا في تعاطيها ، حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ إلى سحب القانون وإباحة الخمر في بلادها إباحة مطلقة » [٢] .

هذا وإن العقيدة هي الشيء الوحيد الذي هو جدير بتوحيد الأمة ،

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن على الحسني الندوى ص٨٧، ٨٨ الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، الكويت .

(٢) المصدر السابق ص٨٠ هامش ، نقلاً عن كتاب تنقيحات لأبي الأعلى المودودي .

وبأن يحفظ عليها تماسكها ، ويمدها بأسباب القوة ، ويؤهلها للنصر على الأعداء ، فإذا ما ربيت الأمة على العقيدة ، ونُشِّئت على الإيمان ، استعصت على أعدائها ، وتمكنت بإذن الله من غلبهم وقهرهم . وهذا ما أثبته التاريخ ونطقت به حوادثه ، وهو ما خبره أعداء الإسلام من خلال اشتباكهم مع المسلمين على مر العصور .

فما أكثر ما تكالب الأعداء على الأمة الإسلامية ، وتداعوا للقضاء عليها ، وإذا بهم يرجعون خائبين ، ويجرون أذيال الهزيمة ، ويضربون أخماسًا في أسداس ، متعجبين من حال هذه الأمة التي تستعصى عليهم حتى عرفوا سر القوة ، ومفتاح النصر لديها .

إنه العقيدة !

العقيدة التي تجلت آثارها في بدر وأخواتها في صدر الإسلام .

العقيدة التي زلزل رجالها إمبراطوريتي الفرس والروم ، بعد ما كان أولئك الرجال ـ من قبل ـ لا يجرؤ أحدهم أن يحدث نفسه بالاقتراب منهما بسوء .

العقيدة التي انطلق رجالها يدكّون معاقل الشرك والوثنية في الشرق والغرب ، ويقيمون على أنقاضها دولة العدل والرحمة والإحسان ، لقرون طوال .

العقيدة التي دحرت الحروب الصليبية لأكثر من قرنين من الزمان وهزمت الحقد الأوربي الصليبي ، متمثلاً في تلك الحملات الهوجاء .

ثم إنها العقيدة التي دوّخت الاستعمار الغربي في العصر الحديث، في البلاد الإسلامية ، وزلزلت الأرض من تحت أقدام المستعمر الصليبي الحاقد،

في الجزائر ، وطرابلس ، والمغرب ، ومصر ، وأقضَّت مضاجع اليهود في فلسطين ، على أيدي كتائب المتطوعين المجاهدين ، وكسرت قوتهم، وأذلت كبرياءهم في حرب رمضان المجيدة ، التي رفعت شعار «الله أكبر» وهزمت الطغيان الإلحاديّ الشيوعي في أفغانستان .

وما إن عرف الأعداء هذا السر ؛ حتى اتجهوا من فورهم للقضاء عليه فهبوا لإماتة العقيدة في نفوس أصحابها وتغييب الإيمان وعزله بعيدًا عن الحياة ، ليعود المسلمون إلى ما كان عليه أسلافهم العرب في جاهليتهم الأولى وعندئذ يصبحون لقمة سائغة وفريسة سهلة لعدوهم .

ولا تزال حملات الخصوم لضرب العقيدة الإسلامية مستمرة بغية تجريد المسلمين من أمضى أسلحتهم ، وتخريب حياتهم ، وإذهاب ريحهم .

ولا عجب ، فإنه إذا ضاع الإيمان ، ضاع معه كل شيء ، وانحط بفقدانه كل مجد ، وفقد الناس التمسك بكل قيمة غالية ، وعاشوا في ظلمات بعضها فوق بعض .

والواقع المؤسف أن أمتنا الإسلامية انحدرت انحدارًا لم يحدث مثله من قبل وتخلفت عن طريق أسلافها الصالحين وما عادت تقتفي آثارهم في جوانب كثيرة ، وأصبحت في حال لا تحسد عليه بين الأمم ، وما كان هذا إلا بسبب غياب الإيمان ، وضياع العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، من نفوس السواد الأعظم من أبناء الأمة .

ولن ننهض نحن المسلمين مما نحن فيه، إلا بتربية الأمة على الإيما ، ولن نحقق أي إصلاح في أي مجال إلا عن طريق إصلاح ما فسد من العقيدة أولاً ، وتصحيح وتقوية الصلة بالله رب العالمين ، كما فعل رسول الله ﷺ،

مع المسلمين الأوائل . ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

*****

المبحث الثاني

صور من الغزو الفكري في جانب العقيدة الإسلامية

١ـ إنكار أن الله تعالى خالق الكون :

لست أدري كيف يسوِّغ القائمون على أمر وسائل ثقافة الطفل المسلم في بلاد المسلمين لأنفسهم ، قبول سخافات وأفكار منحطة أو على الأقل التغاضي عنها ، وتركها منذ أمد بعيد كالسرطان في الدماء ، تغتال عقيدة الطفل المسلم ، أو على أقل تقدير تشوشها ، وتذهب بصفائها وتسلبها نقاءها ، مع أنها سخافات قد لفظتها العقول السليمة ، وألقتها في سلة المهملات ، كما تُلقَى القاذورات والنجاسات ، فضلاً عن أنها في ميزان الشرع كفر وضلال مبين .

ولقد اعترتني دهشة بالغة عند فحصي لبعض وسائل ثقافة الطفل المسلم ، مما رأيت من وجود فكرة بالية ، كان يغلب على ظني أنها انقرضت ، بعد أن أتى العلماء من غير المسلمين ، ومن المسلمين عليها من القواعد وكنت أظن أن إنسانًا عاقلاً ، فضلاً عن كونه مسلمًا ، يمتلكه الحياء والخجل من مجرد ذكرها ، فضلاً عن إشاعتها ونشرها .

وتلك الفكرة الباطلة هي الزعم بأن «الطبيعة» هي التي أوجدت هذه المخلوقات ، وأنها هي التي زودتها بما تحتاج إليه في حياتها ، وأن الكون عالة على هذه الطبيعة ... إلى آخر تلك المزاعم والخرافات .

وهذه بعض الشواهد لما ذكرت :

جاء في أحد أعداد مجلة من مجلات الأطفال ، مجموعة من المشاهد تحت عنوان : العودة للطبيعة ، وتحت هذه الرسوم أو المشاهد كتبت عبارات

كثيرة تتعلق بما نحن بصدده ، ومنها :

«سنبدأ اليوم رحلة استكشاف الطبيعة الأم !» .

«إن الطبيعة تدعونا للاستمتاع بمنتجاتها» [١] .

لاحظ عبارة بمنتجاتها .

وفي أحد الكتب المدرسية ، قال المؤلف : «زودت الطبيعة الحشرات بكثير من الأسلحة الوقائية» [٢] .

تأمل جيدًا عبارة «زودت الطبيعة» وهل يزود هذه الحشرات وأمثالها إلا الله تعالى .

وفي عدد من أعداد إحدى مجلات الأطفال ورد في مطلع أنشودة هذه العبارة :

«إنه طفل الطبيعة والسماء» [٣] .

وفي عدد آخر تعرض المجلة ، قصة عنف وصراع ، بعنوان «راهاوان والشجرة العملاقة» حيث تدور أحداثها حول نزاع قبيلتين على هذه الشجرة ... وجاء فيها :

«الشجرة العملاقة هي هبة من الطبيعة ، ولا يجب أن تتنازعوها ، وإنما

---

(١) ميكي ، العدد ١٤١٤ص١٦ :٢٤ ، ٢٦/ مايو ١٩٨٨ . مجلة أسبوعية تصدر عن مؤسسة دار الهلال القاهرة .

(٢) التطوير بين الحقيقة والتضليل ، ص٩٤عن كتاب العلوم للصف الثالث الإعدادي (وزارة التربية والتعليم بمصر) تأليف د./ عدلي كامل فرج ط ٨٩/ ٩٠ ص٤٨ . وأيضًا لا تزال موجودة في الطبعات التالية .

(٣) مجلة سمير العدد ١٣٧١ ، ص١٣، ١٨ يوليو ١٩٨٢. تصدر عن مؤسسة دار الهلال القاهرة .

تتقاسموها ، وتصبح مأوى رائعًا لكل ضعفاء الغابة» [١] .

لاحظ جيدًا عبارة «هي هبة من الطبيعة» .

وفي قصة أخرى في إحدى المجلات : جاء فيها :

«قضاء أسبوع في أحضان الطبيعة الأم سيفيدك يا عم دهب» .

«أنا طفل الطبيعة» .

«أيتها الطبيعة الأم ها هو ابنك دهب !» [٢] .

هذه بعض الأمثلة ، وهناك نحوها كثير .

«وإذا ما أردنا أن نتأمل في معنى هذه الكلمة التي كثر ترددها على الألسنة وجدنا أنها تطلق على معنيين اثنين :

أولهما : أن يراد بالطبيعة ذات الأشياء ، كالأرض والشمس ..

وثانيهما : أن يراد بها الصفات والقابليات كالخشونة والنعومة ، والحركة والسكون ، والحرارة والبرودة ، والتزاوج والتوالد والنمو ..

فإذا قلنا : إن المراد من كلمة " طبيعة " فيما ورد المعنى الأول فإن معنى ذلك أن الأرض خلقت الأرض والشمس خلقت الشمس .. وهنا اجتماع صفتين متناقضتين في شيء واحد ، فالأرض أصبحت خالقة وهي مخلوقة وكذلك الشمس هي الخالقة وهي المخلوقة ... وهكذا .

أما إذا قلنا : إن المراد من كلمة "طبيعة" المعنى الثاني ، فإنه مرفوض قطعًا ، لأن الشيء بمجموعه عاجز عن إيجاد نفسه ، فمن باب أولى أن

---

(١) السابق ، العدد ١٣٨٠ ، ص٢٤.

(٢) ميكي ، العدد ١٣٩٧ ، ص٤ : ١٣ ، ٢٨ يناير ١٩٨٨م .

تكون الصفات عاجزة عن إيجاد الذات !) [1] .

وسواء أكان المقصود أن الطبيعة هي الكون نفسه ، أم أنها عبارة عن قوانين تحكم الكون ، وتنظم حركته ، أم غير هذا ، فإنها جميعًا تلتقي في النهاية على أن الله تعالى لم يخلق الكون وإنما خلق الكون نفسه ، أو إنه وُجِد صدفة ، ونحو هذا من الآراء ـ بزعمهم ـ.

ولا يخفى أن هذه الفكرة الضالة ، وتلك الآراء الجاحدة هي عين الكفر ، والإلحاد ، ولا ريب أنها تتعارض تمامًا مع العقيدة الإسلامية ، التي تقرر أن الخالق والمدبِّر لهذا الكون ، إنما هو الله العلي القدير.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

وقال عز شأنه : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩] .

وإن هؤلاء الملاحدة الجدد ، الذين يقولون بأن الطبيعة مَنَحت ، وبأن الطبيعة وهبت ، أو أنتجت أو فعلت .. إلى آخره ، قد فاقوا في الإلحاد والكفر ، كفار الجاهلية ؛ إذ كان هؤلاء الأخيرون يعترفون بأن الله هو الخالق لهذا الكون ، وهو الذي يسخِّر الشمس والقمر ، وينزِّل المطر، لكنهم كانوا يشركون مع الله غيره ، فلم تنفعهم هذه العقيدة .

---

(١) غريزة أم تقدير إلهي ، شوقي أبو خليل ، ص٨ دار الفكر . دمشق الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

يقول تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣] .

ولكنهم للأسف كانوا يعتقدون بأن هناك آلهة أخرى ، ويعجبون كل العجب من دعوة الرسول ﷺ ، إلى الله الواحد الأحد ، كما حكى القرآن عنهم ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:٥] .

هذا بالإضافة إلى معتقداتهم الأخرى الفاسدة ، التي فنّدها القرآن .

فما بال هؤلاء «أصحاب الطبيعة» يجرؤون على القول بما لم يقل به «أصحاب الجاهلية الأولى» من أن الكون أوجد نفسه ونحو هذا الهراء .

وكيف نبيح ـ نحن المسلمين ـ لأنفسنا أو نسمح بوجود مثل هذا الفكر الضال في ثقافتنا العامة ، وثقافة أطفالنا الخاصة ؟! ولقد كان أولى بالقائمين على أمر تلك الوسائل الثقافية ، ألا يتبنّوا مثل هذا الفكر الذي يراد به هدم الدين من أساسه .

ولقد سخّر الله من غير المسلمين ، من فنّد هذا الباطل وأثبت أن هذا الكون لا يمكن أن يقوم هكذا وحده ومن هؤلاء العالم الغربي «أ. كريسي موريسون» [١] الذي كتب كتابًا أسماه : «إن الإنسان لا يقوم وحده»

---

(١) أ. كريسي موريسون : هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك ورئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك ، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وعضو مدى الحياة بالمعهد الملكي البريطاني . العلم يدعو

وترجم إلى «العلم يدعو للإيمان» ، وقد كتبه ردًا على أحد الملاحدة المنكرين لوجود الله ﷻ وهو الإنجليزي «جوليان هكسلي» [1] الذي كتب كتابًا أسماه : «الإنسان يقوم وحده» [2]، والله الهادي إلى سواء السبيل .

٢ ـ التشكيك في الاعتقاد بأن الله وحده هو القادر على كل شيء والمُسيِّر الوحيد لنظام الكون :

ومن لوازم صحة عقيدة المسلم وكمالها الاعتقاد بأن الله ـ تعالى ـ وحده له القدرة المطلقة على كل شيء ، وله العلم المطلق بما كان وبما سيكون وبما هو كائن ، ولا يشاركه في هذا غيره.

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر:٤٤] ، وهو سبحانه يفعل ما يشاء كما يشاء ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ [القصص:٦٨] ، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦] ، وهو وحده المسير لهذا الكون ، والمسخر له ، وفق ما قضى ـ سبحانه ـ وقدر ، فلا شريك له ولا نِدّ ، ولا يشِذّ شيء من الكائنات عن أمره وإرادته ، قال عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ

للإيمان أ. كريسي موريسون . ترجمة محمود صالح الفلكي . ص٥ ملتزم الطبع النشر مكتبة = النهضة المصرية القاهرة. ط٥ سنة ١٩٦٥م .

(١) جوليان هكسلي : هو عالم إنجليزي ينكر وجود الله وهو حفيد «توماس هكسلي» (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) ، وهو يسير على درب جده الذي كان صاحب دارون ، وناصره في القرن الماضي . السابق ، ص٣٨ ، من مقدمة الدكتور/ أحمد زكي للكتاب .

(٢) هناك علماء مسلمون تصدوا لهذا الموضوع ، ولهم كتابات علمية رصينة ، أذكر منها على سبيل المثال : الإسلام يتحدى ، مدخل علمي للإيمان ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان . مكتبة القرآن . ط٦ عام ١٩٧٦م .

بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم:٣٢، ٣٣] ، ثم إن كل شيء في الكون يسجد له ، ويخضع لعظمته ، ويعنو لعزته ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ [الحج:١٨] .

فهذه الأمور ونحوها ، هي من أصول الإيمان ، وأساسيات العقيدة عند المسلمين ، ويجب أن نغرسها في نفوس أطفالنا منذ الصغر ، ليشبوا عليها ، وتظل راسخة في أعماقهم ، ويجب أن نبعد عنهم كل ما من شأنه أن يتعارض معها بشكل أو بآخر.

ولكن عندما يطالع المرء في بعض وسائل ثقافة الطفل المسلم ، فإنه يجد ـ وبكل أسف ـ كثيرًا من الأفكار التي تتعارض مع هذه المفاهيم العقيدة التي أشرت إليها ، وتتناقض معها صراحة ، وهي تعرض على الطفل المسلم ، عبر وسائل جذابة ، ومن خلال أساليب براقة ، وبإلحاح مستمر ، لا يدع معه للطفل مفرًّا من قبولها ، والتسليم بها ، وهذا يكون ـ بلا شك ـ على حساب العقيدة الإسلامية .

ففي برنامج أطفال تليفزيوني يسمى «السنافر» وفي الحلقة رقم (٩) منه، جاءت بعض المخالفات العقدية ، كما سجلها أحد الباحثين [1]،

---

(١) بصمات على ولدي . طيبة أليحي ، ص٥٥ ، ٥٦ ، دار الوطن للنشر الرياض . ط٣ ، ١٤١٢هـ نقلاً عن : دور التليفزيون في تعزيز المفاهيم الإسلامية ، دراسة تحليلية ، إعداد : عبد الله بن حمد الدهمان ، إشراف : دكتور/ عبد الرحمن النقيب ، ص٥٢ ، ٥٣ .

ومنها :

ـ «من حيث مفهوم الربوبية»:

١ ـ تبدأ الحلقة بهذا القول :

«كان في قديم الزمان .. في مجاهل الغابة كانت توجد قرية مخيفة تعيش فيها مخلوقات صغيرة تطلق على نفسها اسم «سنافر» وكانوا يحبون الخير .

التعبير يوحي بأن الأمر حقيقي وليس مجرد خيال .

٢ ـ وتكملة القول : «وكان هناك ـ أيضًا ـ شرشبيل المشعوذ .. وكان شريرًا» وشرشبيل هذا مُثِّل بصورة إنسان .

٣ ـ قول شرشبيل للعاصفة ـ آمرًا ـ «يا عاصفة قبل أن تهدئي .. حطمي كل المخلوقات الزرقاء .. ويصاحب هذا القول : أنه يفتح الكيس ويرسل في الهواء شيئًا ما» (وكان سلطان على الريح يسيرها كما يشاء).

٤ ـ السنفور شاطر .. وهو يصنع النظارة عند قوس قزح يقول : «ليتني أذكر كلمات بابا سنفور : ـ يا قوس قزح يا لماح .. أعط النظارة أحلى الوشاح» (وكأنه القوس هو الذي يعطى ويمنح الجمال لغيره).

٥ ـ قول سنفورة بتذمر شديد : سيسقط المطر ويخرب الحفلة ـ فيه تربية للأطفال على الاعتراض على أمر الله ـ سبحانه .

٦ ـ في العاصفة ..سنفورة تدندن وتغني وهي مطمئنة من أثر النظارة .. ولا شك أن هذا أمر يمس العقيدة .

٧ ـ قول شرشبيل : ليتني زدت كمية مسحوق العاصفة.

٨ ـ قول شرشبيل لسنفورة : بعد حمام صغير في هذا المحلول ستصبحين شريرة مثلي .

٩ ـ قول بابا سنفور للسنفور حالم : خذ هذه الصفارة العجيبة ، إذا شعرت بأي خطر .. سنفرها .. فتعود إلى القرية في الحال (وفي هذا توجيه للجوء لغير الله تعالى).

١٠ ـ التغيير الذي أصاب شرشبيل بعد تناوله الشراب الذي يجعل الناس طيبين (هذا أمر مصادم للواقعية ـ والأسباب ، ويتصادم مع الاعتقاد بأن مثل هذا التحول بيد الله ، فهو يقلب القلوب كيف يشاء).

وبعد مشاهدة الحلقة رقم (١٠) كان من الملاحظات المتعلقة بالعقيدة :

١ ـ قول شرشبيل : عملت سنتين لأنجز هذه الوصفة القاتلة للسنافر .

٢ ـ تحول شكل شرهان من شربة حساء السنافر .

٣ ـ تغير شكل شرهان إلى خنزير .. ثم بقرة .. ثم ديناصور .. بما يقذف عليه من مواد من قبل شرشبيل (وهذا أمر في غاية الخطورة ، إذ أنه مفسد لواقعية الطفل ، ثم متصادم تمامًا مع العقيدة والعقل والمنطق ، فهذه خرافات) .

٤ ـ عودته لشكله الطبيعي بأكله ورقة النعناع (وهذا جهل وتضليل مثل سابقه ، ومن السخافات التي لم يعد لها مكان في عصر العلم الآن).

٥ ـ شعوذة شرشبيل : شرم برم .. شرم .. الدواء فوكن .. هذا الذي لا يفشل أبدًا [١] .

(١) بصمات على ولدي ، ص٦٠ نقلاً عن نفس البحث ص ٥٤ ،٥٥ بتصريف .

وفي برنامج آخر يسمى «صفر صفر واحد» مخالفات عقدية خطيرة ؛ من ذلك ما جاء في الحلقة الأولى :

«كادعاء أن الدكتور فهمان هو الأمل الوحيد لإنقاذ سكان الأرض» . وإنما الأمل الوحيد الذي يعقد عليه في كل أمر ؛ هو رحمة الله سبحانه وحسن الظن به .

وكذلك : المبادرة المجرة .. وهذا الأمر بالغ الخطورة من حيث العقيدة .. لكنه يقدم هاهنا بهذه الصورة كالألعوبة .. فكلا هذين الأمرين كفر..

هذا ، وقد بني هذا البرنامج على أساس واضح لمخالفة مفهوم الربوبية (نحن الآن في عام ١٩٩٩ ، وقد انتهت الحرب الكونية الثالثة..) .

وفي الحلقة الثانية من هذا البرنامج جاء قول قائدة الأعداء : نحن إمبراطورية جرما .. التي تسيطر على جميع النظم الشمسية .. عدا نظامكم ..

تقصد أن نظامهم يسيطر على كل المجرات في الكون ما خلا المجموعة الشمسية وهذا كفر .. فنظام من هذا الذي يسيطر على كل المجرات تلك السيطرة إلا ناموس الخالق جل وعلا[1] .

وفي قصة شائعة بين الأطفال ، يكثر عرضها عليهم ، من خلال الوسائل المقروءة تارة ، والمسموعة والمرئية تارة أخرى ، تسمى «سندريلا» تحكي قصة فتاة تحمل هذا الاسم ، كانت تعيش مع أختيها الكبريين ووالدها ، وكانت أختاها تجبرانها على القيام بالأعمال المنزلية جميعها ، بينما هما تتفرغان لحضور الحفلات الراقصة ، وذات يوم أقام الملك حفلة لمدة ثلاثة

---

(١) المصدر السابق ص٦٣ وما بعدها ، نقلاً عن نفس البحث ص٥٦ وما بعدها باختصار وتصرف .

أيام ، دعيت إليها كل الفتيات الجميلات للرقص ، كي يختار ابنه الأمير منهن عروسًا له ، فذهبت الشقيقتان ، وتُرِكت سندريلا لأنها لم يكن لديها «فستان» جديد أنيق للرقص ، ولا حذاء ، وخلافه ، وأخذت تبكي ، وبينما هي كذلك إذ سمعت صوتًا رقيقًا ، فإذا هو صوت الجنية ، التي هدّأتها ، وقالت لها : سوف تحصلين على كل ما ترغبين فيه ، يا عزيزتي ، جففي دموعك ، ثم افعلي بدقة ما أقوله لك ، ثم طلبت منها أن تحضر لها أكبر قرعة في الحديقة ، فلما لمستها الجنية بقضيبها الجني ، تحولت فورًا إلى أفخم عربة يمكن أن تتصور ، ثم طلبت منها أن تحضر مصيدة الفئران ، فإذا فيها ستة فئران ، وبلمس الجنية بقضيبها لكل منها ، إذا بها تتحول إلى ستة جياد شهب جميلة لجر العربة الذهبية ، ثم طلبت منها أن تحضر مصيدة الجرذان، فإذا بها جرذ واحد ، لمسته الجنية بقضيبها فتحول إلى حوذى (سائق عربة) ماهر ، ثم طلبت منها أن تحضر لها العظاءتين [١] ، فلمستهما الجنية بقضيبها ، فتحولتا إلى خادمين نبيهين ، ثم لمست الجنية ثوب سندريلا الرمادي ، القديم ، فتحول إلى ثياب جميل للرقص ، وأُلبِست قدماها حذاءً حريريًا ، ثم مضت إلى الحفلة في العربة على أن تعود قبل منتصف الليل ، لأنه بحلول هذا الوقت سوف ترجع كل الأشياء إلى ما كانت عليه ، ثم حدث هذا في اليومين التاليين ، حتى انتهت الحفلة ، ولم يعجب الأمير ، ويتزوج بسواها [٢] .

ومثل هذه الخرافات تُفسد واقعية الطفل، وتزلزل في نفسه الاعتقاد بأن

(١) العظاءة : السّحلية .

(٢) سندريلا ، الحكايات المحبوبة . سلسلة ليديبرد . للمطالعة السهلة ، أعاد حكايتها محمد العدناني . وضع الرسوم أريكك ونتر . الناشرون مكتبة لبنان . بيروت . وآخرون . ط الأولى .

لله القدرة المطلقة .

وفي بعض الكتب المدرسية ، وردت أبيات من الشعر فيها تجاوزات عقدية خطيرة ، على النحو التالي :

التينة الحمقاء

وتينـــة غضـــة الأفنـــان باســـقة

قالـــت لأترابهـــا والصـــيف يحتضرـــ

بـئس القضـاء الـذي في الأرض أو جـدني

عنـدي الجـمال ، وغـيري عنـده النظـر

لأحبســـن عـــلى نفسيـــ عوارفهـــا

فـــلا يبـــين لهـــا في غيرهـــا أثـــر

كـــم ذا أكلـــف نفسيـــ فـــوق طاقتهـــا

ولـــيس لي ، بـــل لغـــيري الفـــيء والثمـــر

لـــذي الجنـــاح وذي الأظفـــار بي وَطَـــر

ولـــيس في العـــيش لي فـــيما أرى وَطَـــر

إني مُفصَّـــــلة ظـــلي عـــلى جســـدي

فـــلا يكـــون بـــه طـــول ولا قصرـــ

ولســـــت مثمـــــرة إلا عـــــلى ثقـــــة

أن لـــيس يَطرُقنـــي طـــير ولا بشرـــ

عـــاد الربيـــع إلى الـــدنيا بموكبـــه

فازّيّنـت واكتسـت بالسـندس الشـجر

وظلـت التينـة الحمقـاء عاريـة كأنهـا

وتـــــد في الأرض أو حجـــــر

ولم يطـــق صـــاحب البســـتان رؤيتهـــا

فاجتثّهـــا فهـــوت في النـــار تســـتعر

مـن لـيس يسـخو بـما تسـخو الحيـاة بـه

فإنـــه أحمـــق بـــالحرص ينتحـــر[١]

والأبيـات في مظهرهـا العـام دعـوة إلى السـخاء وعـدم البخـل علـى الآخرين، بما لدى المرء من خير ، ولكنها في حقيقتها تنطـوي علـى مفـاهيم خاطئة ، لا تتوافق مع ما أشرت إليه من أسس العقيـدة الإسـلامية ، وهـي واضحة ، فأي متأمل يستطيع أن يلحظ ما يلي :

أولاً : سبّ قضاء الله ﷻ ، «بئس القضـاء الـذي في الأرض أوجـدني»،

(١) القواعد (الثالث الإعدادي) تأليف عبد الرحمن الباشا . تعديل حسـين بطيخـة ، أمـيرة الـدرة ، ص٥ ، ٦ وزارة التربيـة . الجمهوريـة العربيـة السـورية ، ١٩٧٧، ١٩٧٨ والأبيـات لإيليـا أبـي ماضي ، وهي موجودة كذلك في مناهج بعض الدول الإسلامية الأخرى .

فأي قضاء أوجدها ؟ وهل يوجد في الكون شيء بغير حكم الله وقضائه، ومثل هذه العبارة التي تسمع في أغنية شائعة لذلك المغنى الفاجر والتي تقول «قدرٌ أحمق الخطا سحقت هامتي خطاه» فهل قدر الله أحمق والعياذ بالله ، وهو سبحانه الحكيم البديع ، ما أحلم الله على هؤلاء !!

ثانيًا : تصوير التينة بأنها تتمرد على قضاء الله ، وفي الحقيقة ؛ إنه لا يوجد شيء من هذه الكائنات يتمرد على قضاء الله ، وإنما التبرم والعصيان من شأن الثقلين ـ للأسف ـ وأما باقي الكائنات فلا يسعها إلا طاعة أمر الله .

ثالثًا : أن التينة ـ بزعم الشاعر البائس ـ عزمت على ألا ينتفع أحد منها بشيء ، وأنها نفذت ما عزمت عليه ، فكأنها تملك أن تثمر وتورق ، وتملك ألا تفعل ذلك ، والحقيقة أن الذي يملك ذلك وحده إنما هو الله ، فهو الذي يقدر الإثمار ، ويقدر الفناء واليبوسة ، وأن للنبات ـ ككل الكائنات ـ أجلاً يفني فيه ، وهذا الأجل بيد الله وحده المحيي المميت ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:٩٩] .

رابعًا : قوله : «من ليس يسخو بما تسخو الحياة به» فيه إيحاء بأن النعم والخيرات التي يحصل عليها الإنسان ، ليست من عند الله تعالى ، وكان يمكن أن يعبر بتعبير آخر يوحي بأن الله هو مصدر النعم ، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣] .

وبعد : فهل هذه المفاهيم الرائجة وأمثالها تتمشى مع العقيدة الإسلامية ، ثم

هل هذه الأفكار من شأنها أن تثبت العقيدة الصحيحة في نفس الطفل ، أم أنها ـ حتمًا ـ ستلقى في نفسه بذور التشكيك والحيرة ، وتنسيه إياها حتى تنطمس معالمها في داخله ؟!

لا شك في أن مثل هذا الفكر ضار بعقيدة الطفل المسلم ، ومخالف لشرع الله ، فما أحرانا أن نباعد بين أطفالنا وبينه ، حماية لدينهم ، وصونًا لعقيدتهم ، وحفاظًا على شخصيتهم ، فهل نحن فاعلون ؟!

٣ ـ الترويج لسؤال غير الله واللجوء لما سواه :

ولقد مر بنا أن من صلب العقيدة الإسلامية ، التي يجب أن يؤمن بها كل مسلم ؛ أن يوقن تمام اليقين بأن الله ـ تعالى ـ هو الخالق لهذا الكون ، بجميع عوالمه ، وأنه سبحانه هو القادر على كل شيء ، وهو المدبر والمسير لهذا الكون ، فالخلق خلقه والأمر أمره ، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ .

[الأعراف:٥٤]

وهذه العقيدة تفرض على كل مسلم ألا يسأل إلا الله ، وألا يلجأ لما عداه ، ما دام أن الله ـ تعالى ـ هو الرب ، وبيده كل شيء .

فإذا طلب المسلم من غير الله ، أو توسل لأحد سواه ، معتقدًا في أنه يقدر على دفع ضر ، أو جلب نفع ، من دون الله ، فقد انخرم إيمانه ، وفسدت عقيدته ، لأنه أتى بما يناقضها من الاعتقاد والفعال معًا .

والقرآن والسنة يحثان المسلم دائمًا على ألا يدعو إلا الله ، وألا يلجأ ويعتصم ويحتمي إلا بالله عز وجل ، مع التأكيد المستمر على أن الذي يملك الإعطاء والمنع ، والضر والنفع ، على الإطلاق ؛ إنما هو الله رب العالمين .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] .

وقال سبحانه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل:٦٢] .

وقال جل شأنه : ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢] .

وقال عز من قائل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس:١٠٧] .

وعن أبي ذر الغفاري (١) ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى ـ أنه قال : «**يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي. وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب**

---

(١) هو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ، أحد السابقين الأولين ، قيل : كان خامس خمسة في الإسلام ، وكان رأسًا في الزهد والصدق ، والعلم والعمل ، قوّالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، على حدّة فيه ، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر ، توفي بالربذة بعد أن نفاه عثمان إليها ، ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل : مات في ذي الحجة ﷺ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦ وما بعدها بتصرف .

رجل واحد منكم ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» (١) .

وفي حديث ابن عباس المعروف ؛ قول النبي ﷺ : «**إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله له ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٢) .

وقد سن لنا رسول الله ﷺ ، من الدعاء كل ليلة ، ما يجعل المسلم على ذكر دائم ، واستشعار متواصل باللجوء إلى الله وحده ، والاحتماء به بجانه .

فعن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا أخذت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، واجعلهن من آخر كلامك ، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة**» (٣) .

---

(١) رواه مسلم ، ك البر ، ب تحريم الظلم . مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٣١ ـ ١٣٣ رقم ٢٥٧٧.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، ك صفة القيامة ، ب ٥٩ منه ، رقم ٢٥٢٤ وقال : «حسن صحيح» وأحمد في المسند ١/ ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، ب ما يوصي به الغلام إذا عقل ص٣٧٤ ، ٣٧٥ رقم ٤٢٥ ، تحقيق أبي محمد عبد الرحمن كوثر البرني . دار القبلة ـ جدة .

(٣) رواه مسلم ، ك الذكر والدعاء ، ب الدعاء عند النوم ، مسلم بشرح النووي جـ١٧ ص ٣٢،

وتلك الحقائق والمعتقدات ، يجب علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نربِّي أولادنا عليها ، فضلاً عن أن نوقن بها جميعًا ، وهذا كلام واضح بيِّن ، لا يغيب عن أحد ، ولا يختلف عليه من المسلمين ـ كذلك ـ أحد.

بل إن الكفار كانوا يعرفون هذه الحقيقة ، المتمثلة في أن القادر على كشف الكروب هو الله عز وجل ، وهي وإن كانت تنطمس في نفوسهم في كثير من الأحيان إلا أنها كانت تتجلى في أوقات الشدائد أشد الجلاء ، وتصفو في أعماقهم أشد ما يكون الصفاء .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] .

« وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ يعني السفن وخافوا الغرق ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي صادقين في نياتهم ، وتركوا عبادة الأصنام ودعاءها ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ أي يدعون معه غيره ، وما لم ينزل به سلطانًا ، وقيل : إشراكهم أن يقول قائلهم : لولا الله والرئيس أو الملاح لغرقنا ، فيجعلون ما فعل الله لهم من النجاة قسمة بين الله وبين خلقه» (١) .

وإذا ما قلبنا في وسائل ثقافة الطفل المسلم ـ في بلاد المسلمين ـ وجدنا

---

٣٣ رقم ٢٧١٠ ، البخاري ك الوضوء ، ب فضل من بات على الوضوء جـ١ ص٦٧ ، و ك الدعوات ، ب إذا بات طاهرًا جـ ٧ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، وأبو داود ك الأدب ، ب ما يقال عند النوم جـ ٤ ص ٣١١ رقم ٥٠٤٦ ، وابن ماجه ، ك الدعاء ، ب ما يدعو به إذا أوى إلى = = فراشه جـ ٢ ص ١٢٧٥ رقم ٣٨٧٦.

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي جـ ١٣ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

ما يخالف هذه العقيدة مخالفة صارخة ، ويناقضها مناقضة صريحة ، ووجدنا من الأفكار ما يحطمها ويقضي عليها في نفوس أطفالنا ، حيث الترويج للجوء لغير الله ، وسؤال ما عداه ، والتضرع والإلحاح في الطلب من غيره ﷻ من المخلوقات ومن جعلوا شركاء لله ، وها هي بعض الشواهد :

يقول أحد الباحثين ، راصدًا بعض المظاهر لما نحن بصدده ، من خلال الإعلام المرئي:

فعلى مستوى ما يقدم للأطفال تسيطر السوق اليابانية والأمريكية على مسلسلات وأفلام الصغار ، وينعكس الاعتقاد في قوة الشمس والطبيعة في الأفلام اليابانية ، كما يكثر وجود الصليب في الأعمال الأوروبية والأمريكية .

وقد لاحظت في مسلسلات كثيرة للأطفال أن البطل ـ الضفدع أو الخنزير أو الأرنب أو النحلة أو الكلب أو المخلوقات الخيالية أيًا ما كان ـ إذا وقع في خطر فإنه يمد يده متضرعًا غارقًا في عرقه وضعفه ، داعيًا الشمس ـ القوة العظيمة على حد تعبير المترجمين ـ أن تأخذ بيده ، وتنقذه من محنته العصبية ، ويجسد الرسام الدهري عندئذ صورة الشمس على الشاشة ، ويصغر حجم البطل المأزوم ، ليحصل الطباق الحسي والعقلي بين ضآلة البطل وعظمة الشمس وضخامتها .

بل وسمعت ـ بصريح اللفظ ـ البطل يدعو أمه (الطبيعة) أن تنقذه من ورطته ، وكانت أمه آنذاك (الطبيعة) قد اختطفها (شرشبيل الشرير) فلم تخضر الأرض ولم يأت الربيع ، ثم استطاع السنافر (الشجعان) تخليص أمهم الطبيعة من أسرها فعادت وفرشت الأرض خضرة وحل الربيع ليملأ أزاهير وألوانًا وعطرًا !!

وفي (أليس في بلاد العجائب) تعطلت الساعات في المدينة كلها ، بعد أن أوقفها عن الدوران (جبروكي) فذهبت الحيوانات كلها إلى أبيهم (الزمن) ليعطي كل شيء حركته مرة ثانية ، فعادت الساعات إلى العمل ، وعاد كل شيء إلى حركته الطبيعية [1] .

وهناك كثير من القصص المقروءة ، تطفح بالكثير من مثل هذه المخالفات العقدية ، التي نحن بصدد الحديث عنها ، ومنها قصة «تروى حكاية طفلة اسمها (يه) كانت لها سمكة كبيرة تربيها وتحبها .. وكان للطفلة (يه) زوجة أب قاسية تكرهها .. فتحايلت زوجة الأب حتى قتلت السمكة وأكلتها وأخفت عظامها في حفرة في أرض الحديقة ..

ثم تقول القصة : ... وفي اليوم التالي عادت (يه) .. وعندما ذهبت إلى بركة الماء لم تجد السمكة .. فجلست بجوارها تبكي .. وتبكي حتى نزل إليها من السماء رجل ذو شعر مشوش ، يرتدي خرقًا بالية .. وربت الرجل على كتفيها مخففًا من آلامها ودموعها وقال :

لا تبكي يا فتاتي .. لقد قتلت زوجة أبيك السمكة .. ودفنت عظامها في إحدى الحفر في الحديقة .. فابحثي عن العظام واحمليها معك إلى غرفتك داخل الدار .. إن جميع رغباتك سوف تتحقق ، وكل ما تطلبينه سوف تنالينه عندما تتوسلين لهذه العظام .

ونفذت (يه) نصائح الرجل .. ولم يمض وقت طويل حتى كانت الفتاة تملك الذهب والمجوهرات والحرير .. إلخ .

---

(١) التليفزيون .. السم اللذيذ : عبد السلام البسيوني ص١٩ ، ٢٠ ، مكتبة الأقصى الإسلامية ـ الدوحة قطر ط ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

وتستمر القصة حتى تصل بالفتاة (يه) إلى أن تتزوج من الملك ، وتنتهي القصة قائلة :

وتزوج الملك من (يه) وفي عام زواجهما الأول طلب الملك من عظام السمكة كثيرًا من أحجار الزمرد والجواهر ، فكانت العظام تحقق له دائمًا رغباته وأمنياته ، وبعد ذلك أخذ الملك عظام السمكة ودفنها بجوار البحر ووضع حولها مئات اللآلئ وزين المكان برقائق الذهب .

وعندما أغار عليه جيش من أعدائه .. أسرع الملك إلى حيث دفن عظام السمكة فارتفعت مياه البحر وغمرت البقعة .. وأغرقت المغيرين ولم يُعرف مصيرهم حتى الآن» [1] .

وفي عدد من أعداد إحدى مجلات الأطفال ، قصة بعنوان (جيتار لفرفور .. بدون أوتار) ، تحكي أن (فرفورًا) كان كل أمنيته أن يكون عازفًا ونجمًا تليفزيونيًا مشهورًا ، وهو لم يكن لديه سوى جيتار قديم ، وليس به أوتار ، وهو يعتقد أنه سيحصل على ما يريد بالتمني وسؤال نجمة في السماء ستقضي له حاجته ، وقد كان ؛ حيث فاز بسبب التوسل إلى النجمة ـ كما تذكر القصة التي امتلأت بعبارات الشرك بالله ، والتي تذكر حرص (فرفور) ... على التوسل إلى النجمة ، وإلحاحه في ذلك ، ثم إعلان فوزه في النهاية [2] .

فهل هذه الإيحاءات السيئة ، والأفكار الفاسدة من الاتكال على الخرافات ، والاعتداد بالكسل ، والركون إلى التواكل ، وترك العمل ، هي ما يصلح أن نلقنه لأبنائنا منذ نعومة أظفارهم ، في عصر العلم والنهضة،

---

(١) المضمون في كتب الأطفال . أحمد نجيب ص٥٣ ، ٥٤ . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي .

(٢) انظر : ميكي ، العدد ١٤٠٥ ص١٨ـ٢٨ ، ٢٤ مارس ١٩٨٨.

والتنافس والصراع الحضاري بين أمم الأرض ؟

ثم أليس كان الأولى بنا أن نملأ قلوبهم بالإيمان بالله عز وجل ، وعقولهم بالعلم النافع ، ومشاعرهم بالتطلع إلى المجد والرقي ، مستعينين بالله ـ تعالى ـ واثقين في مدده ، متوكلين عليه وحده ، مع الأخذ بالأسباب والجد والاجتهاد ؟

وما فائدة عرض هذا الخطل [١] والهذيان على أطفال المسلمين، في بلاد المسلمين؟

٤ ـ الترويج للذهاب إلى العرافين والمنجمين ، والزعم بأنهم يعرفون الغيب :

ومن مظاهر الغزو الفكري الشائع في أكثر وسائل ثقافة الطفل المسلم ، الترويج للذهاب إلى العرافين والعرافات ، والإيحاء بإمكان معرفتهم الغيب من خلال الزعم بصدق أشياء يتنبؤون بها أو يستقرئونها بطرقهم الخاصة ، مثل ما يسمى بقراءة الكف ، ونحو هذا .

وهناك قصة دُرِّست على تلاميذ الصف الثالث الإعدادي ، قامت في أساسها على أن «بطلة القصة» ذهبت إلى العرافة ، وأنها قرأت كفها، فتكهنت بأنها ستكون ملكة لمصر ـ في ذلك الوقت ـ بل أكدت أنها واثقة مما تقول ، وأن هذا التنبؤ قد تحقق ـ فيما يزعم كاتب القصة [٢] .

---

(١) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب . مختار الصحاح ، ص٧٦.

(٢) انظر : غادة رشيد ، الصف الثالث الإعدادي ، على الجارم ، إعداد محمد عبد الحميد غراب، مراجعة محمود الدوة . وزارة التربية والتعليم . جمهورية مصر العربية ، ١٩٨٩/ ١٩٩٠م .

وتتناثر أحاديث وحكايات عن هذا الموضوع في مجلات الأطفال ، ومسلسلاتهم [١] ، فضلاً عما يوجد من أبواب ثابتة ، ومخصصة لهذا الموضوع ، في غالب الصحف والمجلات ، مثل أبواب «الحظ» ، التي يكتب من خلالها ما يتنبأ به «الفلكي» أو المنجم ، الذي يزعم معرفة الطوالع وارتباطها بالحوادث ، لكل صاحب برج من الأبراج المعروفة ، بل إن هناك كتبًا في هذا الأمر [٢] .

هذا ، «والعراف هو الحازي والمنجم الذي يدعى علم الغيب ، وهي من العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها ، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم ، وأسباب معتادة في ذلك ، وهذا الفن هو العيافة (بالياء) . وكلها ينطلق عليها اسم الكِهانة؛ قاله القاضي عياض . والكِهانة: ادعاء علم الغيب» [٣] .

ولقد أجمع العلماء على حرمة الاشتغال بالكهانة والعرافة، وماشابهها، والاعتقاد في أقوال المنجمين ، وعدوها من الموبقات التي تورد صاحبها المهالك ، لما ورد في ذلك من النصوص ، ولما فيها من ادعاء معرفة الغيب الذي اختص الله ـ تعالى ـ به نفسه ، ولما في الاعتقاد في أقوال المنجمين والعرافين من الشرك بالله .

---

(١) انظر على سبيل المثال : ميكي ، العدد ١٤١٤ ، ص٢ ، ٢٦ مايو ١٩٨٨م .

(٢) على سبيل المثال : صدر في بداية عام ١٩٨٠م كتاب بعنوان (حظك خلال عام ١٩٨١) للدكتور شندي الفلكي ، يشرح حظ مواليد كل برج في العام المذكور بالطريقة الهندية في زعمه . وقد روجت له بعض ما يسمى بالصحف القومية إذ ذاك.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٤ .

قال تعالى : ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[1] .

قال ابن الجوزي : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه فلا يظهر : أي فلا يطلع على غيبه الذي لا يعلمه أحدٌ من الناس إلا من ارتضى من رسول ، وأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب والمعنى أن من اختاره للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر . والله أعلم [2] .

و «قال العلماء رحمة الله عليهم : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه ، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب سواه ، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل ، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة لهم ، ودلالة صادقة على نبوتهم ، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصا وينظرون في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه ، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه ، قال بعض العلماء : وليت شعرى ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم ، وتباُين رتبهم ، فيهم الملك والسوقة ، والعالم والجاهل ، والغني والفقير ، والكبير والصغير ، مع اختلاف طوالعهم ، وتباين مواليدهم ، ودرجات نجومهم ، فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة ؟ فإن قال المنجم قبحه الله : إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه ، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل

---

(١) الجن : ٢٦ ، ٢٧.

(٢) الكبائر : تأليف الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ص١٧١. دار الفكر العربي بيروت ط ١، ١٩٨٩م .

أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل منهم ، وما يقتضيه طالعه المخصوص به ، فلا فائدة أبدًا في عمل المواليد ، ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد ، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم ، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم ، ولقد أحسن الشاعر حيث قال :

حكم المنجم أن طالع مولدي

يقضي على بميتة الغرق

قل للمنجم صبحة الطوفان هل

ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لما أراد لقاء الخوارج : أتلقاهم والقمر في العقرب ؟ فقال ﷺ : فأين قمرهم ؟ وكان ذلك في آخر الشهر ، فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها ، وما فيها من المبالغة في الرد على ما يقول بالتنجيم ، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم [(١)] .

وعن عائشة قالت : سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكُهَّان . فقال لهم رسول الله ﷺ : «**ليسوا بشيء**» ، قالوا : يا رسول الله ، فإنهم يحدثون أحيانًا الشيء يكون حقًا . قال رسول الله ﷺ : «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجّنيّ فيَقُرُّها في أذن وليه قَرّ الدجاجة**[(٢)] **فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة**» [(١)] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٩.

(٢) قال ابن الأثير : القرّ : ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه ، تقول : قَرَرْته فيه أقره قَرّاً، وقَرُّ الدجاجة : صوتها إذا قطَعته. يقال : قَرَّت تَقِر قرًّا وقريرًا ، فإن رددته قلت : قرقرت قَرقَرْةً . ويروي: «كَقَر الزجاجة» بالزاي أي كصوتها إذا صُبَّ فيها الماء ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، جـ ٤ ص٣٩.

وعن معاوية بن الحكم السُّلمي قال : قلت : يا رسول الله ، أمورًا كنا نصنعها في الجاهلية ، كنا نأتي الكُهَّان . قال : «**فلا تأتوا الكُهَّان**» قال : قلت : كنا نتطير قال : «**ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**» (٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنا ، فقد كفر بما أنزل على محمد**» (٣) .

وعن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ ، أنه قال : «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**» (٤) .

وكان مما قاله الإمام علي ـ كرّم الله وجهه ـ عندما عزم الخروج للقتال في موقعة النهروان (٥) لمن طلب منه ألا يسير إلا في ساعة معينة حددها له ،

---

(١) رواه مسلم ك السلام ، ب تحريم الكهانة وإتيان الكهان . مسلم بشرح النووي ١٤/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ رقم ٢٢٢٨. رواه البخاري ، ك الأدب ، ب قول الرجل للشيء ليس بشيء جـ٧ ص١٢٢ ، ك التوحيد ، ب قراءة الفاجر والمنافق جـ٨ ص٢١٨ ، ك الطب ، ب الكهانة جـ٧ ص٢٨.

(٢) رواه مسلم ، مسلم بشرح النووي جـ١٤ ، ص٢٢٣ ، رقم ٥٣٧ ، رواه النسائي ك السهو ، ب الكلام في الصلاة جـ٣ ص١٤ ـ ١٦ ، وأبو داود ، ك الصلاة ب تشميت العاطس في الصلاة. جـ١ ص٢٤٤ ، ٢٤٥ ، حديث رقم ٩٣٠ .

(٣) رواه الترمذي في السنن أبواب الطهارة ، ب ما جاء في كراهية إتيان الحائض جـ١ ص١٤٢، ١٤٣ حديث رقم ١٣٥ ورواه الدارمي في ك الطهارة ، ب من أتى امرأته في دبرها جـ١ ص٢٧٥، ٢٧٦ ، حديث رقم ١١٣٦ ، ورواه أحمد الفتح الرباني ك الحيض ، ب الترهيب من وطء الحائض جـ٢ ص١٥٥ ، والحاكم ، ك الإيمان جـ١ ص ٨ وصححه وابن ماجه في ك الطهارة ب النهي عن إتيان الحائض جـ١ ص ٢٠٩ رقم ٦٣٩ ، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي جـ١ ص٤٢٣ ، ٤٢٤ هامش .

(٤) رواه مسلم ، بشرح النووي جـ١٤ ص٢٢٧ رقم ٢٢٣٠ ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الحدود ، ب النهي عن إتيان الكاهن أو العراف جـ١٦ ص١٣٣.

(٥) نِهْرَوان : وأكثر ما يجرى على الألسنة بكسر النون ، وهي ثلاثة نهروانات : الأعلى والأوسط والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد ، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ مع الخوارج مشهورة . معجم البلدان ، ياقوت الحموي ٥/ ٣٢٤ ، ٣٢٥، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

كي لا تلحقه الأضرار ، وليظفر بما يريد ـ بزعمه .

«...فمن صدقك في هذا القول ؛ لم آمن أن يكون كمن اتخذ من دون الله أندادًا أو ضدًّا ، اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ثم قال للمتكلم : نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ؛ وإنما المنجِّم كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار ، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلّدنك في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ ، ولأحرمّنك العطاء ما كان لي سلطان» [1] .

فهل بعد ما ذُكر يكون هناك مسوِّغ للسماح بنشر ذلك الشرك وأمثاله في وسائل ثقافة الطفل المسلم ؟!

لقد كان الأولى بالقائمين على أمر وسائل ثقافة الطفل المسلم ، أن يُعمِّقوا في قلوب أولادنا عقيدة التوكل على الله ـ عز وجل ـ والثقة به سبحانه ، بدلاً من أن يشغلوهم بذلك الشرك وأمثاله ، مما لا يعود عليهم بنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة .. نسأل الله العفو والعافية .

٥ ـ الترويج لعقائد النصارى المنافية للعقيدة الإسلامية بأسلوب يوحي للطفل بتقبلها والميل إليها :

ويكثر عرض بعض معتقدات النصارى الباطلة ، التي تتعارض صراحة مع العقيدة الإسلامية ، مثل الإكثار من عرض صور ومشاهد للصليب، الذي يرمز لركن مهم في عقيدتهم وهو صلب المسيح ـ المُخَلِّص ـ في زعمهم فداءً للبشرية وتخليصًا لها من أوزار خطيئة آدم عليه السلام ، والزعم بأن

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩ ، ٢٠ ، الكبائر ١٧٣.

العذراء تجيب من سألها ، وتحفظ من لجأ إليها ، وغير هذا ، بأساليب تجذب الطفل ، وتظهر تلك المعتقدات الباطلة أمامه على أنها حق لا ريب فيه ، وليست من الخرافات ، والكفر بالله رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

وهذا النوع من الفكر يكثر بشكل خاص في الأعمال التليفزيونية ، سواء أكانت مستوردة أجنبية أم كانت محلية عربية !

ومن النماذج لهذا : فيلم «الراهبة» (١) : وتم عرضه يوم الخميس الموافق ١٠ مارس ١٩٨٨. في سهرة القناة الأولى من التليفزيون المصري . (ويتكرر عرضه من حين لآخر) وتتلخص قصة هذا الفيلم في أختين تعيشان في لبنان وحيدتين ، إحداهما راهبة متمسكة بتعاليم الدين النصراني بعد قصة حب فاشلة ، والأخرى حديثة السن لم تفهم الحياة فتتعرف على شاب وسيم يغريها بجماله وغناه حتى تقع في حبائله الفتاه الصغيرة ، وقد كان يحب أختها الراهبة من قبل ، ولا يخلو الأمر بين الحين والآخر من إبداء جسد هذه الفتاة الصغيرة شبه عارية في بعض اللحظات .

ثم تتوالى أحداث الفيلم إلى أن تأتي اللحظة الحاسمة عندما يقوم الفتى

---

(١) أثبتت التجارب أن معظم الوقت الذي يقضيه الأطفال في مشاهدة برامج الشاشة الصغيرة إنما يقضونه في مشاهدة برامج أعدت للكبار البالغين بصفة أساسية . وعلى ذلك فإن أردنا التعرف على تأثير البرامج التلفزيونية على الأطفال فمن الواضح أنه لا ينبغي الاقتصار على تحليل محتوى برامج الأطفال فحسب ، بل ينبغي تحليل برامج الكبار وإدخالها في الاعتبار كذلك ... كما أن الأطفال مثل الكبار يشاهدون التلفزيون بصفة أساسية بغرض التسلية والترويح ... وإذا خُير الأطفال بين برامج التسلية والبرامج التعليمية ـ عند وجودها ـ فمعظمهم سيختارون برامج التسلية . الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية د./ أحمد بدر ص١١٢ ، ١١٣ دار القلم ـ الكويت ط الأولى ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ، أثر وسائل الإعلام على الطفل ، أحمد محمد الزيادي وآخرون ص٥٠ ـ ٥١. الأهلية للنشر والتوزيع . عمان.

بإعطاء الفتاة الصغيرة كأسًا من العصير به مخدر ، فتغيب عن الوعي فيحملها بين ذراعيه ويضعها على الفراش استعدادًا لفعل الفاحشة .

وهنا يظهر الكفر البواح ، فتُرَى الأخت الكبرى الراهبة وقد أحس قلبها أن أختها في مأزق حرج ، فاستقبلت تمثال العذراء المزعوم ، وركعت على ركبتيها ، وأخذت تناجيها وتتوسل إليها وتقول : «أنقذيها يا عذراء .. أنقذيها يا عذراء» ، وحين ذلك انتقلت الكاميرات حيث الفتى والفتاة وهو يجردها من ملابسها ، وهنا يظهر تمثال العذراء في النافذة مع هالة ضوئية ، وإذ بالفتاة تنتفض بعد أن كانت في سبات عميق ، وذهب عنها آثار المخدر القوى المفعول ، (فأوحى ذلك في قلوب الناس أن العذراء هي التي فعلت ذلك ، وهذا كفر بواح)!

وفعلاً تتخلص الفتاة الصغيرة من براثن الشاب العربيد فتهدأ الراهبة ـ ولا أدري كيف علمت أن العذراء قد أنقذت أختها ـ فذرقت عيناها بالدموع قائلة : «شكرًا لك يا عذراء» .. ثم نامت على الأرض باسطة ذراعيها فبدت كهيئة الصليب ، وبدأت الأجراس الكنائسية تدق وتبتعد الكاميرات عنها في هذا الموضع ، وينتهي الفيلم على هذا الكفر والشرك !![١] .

(كما يكثر وضع الصلبان في خلفيات المشاهد ، بل رأيت ـ أكثر من مرة ـ البنت البطلة وقد جلست أمام شموع موقدة خلفها الصليب وقد رفعت يديها في ضراعة وابتهال ، والأولاد عادة ذوو عقول لاقطة ، وأسئلة محرجة غير متحفظة ، وهم بين حالتين : إما أن يسألوا ـ وكثير من الآباء لا يستطيعون الإجابة جهلاً أو ارتكابًا ـ وإما ألا يسألوا ، لكن تبقى

---

(١) دراسة تليفزيونية ميدانية إعداد المهندس أكمل فؤاد (بتصرف) ملحقة بكتاب: نحو إعلام إسلامي للدكتور على جريشة ص ١٥٦ ـ ١٥٨.

المشاهد ـ بمؤثراتها الصوتية واللونية والحركية والانفعالية ـ كامنة في عقولهم اللاقطة التي تستوعب أحيانًا المسلسل مشهدًا مشهدًا) [١] . وهناك فيلم أطفال رائج في البلاد العربية . يروج مباشرة بصراحة للنصرانية يسمى «سانشيرو» وهو طفل كرتوني يتحدى الأشرار وينتصر عليهم بمساعدة «الصليب» !

ويستمد فيه البطل ـ كما يَعْرض الفيلم ـ قوته الخارقة من الصليب وتعاليم الكنيسة ، ولا يكاد يمر مشهد واحد دون أن يتجه البطل المغوار للكنيسة مستدعيًا صليبه وقوته ! والأدهى من ذلك أن البطل يردد طوال الفيلم بصوت جذاب نصوص كنسية صريحة ، بل إنه في أحد المواقف يظهر البطل الصغير وهو يبكي لأنه لم يُدِرْ خده الأيسر لمن صفعه !

وعلى هذا المنوال يسير الفيلم لدرجة تجعله أقرب لدرس مركز في العقيدة الكنسية [٢] .

وهكذا تُصَب هذه الأفكار في عقول الأطفال المسلمين ، تحت سمع وبصر المجتمع بكل مؤسساته ، وتسري في نفوسهم في نعومة وصمت ، فيألفونها مع الأيام ، وقد تزداد الجرعة الفكرية من هذا الصنف لدى طفل ما ، فتزاحم العقيدة الإسلامية في نفسه ، وتغلق الأبواب أمامها .

ومما هو من الوضوح بمكان أن هذه الأفكار والمعتقدات متناقضة تمامًا مع عقيدتنا الإسلامية وموقف القرآن منها واضح أشد الوضوح، فهو ينكرها صراحة ، ويَكفر ذويها ، ويُفَندها ، في كثير من المواضع ، منها على

---

(١) التليفزيون السم اللذيذ ص٢١ ، ٢٢.

(٢) المسلمون، العدد: ٣٦٨ص١٢ السنة الثامنة الجمعة ١٨ من شعبان ١٤١٢هـ فبراير ١٩٩٢.

سبيل المثال قوله تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧] .

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٦، ١١٧] .

قال في روح المعاني : «واستشكلت الآية بأنه لا يعلم أن أحدًا من النصارى اتخذ مريم عليها السلام إلها . وأجيب عنه بأجوبة ، الأول : أنهم لما جعلوا عيسى عليه السلام إلها لزمهم أن يجعلوا والدته أيضًا كذلك ؛ لأن الولد من جنس من يلده فذكر (إلهين) على طريق الإلزام لهم ، والثاني : أنهم لما عظموها تعظيم الإله أطلق عليها اسم الإله كما أطلق اسم الرب على الأخبار والرهبان في قوله تعالى : ﴿ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] . لما أنهم عظموهم عظيم الرب والتثنية حينئذ على حد ـ القلم أحد اللسانين [١] ، والثالث : أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضد هذا القول ما حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض النصارى أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم : المريمية يعتقدون في مريم أنهم إله ، وهذا كما كان في اليهود قوم يعتقدون أن عزيزًا ابن الله عزَّ اسمه وهو أولى الأوجه عندي» [٢] .

(١) هذه العبارة تشير إلى أهمية الكتابة في البيان والتبيين ، وأنها بمنزلة اللسان في الإفصاح عما في نفس الإنسان. فكأنها لسان آخر له .

(٢) روح المعاني للألوسي ٧/ ٦٥.

ولا أظن بعد هذا ، أن هناك أدنى مبرر لعرض مثل هذا الفكر على الطفل المسلم ، أو السماح به في وسائل الثقافة عمومًا ، وثقافة الطفل ـ خصوصًا ـ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

٦ ـ السُّخرية من الملائكة ، والاستهزاء بالحساب الأخروي :

العقيدة الإسلامية تقوم ـ كما مضى ـ على أركان منها : الإيمان بالملائكة ، والإيمان باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وحشر ، وحساب يعقبه مثوبة أو عقاب ، ونحو هذا مما يتفرع عن الإيمان بهذين الركنين .

ولا ريب أن المرء إذا فقد الإيمان بهما ؛ لم يعد مؤمنًا ، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً .

ولا ريب كذلك في أن السخرية من الملائكة، أو الاستهزاء بهم، وبالحساب بعد الموت ؛ يتنافى تمامًا مع العقيدة الإسلامية ، بل يكون استهزاء بهذه العقيدة جملة وتفصيلاً .

وبدهي أن المسلم يجب أن يصون نفسه ، ويربأ بها عن الاستهزاء بالعقيدة ، ويبتعد عن الأسباب التي تؤدي إليه ولو كانت مباحة ؛ إذ يتركها لكونها تفضي إلى ذلك الأمر الشنيع ، كما نهى الله تعالى عن سب آلهة الكفار ، لئلا يفضي ذلك إلى أن يسب الكفار الله ـ تبارك وتعالى ـ إذ يقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [1].

وقد «اتفق العلماء على أن معنى الآية : لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلهكم ، وكذلك هو ، فإن السب في غير الحجة فعل الأدنياء ، فمنع الله ـ

(١) الأنعام : ١٠٨.

تعالى ـ في كتابه أحدًا أن يفعل فعلاً جائزًا يؤدي إلى محظور ، ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذه الآية في سد الذرائع ، وهو كل عقد جائز يؤول أو يمكن أن يتوصل به إلى محظور» [1] .

والمسلمون مطالبون بأن يقفوا حراسًا يقظين لعقيدتهم الإسلامية ، يدافعون عنها بالنفس والنفيس ، وبالغالي قبل الرخيص ، ولو أدى ذلك إلى أن تزهق أرواحهم في سبيلها ، إذ لا شيء في الوجود أغلى منها على الإطلاق ، ولا خير في الحياة بدونها .

وإذا كان أصحاب العقائد الباطلة والأديان الفاسدة ، يدافعون عن عقائدهم وأديانهم ، فالمسلمون أصحاب العقيدة الحقة السامية هم أولى الناس بالدفاع عن عقيدتهم هذه .

وأولى من هذا ألا نسمح ـ نحن المسلمين ـ بنشر أو ترويج ما يسيء إلى هذه العقيدة، فضلاً عن منعه ومحاربته .

ولكننا للأسف نفاجأ من آنٍ لآخر ببعض المسرحيات الهابطة التي تروج في بلاد المسلمين ، وتنتقص منً شأن عقيدتنا ، وتسخر منها في جانب أو آخر ، ويراها الكبار والصغار ، وكأننا نعيش في بلاد غير بلاد المسلمين .

فعلى سبيل المثال «مسرحية (أحزان الفتى المسافر) لوحيد حامد ، يصور كاتبها حساب الملكين ، يتم من خلال جهاز يضيء باللون الأحمر لمن كتب له النار ، وبالضوء الأخضر لمن كتب له الجنة ، ثم يسخر من عملية الحساب نفسها ، حين يدخل الشاب فيضيء الجهاز لونًا بنفسيجيًّا، يتعجب

---

(١) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٢/ ٢٦٥ ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

الملكان ويفتشان الشاب فيجدانه يحمل طاولة ، وقد خبأها في مكان حساس ، يريد أن يلعب بها في الآخرة ، وحين تدخل امرأة أعدت نفسها للنار لأنها لم تعرف إلا التجارة بجسدها ، وجسد الأخريات ، مع شرب الخمر ، لكن الجهاز يضيء باللون الأخضر ، فتناقش الملكين اللذين يبرران لها عملها .

ومسرحية (الرجل اللي ضحك عالملائكة) تقوم فكرتها على أن الآخرة لابد أن يكون فيها عمل ، ويجعل الملائكة في وضع ساخر ، حيث يضحك مدير الشركة الذي سلب ونهب في الدنيا ، على الملك ، فيقطع ورقة من دفتر حسابه ، بعد أن أصر على اعتبار نومه عبادة ، متمسكًا بأن هذا مبدأ ديني ، فلما ذهب إلى الملك للاستفتاء سرق ورقة إدانته» [(١)] .

وإذا كانت هذه المهازل تُبَثُّ في إعلام المسلمين ، تحت سمعهم وبصرهم ، فماذا ننتظر من غير المسلمين إلا التجرؤ على الإساءة لعقائدنا في تبجح ، والسير في نفس المنوال دون تهيب ، والاستمرار في تشويه كل جوانب الإسلام ، وليس فقط العقيدة ، دون مراعاة لأي اعتبار .

وقد نشرت إحدى المجلات الإسلامية الخبر التالي [(٢)] :

مسرحية إسرائيلية تتهجم على الملائكة :

أثارت مشاهد بثها التليفزيون الإسرائيلي يوم الأحد ٢٢ نوفمبر الجاري[(٣)] استياءً عامًا في أوساط المسلمين في فلسطين المحتلة ، فضمن

---

(١) الإعلام في ديار المسلمين بداية ورسالة (مرجع سابق) ، ص٨٧ ، ٨٨ . نقلاً عن عمارة نجيب، مجلة الدعوة المصرية . العدد ٧ص٢٨ ، السنة ٢٦ ، غرة محرم ١٣٩٧هـ .

(٢) مجلة الإصلاح (تصدر في دولة الإمارات العربية المتحدة) العدد ٢١٥ ص٢٦ ، السنة السادسة عشرة ، ٨ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ، ٣ـ ٩ ديسمبر ١٩٩٢م .

(٣) عام ١٩٩٢م .

مشاهد مختارة من مسرحية بعنوان «الكابوس» التي عالجت موضوع حوادث الطرق ، عرض مشهد للشاب وقد انتقل إلى الآخرة ، وقرع جرسًا صغيرًا كي يفتح له ، فخرج له ممثل يقوم بدور الملاك جبريل وأثناء الحوار معه ظهر صوت الملاك عزرائيل ـ ملك الموت ـ وقام الممثل الذي جسد دور جبريل يشتم عزرائيل ويبصق عليه ، وقد أثار هذا المشهد مشاعر المسلمين الذين ينظرون إلى الملائكة نظرة إجلال حيث يعتبر الإيمان بهم جزء من العقيدة الإسلامية .

وقد أكد الشيخ رائد صلاح الدين رئيس بلدية أم الفحم أن الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ستعمل على إرسال برقيات احتجاج واستنكار إلى المسؤولين بوزارة المعارف والثقافة ، وإلى الفرق المسرحية من أجل وقف هذا العرض الذي وصفه بأنه «تعد صارخ على عقيدة المسلمين ، كما أنها تسيء إليهم بشكل صريح» .

كما أصدرت مديرية الأوقاف في القدس المحتلة ، فتوى دينية أصدرها مساعد الوعظ والإرشاد في مديرية أوقاف القدس الشيخ عكرمة صبري حرم فيها تمثيل دور الملائكة ، وقال : «إن ما عرض يمثل مساسًا بعقيدة المسلمين ، حيث إن الإيمان بهم يعتبر ركنًا من أركان الدين» .

وقد أصدرت رابطة علماء فلسطين استنكارًا في الصحف المحلية اعتبرت فيه هذا العمل تعديًا على عقيدة المسلمين ، ومساسًا بقدسية الملائكة ، وطالب أعضاء في هيئتها التأسيسية بتقديم اعتذار إلى المسلمين على تلك التلفظات والتهجمات التي استهدفت عقيدة المسلمين ودينهم . وجاء عرض هذه المسرحية ضمن أسبوع الثقافة والكتاب العربيين أقامتهما بلدية القدس المحتلة.اهـ.

إن مثل هذه المادة الفكرية المسمومة، تُعْرَض ـ للأسف ـ في مدن وعواصم عربية وإسلامية، خاصة فيما يسمى بالمهرجانات السينمائية، والفنية التي يتولى كبرها علمانيون وشيوعيون وقوميون، منهم من ليس بمسلم، ومنهم من ليس له من الإسلام نصيب إلا الاسم، أو مجرد الانتساب إليه، وكثيرًا منهم.

ويجب أن يكون معلومًا أن لمثل هذه الأفكار الملحدة آثارًا ضارةً على عقيدة النشء المسلم، وأن الذين يسمحون بنشرها والقيام بها، بدعوى أنها هزل، أو ترويح وتسلية، حسابهم عند الله عظيم، وإن كان منهم من يزعم الانتساب إلى الإسلام، فليعلم أنه مطالب بالتوبة إلى الله، وإلا فليحذر أن تصيبه فتنة أو يصيبه عذاب أليم، لأن هذا كفر مبين، ولا فرق في إتيان الكفر وسائر المعاصي، بين الجد والهزل.

وقديمًا خاض أسلافهم من المنافقين في الاستهزاء بالله ـ تعالى ـ وآياته ورسوله ﷺ فأطلع الله نبيه ﷺ على ما في قلوبهم، وما تحدثوا به، فاعتذروا عن ذلك بأنهم كانوا هازلين، غير جادين، ولكن لم يقبل منهم، فإن مقام الدين والعقيدة يجب أن يحترم ويقدس، ولا يجوز المساس به، لا على سبيل الجِدّ أو الهزل، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

قال الإمام ابن العربي المالكي [1]: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك

(١) هو الإمام الحافظ القاضي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف، ولد في سنة ثمان وستين وأربعمائة، ولي قضاء أشبيلية فحمدت سياسته، وكان ذا شدة وسطوة فعزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه. توفي بفاس في =

جدًا أو هزلاً ، وهو كيفما كان كفر ؛ فإن الهزل بالكفر كفر ، لا خلاف فيه بين الأمة ، فإن التحقيق أخو الحق والعلم ، والهزل أخو الباطل والجهل .
قال علماؤنا : انظروا إلى قوله تعالى : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة:٦٧] (١) .

*****

= شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . سير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٧: ٢٠٤ .
(١) أحكام القرآن ٢/٥٤٣.

الفصل الثاني

الغزو الفكري في جانب الشريعة الإسلامية

المبحث الأول : **مفهوم الشريعة الإسلامية وأهميتها .**

المبحث الثاني : **صور من الغزو الفكري في جانب الشريعة الإسلامية .**

المبحث الأول

مفهوم الشريعة الإسلامية وأهميتها

«والشِّرعة والشَّريعة: الطريقة الظاهرة التي يُتَوَصَّل بها إلى النجاة، والشريعة في اللغة : الطريق الذي يُتَوَصَّل منه إلى الماء .

والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين ، وشرع لهم يَشْرَع أي سَّن . والشارع الطريق الأعظم» [(١)] ، «والمراد بها الدين ، واستعمالها فيه لكونه سبيلاً موصلاً إلى ما هو سبب للحياة الأبدية كما أن الماء سبب للحياة الفانية ، أو لأنه طريق إلى العمل الذي يُطهِّر العامل عن الأوساخ المعنوية كما إن الشريعة طريق إلى الماء الذي يُطهِّر مستعملَه عن الأوساخ الحسِّية» [(٢)] .

وقال الراغب [(٣)] : قال بعضهم : سُمِّيت الشريعة شريعة تشبيهًا بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة رَوِيَ وتطهَّر ، قال : وأعني بالرِّيّ ما قاله بعض الحكماء : كنت أشرب فلا أَرْوَى ، فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب . وبالتطهُّر ما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [(٤)] .

«والشريعة والدين والملة بمعنى واحد ، وهو ما شرعه الله لعباده من أحكام ، ولكن هذه الأحكام تسمى شريعة باعتبار وضعها وبيانها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٣٧ .

(٢) روح المعاني ٦/ ١٥٣.

(٣) المفردات ص ٢٥٨ ، ٢٥٩.

(٤) الأحزاب : ٣٣.

واستقامتها ، وتسمى دينًا باعتبار الخضوع لها وعبادة الله بها ، وتسمى ملة باعتبار إملائها على الناس» [(١)].

أما الإسلام فمعناه الانقياد والاستسلام لله ـ تعالى ، ثم خص استعماله بالدين الذي أرسل الله به نبيه محمدًا ﷺ وبهذا المعنى وردت كلمة الإسلام في قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [(٢)] وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [(٣)] .

وعلى هذا فالشريعة الإسلامية في الاصطلاح الشرعي هي : الأحكام التي شرعها الله لعباده ، سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أم بالسنة النبي محمد ﷺ ؛ من قول أو فعل أو تقرير . فالشريعة الإسلامية إذن ، في الاصطلاح ليست إلا هذه الأحكام الموجودة في القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية والتي هي وحى من الله إلى نبيه محمد ﷺ ليبلغها إلى الناس [(٤)] .

وقد قسمها الكاتبون في تاريخ التشريع الإسلامي إلى ثلاثة أقسام أبينها فيما يلي :

١ـ الأحكام الاعتقادية :

وهى التي تتعلق بذات الله وصفاته ، وبالإيمان به ، ويسمى هذا الجانب

---

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية تأليف د./ عبد الكريم زيدان ص٣٨. مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة السادسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م. نقلاً عن تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، رحمه الله . جـ٢ ص٢٥٧ ، وشرح المنار ص١٣.

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) آل عمران : ٥٨ .

(٤) المدخل لدراسة الشريعة (السابق) ص٣٨، ٣٩، وفيه المراجع التي أخذ عنها .

بالإلهيات ، وتتعلق بالرسل والإيمان بهم ويسمى هذا الجانب بالنبوات ، وتتعلق بالملائكة وبالجن وبأمور الآخرة وما فيها من بعث وحساب وميزان وجنة ونار ، ويسمى هذا الجانب بالسمعيات ؛ لأنها أمور مغيبة لا يدركها الإنسان إلا عن طريق السماع من الأنبياء والمرسلين ، وهذه الأمور كلها محل دراستها علم الكلام (علم التوحيد) .

٢ ـ الأحكام التهذيبية :

وهى التي تتعلق ببيان الفضائل التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها ، وبيان الرذائل التي يجب على الإنسان أن يبتعد عنها حتى يكون مثًلا أعلى للإنسان الفاضل ، ومحل دراستها (علم الأخلاق).

٣ ـ الأحكام العملية :

وهى التي تتعلق بأفعال العباد الحسية من صلاة وزكاة وصوم وحج ومعاملات يتعامل الإنسان بها مع غيره من الناس ، كالبيع والإجارة والقرض والشركة والزواج والطلاق وحقوق الأولاد والميراث والوصية والوقف ، وغير ذلك من الأمور التي لا غنى للإنسان عنها في حياته ، ومحل دراستها (علم الفقه) [١] .

ومن العلماء من ينحو منحى آخر في تقسيم الشريعة ، ويخصصها بعض الشيء ، إذ يجعل العقيدة قسيمًا لها ، لا قِسْمًا من أقسامها ، فيقول :

ومن القرآن والسنة عُرف أن الإسلام له شُعبتان أساسيتان لا توجد حقيقته ، ولا يتحقق معناه إلا إذا أخذت الشعبتان حظهما من التحقق

---

(١) المدخل الفقهي وتاريخ التشريع الإسلامي . تأليف د./ عبد الرحمن الصابوني ، د./ خليفة بابكر ، د./ محمود محمد طنطاوي ص٢٢ . مكتبة وهبة . القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

والوجود في عقل الإنسان وقلبه وحياته ، وهاتان الشعبتان هما : العقيدة والشريعة .

والعقيدة هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أوّلا وقبل كل شيء إيمانًا لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة .

والشريعة هي النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه ، وعلاقته بأخيه المسلم ، وعلاقته بأخيه الإنسان ، وعلاقته بالكون والحياة (١) .

ثم يقرر أن الشريعة على كثرتها ترجع إلى ناحيتين رئيسيتين : ناحية العمل الذي يتقرب به المسلمون إلى ربهم ، ويستحضرون به عظمته ، ويكون عنوانا على صدقهم في الإيمان به ومراقبته ، والتوجه إليه ، وهذه الناحية هي المعروفة في الإسلام باسم «العبادات».

وناحية العمل الذي يتخذه المسلمون سبيًلا لحفظ مصالحهم ، ودفع مضارهم ، فيما بينهم وبين أنفسهم على الوجه الذي يمنع المظالم ، وبه يسود الأمن والاطمئنان وهذه الناحية هي المعروفة في الإسلام باسم «المعاملات» وتشمل ما يتعلق بشؤون الأسرة والميراث ، وما يتعلق بالأموال والمبادلات ، وما يتعلق بالعقوبات وما يتعلق بالجماعة الإسلامية وعلاقتها بغيرها .

والعبادات هي الصلاة والصوم ، والزكاة والحج (٢) .

---

(١) منهج علماء الدعوة في الكتابة للطفل المسلم ، ص١٠٨ نقلاً عن الإسلام عقيدة وشريعة ، للشيخ محمود شلتوت ص٥ ، ٦ .

(٢) المصدر السابق نقلاً عن نفس المرجع ص٦٨ .

هذا ، وإن الناس دائمًا بحاجة إلى شريعة إلهية حاجتَهم إلى الماء والهواء ، بل أشد ، ثم إنه ليس على وجه الأرض دين أصلح من الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ ، وارتضاه لنا دينا ، ولم يقبل من أحد أن يدين بسواه ، وليس على وجه الأرض ـ كذلك ـ شريعة أصح من الشريعة الإسلامية ، ولا أوفى منها بحاجة البشرية وتطلعاتها ، إذ إنها تشريع العليم الخبير .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ـ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأول ؛ فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها ، وهى نوره الذي به دواء كل عليل ، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل ، فهي قرة العيون ، وحياة القلوب ، ولذة الأرواح ؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة ، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها ، وحاصل بها ، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها ، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم ، وهى العصمة للناس وقوام العالم ، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا ، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطيّ العالم رَفَع إليه ما بقى من رسومها ؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم ، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة [١] .

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين : تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن بكر المعروف =

ولقد ظلت البشرية قرونا طويلة ، وهى لا تزال تعيش في فوضى قانونية وتشريعية بسبب تركها لشريعة الله ، وما استطاعت ـ ولن تستطيع ـ أن تهتدي إلى نظام قانوني وتشريعي كامل شامل ، يجمع بين الثبات والتطور ، ويشتمل على خصائص وميزات تجعله يُرضِى كل الأهواء ، ويساير كل العصور ، ويناسب كل المجتمعات ، وأنّى لها ذلك بعيدًا عن وحى الله ؟ !

ولقد عرض صاحب كتاب «الإسلام يتحدى» [(١)] . لأهم مشكلات التشريع الإنساني ، وأثبت بالبراهين العلمية القاطعة أنه لا يمكن حل هذه المشكلات إلا من خلال التشريع الإلهي ، بما حواه من الأسس اللازمة التي يبحث عنها المشرعون لصياغة دستور مثالي .

ثم شرع يورد أمثلة من مختلف مجالات الحياة ، تبين «مدى صدق القول ، بأن الدستور الإلهي هو وحده الأساس الحقيقي ، الذي يصلح لأن يكون مصدرًا لقوانين الحياة الإنسانية» [(٢)] . ، وكان من هذه الأمثلة مثال يتعلق بناحية مهمة ، وهى ناحية العقوبات ، وخاصة القصاص ، وقد تبين من خلال ذلك عظمة الشريعة الإسلامية فيقول رحمة الله :

شرع الإسلام القصاص ممن قتل عمدًا ، إلا أن يرضى ورثة القتيل بالدية ، ولقد تعرض هذا القانون لنقد شديد من جانب رجال القانون فى العصر الحاضر ، وأهم ما يستدلون به : أن معنى هذا التشريع أن تضيع نفس أخرى ، بعد أن ضاعت الأولى بالفعل ، ودفعهم هذا إلى إلغاء نظام (الإعدام شنقا) في كثير من البلاد .

= بابن قيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١ هـ جـ٣ ص١١ ، ١٢ رتبه وضبطه محمد عبد السلام إبراهيم . دار الكتب العلمية . بيروت. ط الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

(١) ص١٣٨ وما بعدها .

(٢) الإسلام يتحدى ص١٤٦ .

إن القانون الذي يقرره الإسلام له فائدتان هامتان :

أولاهما : أن تستأصل جذور هذه الجريمة ، ولأن أحدًا من الآخرين لن يندفع إلى ارتكابها مرة أخرى نظرًا للعاقبة الوخيمة التي لقيها أحد أفراد المجتمع .

وأما الثانية : فهي «الدية» وقد راعى المشرع النتائج مراعاة تامة ، فلو قتل الابن الوحيد لشيخ ، فعلى القاتل أن يدفع لوالد المقتول مبلغا من المال يرضيه ، فيعفو عن الجريمة لقاء المبلغ الذي تقاضاه . وقد جعل التشريع الإسلامي حقًا للدولة أن تأمر برفع مبلغ الدية ، إخمادا لنار «الثأر» .

إن هذا التشريع حكيم لدرجة عظيمة ، وتجربته تؤكد أن غريزة القتل قد قضى عليها في أي بلد طبقته ، كما أكدت التجارب أيضًا أن أي بلاد ألغت هذا التشريع قفزت فيها جرائم القتل إلى نسب خيالية ، حتى إن نسبة الاغتيالات قد ارتفعت في بعض هذه الدول إلى اثنتي عشرة في المائة .

وهناك أمثلة أخرى عديدة : بلاد ألغت عقوبة القصاص ، ولكنها عادت فأقرته مرة أخرى ، نظرًا للعواقب . فقد أصدر البرلمان السيلاني قانونًا سنة ١٩٥٦ يحرم القصاص في حدود سيلان .. فارتفعت نسبة جرائم القتل ارتفاعًا مخيفًا بعد صدور القانون ، ولم يستيقظ السيلانيون من سباتهم إلا يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٩ ، عندما تسلل رجل مسلح داخل منزل رئيس الوزراء السيد بندرانيكه ، وقتله بكل جرأة في غرفته ، وكان أول ما فعله أعضاء البرلمان السيلاني بعد دفن جثمان رئيس الوزراء المأسوف عليه ، أن عقدوا جلسة طارئة استغرقت أربع ساعات ، وأعلنوا عند ختامها أن

سيلان قررت إلغاء القانون ، وإصدار قانون جديد بتشريع القصاص [١] .

ولقد اعترفت كثير من المؤتمرات الدولية وأشادت بعظمة الشريعة الإسلامية وسموها وتفوقها على ما عداها من النظم والتشريعات [٢] .

ولقد طبق المسلمون الأولون شريعة الله ـ كما أمر سبحانه ـ فانصلح أمر معاشهم ، وأمر معادهم ، وحازوا الفلاح ، وتسنموا ذرا المجد ، بسبب تطبيق الشرع الحنيف ، ثم أتى على المسلمين اليوم زمان تراخوا فيه عن تطبيق شرع الله ، وفرطوا في التمسك به ، والأخذ به بقوة ، بل ولوا وجوههم شطر المشرق تارة والمغرب تارة أخرى ، يتسولون النظم والقوانين الأرضية الوضعية ، ويتقمَّمُون المذاهب والتشريعات القاصرة ،

---

(١) المصدر السابق ص١٤٩ ، ١٥٠.

(٢) انعقد في لاهاي مؤتمر القانون المقارن ، وحضر في هذا المؤتمر بعض علماء الأزهر الشريف ، وكان ذلك سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م وقدم هؤلاء العلماء بعض الأبحاث الفقهية وأوضحوا كيف يعالج الإسلام شؤون الحياة العامة ، وكانت أبحاثهم حول القضايا التالية :
١ ـ المسؤولية الجنائية والمدنية في نظر الإسلام .
٢ ـ استقلال التشريع الإسلامي وربانيته ، ونفى أي صلة بالبشر ونظمهم الوضعية ، ولقد أجاد هؤلاء العلماء في عرضهم وأثاروا إعجاب أعضاء المؤتمر بالفقه الإسلامي مما أدى إلى أن يخرج المؤتمر بقرار إجماعي يظهر الإعجاب والاهتمام بهذا الفقه من قبل جميع الذين حضروا هذا المؤتمر الدولي ، وفيما يلي نص قرارهم هذا :
أ ـ اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرًا من مصادر التشريع العام .
ب ـ اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها .
جـ ـ اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور .
د ـ تسجيل البحث الأول في سجل المؤتمر باللغة العربية واعتباره بين المجموعة العلمية التي تدخر للرجوع إليها .
هـ استعمال اللغة العربية في المؤتمر ، والتوصية بالاستمرار على ذلك في الدورات المقبلة . المدخل إلى أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي . بقلم موسى إبراهيم الإبراهيم . ص١٨٥ دار عمار للنشر والتوزيع . الأردن . الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م ، وانظر : معلمة الإسلام : أنور الجندي ٢/ ٣٣٠ـ ٣٣٦.

التي ما أغنت ولن تغنى عنهم شيئًا ، يستبدلونها بشرع الله ، منخدعين بزخرف من القول ، وتزوير من قبل أعدائهم ، الذين يوحون إليهم بترك شريعة ربهم ، والسير في ركابهم ، زاعمين أن هذا هو الخير لهم ، وكذلك زينوا لهم فانقلبوا على أعقابهم خاسرين .

ومن أجل أهمية الشريعة الإسلامية ، وآثرها العظيمة في حياة المسلمين إذا ما طبقوها ، فإن أعداء الإسلام قد صوبوا سهام الغزو الفكري نحوها ، للنيل منها بشتى السبل ، حتى يزحزِحوا المسلمين في النهاية عن التمسك بها ، حسدًا منهم وبغيًا ، وهم يعلمون علم اليقين أن سعادة المسلمين بل وحياتهم فيها ، وفى تطبيق مبادئها ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

[البقرة:١٠٥]

«فما أشد غفلة المسلمين وما أوعى أعداءهم الذين لو أدركوا أن الإسلام يقود إلى التخلف لعبؤوه في زجاجات وسقوه لنا ولكل من يريدون السطو عليهم ، وعلى ثرواتهم في أفريقيا وغيرها ، ولكنهم يقفون في وجه الإسلام وقفة يقظة لا يقفونها أمام أية قوة في الأرض ، والسبب هو شعورهم وإدراكهم أن الإسلام إذا عرفه المسلمون وطبقوه ، ارتفع به شأنهم ، وتحقق على يديه ارتقاؤهم وسبقهم وتمكنهم» [١] .

*****

(١) فقه الدعوة والإعلام د./ عمارة نجيب ص ٨٢، ٨٣ .

المبحث الثاني

صور من الغزو الفكري في جانب الشريعة الإسلامية

١ ـ محاولة تشويه الشريعة الإسلامية والانتقاص من أحكامها ونظمها :

ولقد كان من أساليب الغزو الفكري الخبيثة ، تلك المحاولات الدائبة لتصوير أحكام الشريعة الإسلامية تصويرًا يحط من قدرها ، وينتقص من مبادئها ونظمها ، ويحقِّر من شأنها في نظر المسلمين المنتسبين إليها قبل أعدائها ، وهذا موجود منذ مئات السنين .

وإذا كان هذا التشويه من جانب أعداء الإسلام وخصومه ، وقيامِهم بنسج المفتريات حول شريعته ، لا يبدو مستغرَبا في نظر المسلم الذي يدرك مدى ما تنطوي عليه صدورهم من ضغائن ، وكيف أنهم نذروا أنفسهم لمناصبة الإسلام العداء، واستئصاله من الوجود: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف:٨] ؛ فإنه لمن المسغرب حقًا ، بل لمن المستنكَر ، أن يصدر هذا التشويه من جانب المسلمين ، أو يسمحوا بوجوده في مجتمعاتهم ، وعرضه على كبيرهم وصغيرهم !! وكأن ما نسجه أعداء الإسلام من أوهام ، وما اختلقوه من أكاذيب وشبهات ألصقوها به زورًا وبهتانًا ؛ علم نافع يجب أن يُنقَل للمسلمين على عواهنه ، ليسهم في صياغة عقولهم ، وتشكيل أفكارهم ، أو كأنه بضاعة مهمة ، تتوقف عليها نجابتهم في الحياة ، فلزم تسويقها ، أو ترويجها في سوق الثقافة والعلم !!

ولست أدرى ما المبرر ، وما المصلحة من بقاء وسائل ثقافة الطفل المسلم، وغيره ، عندنا غير نظيفة من هذا التلوث الفكري ، والانحطاط

العلمي ؟ وإلى متى ستظل تحمل الفكرة المسمومة ، والرأي السخيف ، كما يحمل الطعام الملوث الجراثيم التي تفتك بصحة الإنسان وتنغص عليه عيشه؟!

وأذكر في هذا الصدد مثالين من أمثلة كثيرة على تشويه الشريعة الإسلامية ونظمها في وسائل ثقافة الطفل المسلم ، وهما موجودان كذلك في وسائل الثقافة الموجهة للكبار .

فالمثال الأول : حول وضع المرأة في الشريعة الإسلامية .

والمثال الثاني : حول تشريع الجهاد في الإسلام .

أوّلا : تشويه الشريعة الإسلامية في مجال المرأة :

ومن هذا القبيل عرض فيلم «أريد حلاً» وهو يعتبر محاولة لضرب قيم ومبادئ الشريعة الإسلامية والطعن في تعاليمها ، فالقصة التي قام عليها، تصور حياة شابة اكتشفت بعد الزواج أن زوجها رجل فاسد الطباع منحرف الأخلاق ، فلجأت إلى القضاء الشرعي ، تطلب الطلاق للضرر، واستطاعت أن تثبت ذلك الضرر ، وبدلاً من أن ينصفها ذلك القضاء سد في وجهها أبواب الرحمة باسم الدين ، وضيق عليها منافذ الحياة باسم تعاليم الشريعة الإسلامية ، ثم ألجأها إلى رهبانية رهيبة لا يعرفها الإسلام، رهبانية امتصت رحيق شبابها وحيويتها ، وجعلها تصرخ : «أريد حلاً» ولم تجد حلاً فعاشت للعذاب والشقاء .

وهكذا صوروا لها الإسلام ، وصوروه لكل من شاهد الفيلم ، فالإسلام الذي أعز المرأة ورفعها إلى مستوى الإنسان بعد أن كانت تعامل معاملة السائمة والعبيد في أمريكا ، والذي سوى بينها وبين الرجل في الحقوق

والواجبات ، وجاء بتشريع كامل شامل ينظم الأسرة ويضمن للمـرأة كافـة أسباب الحياة الكريمة زوجة وبنتًا وأمًا .

ونتساءل كيف حدث هذا ، فتتجه أصابع الاتهام إلى المخرج فهـو مسـلم بحكم شهادة الميلاد ، وهو من ألد أعداء الإسلام بحكم نزعته واتجاهه ، لقد أخذ قصة تنقد بعض أوضاع المحاكم الشرعية في مصـر ، فحولهـا إلى معـول لهـدم الشـريعة ، واسـتند في إخراجهـا إلى عناصـر لا دينيـة ولهـا انتمـاءات ماركسية ثم أعدَّ لها دعاية ضخمة بلغت تكاليفها أكثـر مـن ميزانيـة الفـيلم نفسه ، وطبعًا دفعت هذه المبالغ جهات لها مصلحة في النيـل مـن الإسـلام وزعزعة إيمان ضعاف النفوس من أبنائه» [١] .

إن هذا الفيلم واحد من أساليب كثيرة تصب كلها في النهاية في أن المـرأة مهضومة الحقوق ، مهيضة الجناح في ظل الشريعة الإسلامية !

فهل هذا صحيح ؟

الحقيقة أن المرأة ما وجدت ولن تجد معاملة كـالتي عوملـت بهـا في ظـل الشريعة الإسلامية .

ولو استنطقنا التاريخ لنطق مؤكدًا علـى هـذه الحقيقـة ، ولـدمغ هـؤلاء المشوهين وأمثالهم بالجهل والتحيز !

ألم يقرأ هؤلاء شيئًا عما كانت تعامل به المـرأة قبـل الإسـلام ؟ ثـم عـن تعاليم الشريعة الإسلامية الغراء حول مكانة المرأة ، وكيـف أنهـا انتشـلتها من الضياع والمهانة والفناء؟

(١) الصحافة والأقلام المسـمومة ، ص١٢٩ ، ١٣٠ وراجـع هـامش رقـم (١) ص٤٢ : الملاحظـة الخاصة بأن الأطفال يشاهدون برامج أعدت أساسًا للكبار ، خاصة برامج التسلية .

أم أنهم لا يرون إلا الشبهات التي يظنونها معايب تقدح في الشريعة ، وتعمى أبصارهم عن رؤية الحقائق التي تدفع هذه الشبهات ، وتبطلها ، فكان حال أحدهم كالفأر الأعور يرى الخبز ولا يرى القط ؟ !

ألم يأتهم نبأ اليونان «أرقى الأمم القديمة حضارة وأزهرها تمدنًا في التاريخ» [(١)] إذ كانت المرأة عندهم «في غاية من الانحطاط وسوء الحال من حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعي جميعًا ، فلم تكن لها في مجتمعهم منزلة أو مقام كريم ، وكانت الأساطير اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية» تسمى (باندورا) ينبوع جميع آلام الإنسان ومصائبه ، كما جعلت الأساطير اليهودية حواء : العين التي تنشق منها جداول الآلام والشدائد وغير خاف على أحد ما كان لهذه الأسطورة اليهودية الشنيعة عن حواء من تأثير عظيم في سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قبل المرأة ، وما كان لها من مفعول قوي في حقول القانون والأخلاق والاجتماع عند هؤلاء الشعوب ، وكذلك أو دونه بقليل كان تأثير الأسطورة اليونانية عن (باندورا) في عقولهم وأذهانهم ، فلم تكن المرأة عندهم إلا خلقًا من الدرك الأسفل في غاية المهانة والذل في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، وأما منازل العز والكرامة في المجتمع فكانت كلها مختصة بالرجل»[(٢)].

والمجتمع الهندي القديم ؛ «وقد نزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء ، وكان الرجل يخسر امرأته في القمار ، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج فإذا مات زوجها صارت الموؤودة لا تتزوج ، وتكون هدف

(١) الحجاب . أبو الأعلى المودودي ص٨ دار التراث العربي للطباعة والنشر. القاهرة .
(٢) المرجع السابق .

الإهانات والتجريح ، وكانت أمة بيت زوجها المتوفي وخادم الأحماء ، وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تفاديًا من عذاب الحياة وشقاء الدنيا» [١] ، «وهي محتوم عليها أن تظل مملوكة لأبيها بكرًا ولبعلها ثيبًا ولأولادها أمًا ، ثم تقدم ضحية على نيران زوجها إذا مات عنها [٢] ، وتحرم حقوق الملكية والإرث وتلزم بأشد ما يكون من قوانين الزواج مما يسيغ تسليم الملكية إلى رجل من الرجال بغير رضاها واستصوابها ، ثم لا يجيز لها أن تتخلص من حيازته إلى آخر أنفاس حياتها ، وهي تُعتَقَد بعد ذلك مادة الإثم وعنوان الانحطاط الخلقي والروحي ، ولا يسلَّم لها حتى بوجود الشخصية المستقلة» [٣] .

وما خبر العرب في جاهليتهم عنا ببعيد ، وما كانوا يعاملون به المرأة في مجتمعاتهم غير خاف ، حيث كانت تحرم من أوجب حقوقها ، وهو حقها في الحياة ، إذ كانت توأد حية بلا ذنب ، وكانت لا ترث ، بل تورث ، وللرجل أن يتزوج عليها بأي عدد يشاء من النساء بلا تحديد ، وغير ذلك مما هو مفصل في كتب السير ، عن هذه المعاملة الذميمة .

ولعلهم يقولون : إن تلك نماذج قديمة بائدة مضى عليها الزمن ، وقد تغيرت الأوضاع ، فصار للمرأة شأنها وكيانها في الحضارة الحديثة .

والواقع أن هذا كلام فيه نظر ، فأي مكانة وأي كيان للمرأة في هذه الحضارة المزعومة حين تتخذ ملهاة ومتعة ، وسبيلا للانحراف والانحطاط

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٥١ ، ٥٢ .

(٢) إن الهنادك يحرقون موتاهم . وكانوا فيما مضى يحرقون زوج الميت معه حيًا ، حتى منعتهم الحكومات المسلمة ، والحكومة الإنكليزية بعدها من هذا الرسم القبيح. الحجاب ص١٩ هامش .

(٣) المصدر السابق ص١٩ .

الخلقي ، فلا تُقَدَر إلا بقدر ما تفرط وتسخو به من جسدها وتدنس من عرضها وتتنازل عن كرامتها وعفافها ... فأي كرامة لها هذا ؟!

ومع هذا ، فإن الناظر في واقع هذه الحضارة الغربية الحديثة ، يلمس سوء معاملة المرأة في ظلها ، إذ يتفشى ضرب النساء وإهانتهن على كافة المستويات ، وهذه مقتطفات يسيرة ، أضعها بين يدي هؤلاء المفترين على الإسلام ، لعلهم يتوبون أو يذكرون :

«دراسة أمريكية جرت في عام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) ، أشارت إلى أن ٧٩ ٪ من الرجال يقومون بضرب النساء بخاصة إذا كانوا متزوجين منهن ، وكانت الدراسة قد اعتمدت على استيفاء أجراه د.جون بيرير الأستاذ المساعد لمادة علم النفس في جامعة كارولينا الجنوبية بين عدد من طلبة الجامعة.

وقد أشارت الدراسة إلى أن استعداد الرجال لضرب زوجاتهم عال جداً . فإذا كان هذا بين طلبة الجامعة ... فلا شك في أنه أعلى نسبة بين من هم دونهم تعليماً» [1] .

«وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية : جاء أن ١٧ ٪ من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف : هن ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء . وإن ٨٣ ٪ دخلن المستشفيات سابقًا ، مرة على الأقل ، للعلاج من جروح وكدمات أصبن بها ، كان دخولهن نتيجة للضرب .

(١) من أجل تحرير حقيقي للمرأة. محمد رشيد العويد ص١٦ . حواء للنشر والتوزيع ، الكويت . ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م نقلاً عن جريدة القبس ١٥/ ١٢/ ١٩٨٨م .

وقال إفان ستارك مُعِد هذه الدراسة التي فحصت (١٣٦٠) سجلاً للنساء في المستشفيات : إن ضرب النساء في أمريكا ، ربما كان أكثر الأسباب شيوعًا للجروح التي تصاب بها النساء وإنها تفوق حتى ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات والسرقة والاغتصاب مجتمعة»[١].

وقالت جانيس مور ، وهي منسقة في منظمة «الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي» ومقرها واشنطن : «إننا نقدر بأن عدد النساء اللاتي يُضربن في بيوتهن كل عام ، يصل إلى ستة ملايين امرأة . وقد جمعنا معلومات من مكتب التحقيقات الفيدرالي ، ومن مئات الملاجئ التي توفر المأوى للنساء الهاربات من عنف وضرب أزواجهن» [٢] .

وقالت أمينة سر الدولة لحقوق المرأة في فرنسا «ميشال أندريه» : «حتى الحيوانات تعامل أحيانًا أحسن منهن . فلو أن رجلًا ضرب كلبا في الشارع فسيتقدم شخص ما بشكوى إلى جمعية الرفق بالحيوان . ولكن إذا ضرب رجل زوجته في الشارع فلن يتحرك أحد» [٣] .

وفي مدينة أمستردام في هولندا ، عقدت ندوة اشترك فيها مائتا عضو ، يمثلون إحدى عشرة دولة . وكان موضوع الندوة «إساءة معاملة المرأة في العالم أجمع» واتفق المؤتمرون على أن المرأة مضطهدة في جميع المجتمعات الدولية.

إحدى المشتركات في الندوة قالت : إن مسألة إيذاء الزوجات متفشية في كل المجتمعات ، وحتى زوجات القضاة والأطباء يلقين الأذى على أيدي

---

(١) المصدر السابق ص١٦.

(٢) المصدر السابق ص١٧.

(٣) المصدر السابق ص١٨.

أزواجهن ، والسلطات غافلة عن هذه المشكلة المأساوية [١] .

ونشرت مجلة «التايم» الأمريكية أن حوالي أربعة آلاف زوجة ، من حوالي ستة ملايين زوجة مضروبة تنتهي حياتهن نتيجة ذلك الضرب ، وأشار خبر نشره مكتب التحقيقات الفيدرالية جاء فيه أن أربعين في المائة من حوادث قتل السيدات ارتكبها أزواجهن .

وأشار أيضًا إلى دراسة جرت في أحد المستشفيات الأمريكية الكبيرة واستغرقت أربع سنوات ، وجاء فيها أن ٢٥ ٪ من محاولات الانتحار التي تقدم عليها الزوجات يسبقها تاريخ من ضرب الأزواج لهن . أي أنهن لا يجدن نجاة من هذا الضرب .. إلا في الانتحار [٢] .

فهل بمثل هذه المعاملات تحث الشريعة الإسلامية على معاملة المرأة ؟

إن المرأة لا تعامل في ظل الإسلام إلا بالاحترام والتكريم ؛ فهي إن كانت بنتًا ، فأبوها مأمور بالإحسان إليها ، والقيام برعايتها ، وله على ذلك أعظم الأجر عند الله ، فعن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن [٣] وضرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن** » فقال رجل : وابنتان يا رسول الله ، قال : «**وإن ابنتان**» . قال رجل: يا رسول الله ، وواحدة ؟ قال : «**وواحدة**»[٤] .

---

(١) المصدر السابق ص٢٠ ، ٢١.

(٢) من أجل تحرير حقيقي للمرأة ص٢٤.

(٣) **اللأواء** : الشدة وضيق المعيشة . النهاية في غريب الحديث والأثر جـ ٤ ص ٢٢١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ، ك البر والصلة جـ ٤ ص ١٧٦ ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التخليص . وأحمد في المسند ، الفتح الرباني ، كالبر والصلة ، ب الترغيب في إكرام الإناث جـ١٩ ص٤٩ ، وأبو داود في ك الأدب، ب في فضل من عال يتيمًا جـ ٤ ص٣٣٨ رقم ٥١٤٧، والترمذي في ك البر والصلة ، ب ما جاء في النفقة =

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «**من وُلِدَت له أنثى فلم يئدها ولم يُهِنها ولم يُؤثِر ولده يعني الذكر عليها أدخله الله بها الجنة**» [(١)] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من عال جاريتين حتى تدركا دخل الجنة أنا وهو كهاتين**» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى «**وبابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق**» [(٢)] .

وإن كانت زوجة فعلى زوجها أن يعاملها بما أمر الله ـ تعالى ـ في قوله : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء:١٩] .

وقوله : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:٢٢٨] . وإن كانت أمًا فهي أولى الناس بالرعاية والإحسان ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣] ، ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤] ، وإن كانت أختًا أو عمة ، أو خالة ، أو أية قريبة ؛ فهي من الأرحام الذين تجب صلتهم ، والبر بهم ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء:٣٦] ، وإن كانت أجنبية ؛ فيجب أن يعاملها المجتمع

= على البنات والأخوات جـ٤ ص٣٢٠ رقم ١٩١٦ ، وابن ماجة في ك الأدب ، ب بر الوالدين والإحسان إلى البنات جـ٢ ص١٢١٠ رقم ٣٦٦٩.

(١) رواه الحاكم في ك البر والصلة جـ٤ ص ١٧٧ وقال : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي . وأبو داود في ك الأدب ، ب في فضل من عال يتيمًا جـ٤ ص ٣٣٧ رقم ٥١٤٦.

(٢) رواه الحاكم في ك البر والصلة جـ٤ ص١٧٧ ـ وصححه ووافقه الذهبي وروي نحوه مسلم في ك البر والصلة ، ب فضل الإحسان إلى البنات وشرح النووي جـ١٦ ص١٨٠ رقم ٢٦٣١ ، والترمذي في ك البر والصلة، ب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات جـ٤ ص٣١٩ رقم ١٩١٥ ، وابن ماجه في ك الأدب ، ب بر الوالدين والإحسان إلى البنات جـ٢ ص١٢١٠ رقم ٣٦٧٠ ، والطبراني في المعجم الأوسط جـ١ ص٣٣٤ رقم ٥٦١.

معاملة كريمة تحفظ عليها حياءها ، وتصون كرامتها في إطار مبادئ الأخلاق والسلوكيات الاجتماعية التي فرضها الإسلام وحذر من الخروج عليها .

ويذكّر الرسول ﷺ المسلمين ، ويوصيهم بالنساء خيرًا ، في حجة الوداع ، فيقول على رؤوس الأشهاد : «**واستوصوا بالنساء خيرًا ، فإنهن عندكم عوان** [(١)] ، **لا يملكن لأنفسهن شيئًا وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله**» [(٢)] .

ثم إن الإسلام يعلن أن المرأة أحد عنصرين يتكون منهما الجنس البشري : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء:١] . ونهى عن قتل الأولاد ذكورًا كانوا أم إناثًا ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الأنعام:١٥١] ، ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٤٠] . وجعل لها نصيبًا في الميراث : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء:٧] ، وجعل لها الحق في إبداء رأيها فيمن يريد الزواج منها ، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «**لا تُنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تُنكح البكر حتى تستأذن**» قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : «**أن تسكت**» [(٣)] ، وغير ذلك من الأحكام ، والنظرة

---

(١) أي : أسيرات .

(٢) رواه ابن إسحاق . السيرة النبوية ٢/ ٦٠٤ .

(٣) أخرجه البخاري في ك النكاح ، ب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها جـ٦=

السامية القائمة على العدل والإحسان ، والتي يتجلى من خلالها التكريم العظيم للمرأة . فهل بعد ما ذكر ، ومثله كثير ، هناك مسوغ لاتهام الشريعة الإسلامية بالتضييق على المرأة وهضم حقوقها ، وتصويرها في ظل أحكام الشريعة بصورة من فُرضت عليه قيود ، وأحاط به المتآمرون ، وضربوا حوله أسوارًا من الظلم والظلمات ، حتى صار يريد مخرجًا ، أو حلاً ؟

وبعد : فمن هي التي بحاجة إلى حل لمشكلاتها ، وأوضاعها المتردية ؛ أهي المرأة في ظل الشريعة الإسلامية ، والنور الإلهي ، أم تلك التي تعيش في ظل الجاهلية ـ قديمها وحديثها ؟!

ثانيًا : الزعم بأن الجهاد كان لإكراه الناس على اعتناق الإسلام ، ونشره بالقوة :

وهناك أكثر من وسيلة تروج لمثل هذه الأفكار ، ومنها كتب تُدَرَّسُ في مدارس التنصير في العالم الإسلامي ، بل وفي بعض المدارس الوطنية .

وقد عرض صاحب كتاب «التبشير والاستعمار» لبعض النماذج من الكتب تدرس في المدارس النصرانية ـ والتي يؤمها أبناء المسلمين ـ وقد جاء

= ص١٣٥ ، ومسلم في ك النكاح ، ب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت ، مسلم بشرح النووي جـ٩ ص٢٠٢ رقم ١٤١٩ ، وأبو داود ك النكاح ، ب في الاستئمار جـ٢ ص٢٣١ رقم ٢٠٩٢، الترمذي في ك النكاح ، ب ما جاء في استئمار البكر والثيب جـ٣ ص٤١٥ رقم ١١٠٧. وأخرجه أحمد ، الفتح الرباني ك النكاح ، ب ما جاء في إخبار البكر واستئمار الثيب جـ٦ ص١٥٧ ، ومالك في الموطأ ك النكاح ، ب استئذان البكر والأيم في أنفسهما جـ٢ ص٥٢٤، ٥٢٥ ، والدارمي في السنن ك النكاح ، ب استئمار البكر والثيب جـ٢ ص ١٨٦ رقم ٢١٨٦ ، والنسائي في ك النكاح ، ب استئمار الثيب في نفسها ، وابن ماجه في ك النكاح ، ب استئمار البكر والثيب جـ ١ ص٦٠١ـ٦٠٢ رقم ١٨٧٠ ، ١٨٧١.

في بعضها مما نحن بصدده ، الآتي :

«والقرآن مجموعة ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم ، وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة» [١] .

وفي كتاب آخر : «إن محمدا مؤسس دين المسلمين ، قد أمر أتباعه أن يُخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو [٢] ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى . إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس : «أسْلِموا أو تموتوا» بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم .

ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ؟ إذًا لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين» .

وتحت عنوان «غزوات النبي» جاء في كتاب مدرسيّ ما نصه :

«زاد غضب النبي من قريش ، لأنهم رفضوا الإيمان بالله ، ولم يعتنقوا الدين الإسلامي ، وكذلك عذبوا المسلمين وطردوهم من وطنهم «مكة» ونهبوا أموالهم ، فعزم النبي على محاربتهم ، وقطع طريق التجارة بينهم

---

(١) التبشير والاستعمار ، ص٧٤ . والنص مقتبس من كتاب درس في الصف الرابع من المدرسة البطريركية في بيروت. ويدرس بلا ريب في مدارس أخرى كثيرة في لبنان وفي غير لبنان (وهو مطبوع في لبنان) ص٣٢ منه ، والاسم الكامل لهذا الكتاب هو هذا : تاريخ محاضرات ج . إيزاك حررها أ. ألبا. للشرق الأدنى ، لطلبة الصف الخامس (العصور الوسطى) طبعة مطابع الآداب الفرنسية في بيروت .

(٢) السابق ص٧٥. والكتاب المشار إليه اسمه : تاريخ فرنسة ، تأليف غيومان وف لوستير (لصفوف الشهادة الابتدائية) ص٨٠ ، ٨١ منه . يدرس في مدرسة القديس يوسف في بيروت، وفي مدارس هذه الإرسالية في غير بيروت بلا ريب .

وبين الشام ، كما قرر أن ينشر الإسلام في بلاد العرب بالقوة ، ولذلك بدأت بينه وبين قريش حروب ، تعرف بالغزوات ، وأولاها غزوة بدر» [1] .

والحق أن هذه المزاعم وأمثالها لا تقوم على أدنى دليل من الصحة ، وليست إلا تشويها متعمدًا للإسلام ، فليس في الإسلام نص يأمر بإكراه الناس على اعتناقه ، وما شرع الجهاد ، أو كانت الحروب في الإسلام ، لفرض الدين على أحد بالقوة ، أو بالسيف ، وهذا واضح تمام الوضوح لكل متجرد عن الهوى ، وبريء من التعصب أو التحيز .

أو ليس قد قال الله ـ تعالى ـ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

وقال : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩] .

ولو كان الإسلام يتبنى مبدأ قسر الناس ، وحملهم على اعتناقه بأية وسيلة كانت ، حتى يزول كل دين سواه ، ولا يبقى غيره ؛ لما بقي في ظل الحكم الإسلامي طوائف من غير المسلمين ، لهم كنائسهم ومعابدهم ، وحريتهم في ممارسة شعائر دينهم ، وقد كانوا آلافًا مؤلفة ، على عكس غير المسلمين ، عندما يتمكنون من أي قطر من أقطار الإسلام ، إذ يُكرِهون أهله على ترك دينهم ، وإلا فالجحيم الذي ينتهي بالموت ينتظرهم ، وما خبر المسلمين في الأندلس ، عندما ظهر عليهم النصارى ، عنا ببعيد ،

---

(١) تاريخ مصر والإسلام ، للسنة الخامسة الابتدائية . تأليف محمد عبد الرحيم مصطفى ، إبراهيم نمير سيف الدين ص٨٨ . وزارة المعارف العمومية . مصر ١٣٧٢هـ ١٩٥٧م .

حيث جهد النصارى وجدوا في تدميرهم ، واستئصال شأفتهم ، وإبادة خضرائهم ، حتى عفّوا على كل أثر للإسلام هناك .

«إن الشيء الذي يغيظ أعداء الحقيقة ، هو أن الإسلام زودته العناية بتعاليم تجعله صلب المكسر ، لا يستطيع الباطل أن يجتاحه بسهولة ، ولا أن ينال منه بيسر. بل نقدر أن نقول : لقد كان هذا الباطل يزأر في عرصات الدنيا دون تهيب ، ويزعج الآمنين في كل قطر دون وجل .

فلما ظهر الإسلام واشتبك الباطل معه على عادته ـ عاد من هجومه مقصوم الظهر ، مخضوب الكف . فراح يجأر بالشكوى : إن الإسلام دين سيف» [(١)] .

نعم : إن الإسلام استعمل السيف واستخدم القوة ، وحث ـ ولا يزال يحث ـ على الجهاد ، ولكنه لم يكن من أهدافه ـ قط ـ إكراه الناس على اعتناقه ، وإنما له من وراء الجهاد أهداف سامية ، لابد من تحقيقها لصالح البشرية جمعاء . وأدع المجال للشهيد سيد قطب [(٢)] ـ رحمه الله ـ يجلي بقلمه هذا الأمر ، على النحو التالي [(٣)] :

لقد انتضى الإسلام السيف ، وناضل وجاهد في تاريخه الطويل. لا ليكره أحدًا على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد .

جاهد الإسلام أولاً ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا

---

(١) مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ص١٢٩ دار الكتب الحديثة . القاهرة. الطبعة الرابعة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦م .

(٢) هو المفكر الإسلامي المعروف والداعية المجاهد والأديب العالم سيد قطب ، ابتلي في الله فكان من الصابرين ، الذين آثروا ما عند الله ، حتى لقى الله شهيدًا محتسبًا عام ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م ، بعد أن حكمت عليه محكمة الطواغيت بالموت ظلمًا وعدوانًا.

(٣) في ظلال القرآن ١/ ٢٩٤ وما بعدها ، وانظر أيضًا : مع الله ، ص١٢٩ وما بعدها .

يسامونها ، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم ، وقرر ذلك المبدأ العظيم الذي سلف تقريره في هذه الصورة ـ في الجزء الثاني ـ ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١] ، فاعتبر الاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها ، وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها . فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم. وإذا كان المؤمن مأذونًا في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله ؛ فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه .. وقد كان المسلمون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون . ولم يكن لهم بد أن يدفعوا هذه الفتنة عن أعز ما يملكون . وما يزال المسلمون يسامون الفتنة في أرجاء المناطق الشيوعية والوثنية والصهيونية والمسيحية في أنحاء من الأرض شتى .. وما يزال الجهاد مفروضًا عليهم لرد الفتنة إن كانوا حقًا مسلمين !

وجاهد الإسلام ثانيًا لتقرير حرية الدعوة ـ بعد تقرير حرية العقيدة ـ فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة ، وبأرقى نظام لتطوير الحياة ، جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها ؛ ويبلغه إلى أسماعها وإلى قلوبها . فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ولا إكراه في الدين . ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة ؛ كما جاء من عند الله للناس كافة . وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يعتنقوا وأن ينضموا إلى موكب الهدى إذا أرادوا . ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين أيضًا . فجاهد ليحطم هذه النظم الطاغية ، وليقيم مكانها نظامًا عادلاً يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان وحرية الدعاة .. وما يزال هذا الهدف ، وما يزال الجهاد مفروضًا

على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين !

وجاهد الإسلام ثالثًا ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه .. وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان ، حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعالي ، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها . فليس هنالك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس أو تستذلهم عن طريق التشريع ، إنما هنالك رب واحد للناس جميعًا هو الذي يشرع لهم على السواء ، وإليه وحده يتجهون بالطاعة والخضوع ، كما يتجهون إليه وحده بالإيمان والعبادة. فلا طاعة في هذا النظام لبشر إلا أن يكون منفذًا لشريعة الله . موكلاً عن الجماعة للقيام بهذا التنفيذ . حيث لا يملك أن يشرع هو ابتداء ، لأن التشريع من شأن الألوهية وحدها ، وهو مظهر الألوهية في حياة البشر ، فلا يجوز أن يزاوله إنسان فيدعى لنفسه مقام الألوهية وهو واحد من العبيد !

هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان ، حتى لمن لا يعتنق عقيدة الإسلام ، وتصان فيه حرمات كل أحد حتى الذين لا يعتنقون الإسلام ، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن في الوطن الإسلامي أيًا كانت عقيدته . ولا يُكْرَه فيه أحد على اعتناق عقيدة الإسلام ، ولا إكراه فيه على الدين إنما هو البلاغ .

جاهد الإسلام ليقيم هذا النظام الرفيع في الأرض ويقرره ويحميه . وكان من حقه أن يجاهد ليحطم النظم الباغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر، والتي يدّعي فيها العبيد مقام الألوهية ويزاولون فيها وظيفة الألوهية ـ بغير حق ـ ولم يكن بد أن تقاومه تلك النظم الباغية في الأرض

كلها ، وتناصبه العداء ، ولم يكن بد كذلك أن يسحقها الإسلام سحقًا ليعلن نظامه الرفيع في الأرض .. ثم يدع الناس في ظله أحرارًا في عقائدهم الخاصة لا يُلزمهم إلا بالطاعة لشرائعه الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والدولية . أما عقيدة القلب فهم فيها أحرار ، وأما أحوالهم الشخصية فهم فيها أحرار ، يزاولونها وفق عقائدهم ، والإسلام يقوم عليهم يحميهم ويحمي حريتهم في العقيدة ويكفل لهم حقوقهم ، ويصون لهم حرماتهم ، في حدود ذلك النظام .

لم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناقه عقيدة ؛ ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه ، إنما جاهد ليقيم نظامًا آمنًا يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعًا ، ويعيشون في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته .

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.. نعم ولكن ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال:٦٠] . اهـ .

ثم إن الحوادث التاريخية لم تثبت قط أن شعبًا دخل في الإسلام ثم ارتد عنه ، بل ما دخل أحد الإسلام وآمن به ، إلا ثبت عليه ولو نشر بالمناشير ، أو مشط الحديد ما دون عظمه ولحمه .

وهذه الحقيقة التاريخية تدل وحدها دلالة قاطعة على أنه لم يثبت أن شعبًا أُكرِه على الدخول في الإسلام والإيمان به .

ووجه دلالتها : أنه يستحيل أن يكون ذلك الثبات على الإسلام والموت

دونه من جانب من اعتنقوه ، وليد إكراه ، أو ضغوط مادية أو معنوية ؛ إذ المُكْرَه أو المغلوب على أمره في أي شيء يتحيّن الفرص ويترقب الأمور ، حتى يأتي الوقت المناسب لأن يتخلص فيه ، ويتحلل مما أُجبر على الالتزام به، والدخول فيه ، وقد مرت بالمسلمين محن عاصفة ، ووقعت بهم هزائم عسكرية ، كان من الميسور لأي شعب أكره على اعتناق الإسلام ، أن يرتد ، ويتخلص من التزامه بالإسلام ـ على فرض وجود ذلك ـ وأن يجد من يردعه في ذلك الحين ، ومن أوضح الأمثلة على هذا مسلمو الأندلس ، حينما زالت دولة الإسلام هناك ، وظهر عليهم النصارى فلو لم يكن أولئك المسلمون قد أسلموا برضاهم ، وخضعوا لله رب العالمين طواعية ، لما وجد النصارى وقودًا لنيرانهم وسجونهم ، من البشر الذين أبوا إلا أن يموتوا على الإسلام وأن يقولوا : ربنا الله .

بل في بعض فترات التاريخ ، كان الغالبون يدخلون في الإسلام المهزوم أهله عسكريًا ، كالتتار الذين أسلموا وحسن إسلامهم .

وختامًا ؛ أقدم هذه الشهادة لواحد من غير المسلمين ، لكنه منصف ، وهو غوستاف لوبون ، لعلها تجد صدى لدى المتحاملين على الإسلام ، وخاصة أولئك الذين يطربون لما كان صادرا عن أحد الغربيين ، يقول فيها :

«إن القوة لم تكن عاملاً في نشر القرآن ، وإن العرب تركوا المغلوبين أحرارًا في أديانهم . فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا ، واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها

الأديان الأخرى ، وقد عاملوا أهل سورية ومصر وإسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم ، تاركين لهم قوْانينهم ونظمهم ومعتقداتهم ، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم ، وحفظ الأمن بينهم . والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء مثل العرب» [١].

أليس من الأولى أن تعرض هذه الحقائق الناصعة على الطفل المسلم ، وتقدم له خالصة من الشوائب ، بدلاً من تلك المغالطات والسموم الفكرية التي تصيبه بالاشمئزاز والنفور من الشريعة وعدم الثقة فيها ، والالتزام بها؟!

٢ ـ الترويج لإحلال مذاهب غير إسلامية محل الشريعة الإسلامية ونظمها:

ولقد صاحب الدعوةَ إلى عزل الإسلام عن شؤون الحياة وحصره في زاوية الطقوس والشعائر الروحية ، الترويجُ لمذاهب غير إسلامية ، والزعمُ بأنها هي المخرج مما فيه المسلمون من أزمات وجوائح ، وأنها كفيلة بإصلاح شؤونهم ، وأن سعادتهم تكمن في تطبيقها والأخذ بها بقوة .

وهذه المذاهب التي يراد تبنيها على حساب الشريعة الإسلامية ، في هذا المجال أو ذاك ، هي مذاهب مستوردة ، وبضاعة غريبة عن المسلمين ، مناقضة للإسلام ، وهي تحمل في طياتها عوامل إفلاسها وأسباب فشلها ، ويأبى الله إلا أن تنكشف سوءاتها ، وتُهتَك أستارُها ، ويَظهر عُوارها ، فإذا هي لا تسمن ولا تغني من جوع .

والحقيقة ، أن الشريعة الإسلامية جاءت بنظم وتشريعات قمينة بإسعاد البشر ، وإصلاح شؤونهم كلها ، إذا ما طُبقت بتكامل وشمول ، وكما

(١) سماحة الإسلام د./ أحمد محمد الحوفي ، ص٢٠٠ دار نهضة مصر للطبع والنشر. القاهرة الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م . نقلاً عن حضارة العرب ، جوستاف لوبون ص١٤٥.

أراد الله عز وجل ، وكان أولى بالمسلمين ـ خاصة في هذا العصر الذي جربوا فيه كل مذهب ، واتبعوا كل ناعق ، وجروا في ركاب الشرق مرة والغرب أخرى ، فلم يغن كل هذا عنهم شيئًا ، وما زادهم إلا شقاء وهما ـ كان الأولى بهم ألا يتبنوا شيئًا من المذاهب الوافدة أو يروجوا لشيء منها ، وأن يسارعوا إلى النور الإلهي ، والتشريع الرباني ، فيطبقوا تعاليمه ، وينفذوا وصاياه ، ويلتزموا بنظمه ، ولكن لا يزال ـ للأسف ـ كثير من الناس ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

وكان من صور الترويج لمذاهب غير إسلامية ؛ الترويج «للاشتراكية» خاصة في المجال الاقتصادي ، حيث زعموا أنها هي الحل والمنقذ لما أصاب العالم العربي من تردٍّ في الجانب الاقتصادي ، وقامت أقطار إسلامية عديدة بتبني هذا المذهب ، أخذًا عن الاشتراكية في أوربا بشقّيها ، وهما : «الاشتراكية الماركسية التي تنسب إلى كارل ماركس» [(١)] و «الاشتراكية الديمقراطية التي يمثلها حزب العمال البريطاني ، وتسمى الاشتراكية الفابية» ، نسبة إلى «الجمعية الفابية» التي دعت في إنكلترا بعد أن تأسست عام ١٨٨٤ ، إلى «اشتراكية إصلاحية لا هدامة» [(٢)] فتبنتها أقطار إسلامية في أفريقيا ،

(١) التضليل الاشتراكي . د/ صلاح الدين المنجد ص١٣ ، ط. الثالثة .

(٢) السابق ص ١٨ ، وهذه وتلك اشتراكية ، لكن بينهما فروق واختلافات، أظهرها أن الاشتراكية الماركسية تعتمد اللجوء إلى الثورات والانقلابات وأعمال العنف في التغيير، والاشتراكية الفابية ترفض النضال العنيف بين الطبقات، وتفضل أن يكون التغيير المطلوب = = بطريق الإصلاح الدستوري. بالإضافة إلى فروق أخرى .. انظر : المرجع السابق ص١٣ ـ ٢٤.

وفي المغرب العربي ، وفي بلاد الشام ، وغيرها من المناطق وفرضتها على الناس ، ولا تزال الدعوة إليها قائمة إلى الآن في أكثر من قطر من الأقطار العربية المسلمة .

ولا تزال تستخدم وسائل الثقافة لبثها وحمل الناس على قبولها واعتناقها، بشتى الأساليب ، وعلى مختلف المستويات والقطاعات ، ومنها وسائل ثقافة الطفل ، حيث تغزو هذه الدعوة عقله وقلبه من خلال وسائط كثيرة ومؤثرة ، مثل المناهج التعليمية ، وهذا أمر واضح جدًا في مناهج تلك الأقطار التي تتبنى الاشتراكية ، بالإضافة إلى أنه لا يزال هناك كثيرون من كتاب «أدب الأطفال» في بعض البلاد الإسلامية ، يبثون مثل هذه السموم في كتاباتهم ، ويوصون بتبنيها عندما يُنظِّر أحدهم لأدب الأطفال [(١)].

هذا ، وإذا أردنا أن نعرف تصورًا عن معنى الاشتراكية فسنلاحظ عدم الاتفاق من جانب الاشتراكيين على تعريف موحد ، فهناك معسكران يتنازعان فهم معناها وهما الاشتراكيون الماركسيون ، والاشتراكيون الديمقراطيون ، ثم هناك ما يزعم بأنها اشتراكية عربية ، والأولى أن يقال «التطبيق العربي للاشتراكية لا الاشتراكية العربية» [(٢)].

وقد قال أحد الأوربيين في كتاب له عن الاشتراكية : «إن الاشتراكية كلمة عامة وإنها تعني أشياء مختلفة عند أناس مختلفين حتى إنه بلغت

(١) انظر : أدب الأطفال نظريًا وتطبيقًا . عبد الله أبو هيف ص١٣ ، ٣٠ ، ١٢٠. منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٨٣م . في أدب الأطفال د./علي الحديدي ص١١٤. الناشر مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٧٦م .

(٢) الحلول المستورد وكيف جنت على أمتنا ، د./ يوسف القرضاوي ص١٥٦. الناشر مكتبة وهبة . القاهرة . الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

معانيها المئتين، في بريطانيا وحدها. فرأى بعضهم أنها أكثر التنظيمات الاجتماعية كفاءة واحتكامًا إلى العقل لاستخدامها الموارد الإنسانية والمادية أحسن استخدام. ورأى فريق آخر وهم الماركسيون، أن الاشتراكية هي الخطوة الوحيدة الممكنة والمنطقية لتقدم البشرية .. إلى غير ذلك من التفسيرات» [١].

ومع اختلاف التفسيرات للاشتراكية؛ فإنها جميعًا تمثل «النزعة الجماعية» في مقابل «النزعة الفردية». وتدعو إلى رفع الظلم الاجتماعي عن كاهل الفئات الفقيرة والضعيفة، وهذا هو موضوع الإغراء فيها ـ وموضوع لقائها مع الإسلام أيضًا ـ كما أنها تؤيد تدخل الدولة لتقييد حرية التملك والتصرف في المال. بما يمنع الاحتكار والاستغلال وهذا يؤيده الإسلام أيضًا في حدود.

وفيما عدا هذه الملامح الرئيسية تختلف المذاهب أو المدارس الاشتراكية اختلافًا كثيرًا: في الأهداف حينا، وفي الوسائل أحيانًا، فبعضها قريب إلى الاعتدال، وبعضها قريب إلى التطرف.

وبعضها شديد التطرف. وإنما قلت: «قريب إلى الاعتدال» قصدًا؛ لأن الاشتراكية بمختلف نزعاتها ـ ككل المذاهب الاشتراكية ـ ينقصها التوازن والاعتدال.

وآية ذلك: أن المذاهب الاشتراكية ـ بصفة عامة ـ تناهض الملكية الفردية مهما تكن أسبابها وطرائقها.

---

(١) التضليل الاشتراكي ص١٢، وقد عزا الكلام إلى «نورمان ماكنزي» في كتابه عن الاشتراكية ص٧، ٨.

قال أحد الاشتراكيين الفرنسيين ، بعد أن أشار إلى الاختلاف الكائن بين الفرق الاشتراكية : «...وإنك لا تجد داخل كل فرقة أو شعبة إلا خصومات عنيفة تحفل بالأسى والمرارة . ولكن عاملاً مشتركًا يوحد بين هذه الاشتراكيات جميعها ، وهدفًا واحدًا ينظمها ويقرب بينها ، وهو إلغاء الملكية الخاصة : مصدر كل ظلم ، ولكل جور وكل حيف في المجتمع» [(١)].

ومن مبادئ الاشتراكية الأوربية ـ خاصة الماركسية ـ أخذت ما تسمى «الاشتراكية العربية» ، وعلى أسسها قامت ، ومن كدرها استقت وتشربت ، مع وجود بعض الفروق في التطبيق ، فرضتها أحوال الجماهير المسلمة ، وتدينها وتعمق روح الإسلام لديها في البلاد العربية والإسلامية .

وقد أشار صاحب كتاب «التضليل الاشتراكي» إلى تاريخ الاشتراكية في البلاد العربية ، فقال : «لقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية حركات اشتراكية في مصر وسورية ولبنان ، ولكنها بقيت هزيلة. ولم تصبح الاشتراكية ذات شأن إلا حين قرر الرئيس عبد الناصر [(٢)] في تموز ١٩٦١م تطبيق الخطوات الأولى من الاشتراكية ، فكانت مصر بذلك أول بلد اشتراكي النظام في العالم العربي ، واتخذت الاشتراكية هدفها ، وقررت العمل على «وحدة الهدف» أي على نشر الاشتراكية في البلاد العربية»[(٣)].

---

(١) الحلول المستوردة (السابق) ص١٤٩، ١٥٠ بتخليص وتصرف .

(٢) هو جمال عبد الناصر، رئيس مصر الأسبق، كان علمانيًّا قوميًّا اشتراكيًّا ، وقد سخر أجهزة إعلام الدولة ووسائل الثقافة الأخرى ـ في عهده ـ لنشر القومية العربية بمفهومها العلماني، وكذلك الاشتراكية. وقد ذكر صاحب كتاب التضليل الاشتراكي في ص١٠١، أنه قال في إحدى خطبه (تموز ١٩٦١): «إن رجال الدين يصدرون فتوى بفرختين، وإنهم أُجَراء للرجعية، أُجَراء للإقطاع أجراء للرأسمالية».

(٣) التضليل الاشتراكي ص ٢٥ ، الحلول المستوردة ص١٥١ ، وما بعدها .

ويؤكد أن الاشتراكية التي تبنتها مصر ، وظهرت واضحة في «الميثاق» الذي أعلنه عبد الناصر ، ليس لها إلا مصدر واحد ، هو الاشتراكية الماركسية . حتى ليقول : فليس في الدنيا «علم» تستمد منه «الاشتراكية» ـ على اختلاف ألوانها ـ أصولها ومبادئها إلا «الماركسية» سواء اتبعوا كل تعاليمها أو أهملوا بعضها . فهي النور الأول لجميع الاشتراكيين الذين جاؤوا بعد ماركس.

ولو أننا استعرضنا التطبيقات الاشتراكية التي أنجزت في مصر ، مبتدئين بتحطيم الرأسمالية ، وقهر البرجوازية التي أطلق عليها اسم «الرجعية» مارين بالتأميم على اختلاف أنواعه ، وبالتنظيمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لما وجدناها إلا مستوحاة من الأصول الماركسية. إن روح ماركس ترفرف فوقها. ولا يهمنا أنها اختلفت عنها في أمور ثانوية اقتضتها الظروف الحاضرة ، أما المبادئ فواحدة .

ولو أننا عارضنا بعض التعابير بل الألفاظ الواردة في الميثاق ، بما جاء في أقوال ماركس وتعاليمه لوجدناها «طبق الأصل» .

إن الاشتراكية على ما أظهرها ماركس قد أصبحت عقيدة عالمية. فكل ما نسب أو تسمى باسم «الاشتراكية» فهو مستمد منها ؛ لأن هناك مبادئ محددة معينة لابد من توفرها في أي دعوة ما ، لكي يطلق عليها اسم «الاشتراكية الماركسية» وهذه المبادئ موجودة في الميثاق [1].

ثم عقد فصلاً بعنوان : « الموافقات بين مبادئ ماركس ومبادئ الميثاق » [2] ، أثبت في مضامينه ما يؤكد هذا العنوان .

---

(١) التضليل الاشتراكي ص٣٠ ، ٣١ .

(٢) المصدر السابق ص٣٥ .

هذا ، وقد اعترف الاشتراكيون العرب الصرحاء بأن «الاشتراكية» ليست مذهبًا اقتصاديًا فحسب ، وإنما هي مذهب للحياة يمتد إلى الاقتصاد والتربية والتعليم والصحة والاجتماع والأدب والتاريخ والأخلاق ، وإلى كل أوجه الحياة صغيرها وكبيرها [1] ، فهي بهذا يريد لها أصحابها أن تكون مسيطرة على كل الحياة في المجتمع ، ولا ترضى أن يشاركها في هذه السيطرة مذهب آخر ، وخاصة الدين ، وما حدث في الصومال وغيره من بلاد المسلمين في عصرنا الحاضر ، شاهد على هذا.

بل لقد اعتاد الاشتراكيون العرب الهجوم على الدين في وقاحة سافرة ، حتى ليظن المرء بأن لا أحد أصلب منهم وجهًا ، أو كأن الله عافاهم مما ابتلى به كثيرًا من خلقه من الحياء !

وقد كتب أحدهم مقالاً ، قبل نكسة يونيو ١٩٦٧م بشهر واحد ، يطفح كفرًا وحقدًا ، ويقطر بذاءة وسمًا ، يقول فيه :

استنجدت أمة العرب بالإله ، فتشت عن القيم القومية في الإسلام والمسيحية ، استعانت بالنظام الإقطاعي والرأسمالي ، وبعض النظم المعروفة في العصور الوسطى ، كل ذلك لم يجد فتيلا ، ومع كل هذا شمرت أمة العرب عن ساعديها ونظرت بعيدًا لترى طفلها الوليد يقترب شيئًا فشيئًا .. وهذا الوليد ليس إلا الإنسان الجديد .

الإنسان المتمرد على جميع القيم المريضة الهزيلة في مجتمعه .. التي هي

(١) انظر: الحلول المستوردة ص١٦٠ـ ١٦٣، حيث ذكر اعترافًا بهذا الصدد للدكتور منيف الرزاز الذي انتخب زمنًا ما أمينًا عامًا لحزب البعث الاشتراكي العربي، عن كتاب «دراسات في الاشتراكية» الذي صدر سنة ١٩٦٠م ويحمل مقالات لعدد من قادة البعث.

ليست إلا وليدة الإقطاع والرأسمال والاستعمار .. تلك القيم التي جعلت من الإنسان العربي إنسانًا متخاذلاً متواكلاً ، إنسانًا جبريًا مستسلمًا للقدر .. إنسانًا لا يعرف إلا أن يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !!

أما القيم الجديدة التي ستخلق الإنسان العربي الجديد فهي قيم نابعة من صلب الإنسان المتمرد المعذب ، نابعة من قلب الإنسان الجائع ، نابعة من الإنسان الاشتراكي الثوري الجديد ، الذي لا يؤمن إلا بالإنسان ، وبالإنسان وحده .

والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع والرأسمال والاستعمار ، والمتخمين ، وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ .

ونحن إذ نشترط من إنساننا الجديد رفضه للقيم السابقة ، علينا أن نضع قيمًا جديدة محدودة . ليس غير الموت ، لن يكون هناك نعيم أو جحيم ، بل سيصبح ذرة تدور مع دوران الأرض . لذلك هو مضطر إلى أن يقدم كل ما يملك لأمته ولإنسانيته دونما مقابل «كزاوية صغيرة من الجنة مثلاً» [١].

ومن التضليل الذي يراد له أن ينطلي على الناس ما يتشدق به الاشتراكيون أحيانًا من الزعم بأن نسب الاشتراكية يتصل بالإسلام ، وأنها ليست مجافية له ، أو غريبة عنه ، وهذا كذب وافتراء مبين . «فلو افترضنا أن في اشتراكية (ماركس) مثلاً شيئًا ما يشبه ما في تعاليم (بوذا) فلا يمكن أن نجعل (ماركس) بوذيًا ولا عقيدته بوذية. ولو فعلنا لا تهمنا حتمًا

---

(١) المصدر السابق ص١٦٣ ، ١٦٤ . نقلاً عن مقال نشرته صحيفة «جيش الشعب» السورية بقلم «إبراهيم خلاص» قبل نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ بشهر واحد .

بالجنون أو بالكذب والتضليل ، وكذلك الأمر عن الإسلام أيضًا ؛ لأن لكل عقيدة كيانًا متميزًا عن كيان سواها ، وأهدافًا لا تطابق أهداف غيرها. وقد يتشابه شخصان في بعض الجزئيات فلا يجعلهما هذا التشابه شخصًا واحدًا ، ولا يجعل بينهما نسب قرابة» (١).

وإن كل دارس للاشتراكية يعلم أنه لا سبيل لالتقائها بالإسلام ، أو التقائه بها ، فلا يمكن أن يكون الإسلام اشتراكيًا ، ولا تكون الاشتراكية إسلامية .

وكيف يلتقي الشيء ونقيضه ؟ إذ الإسلام رباني المصدر ، له رؤيته الخاصة بالكون والحياة ، ونظرته المتميزة إلى الإنسان وعلاقته بغيره ، وأصل نشأته ومصيره . ونحو هذه الأمور ، وله نظمه التي يجب أن تطبق وتسود ، والاشتراكية تتعارض معه منذ البداية ، فهي بشرية ، ونبتت في تربة غير إسلامية ، وهي تنظر إلى كل شيء نظرة مادية بحتة ، وأصحابها يريدون لها أن تكون مذهبًا يحكم جميع الحياة ، فهم لا يسمحون للإسلام بأن يطبَّق في مجتمع الاشتراكية (٢).

تلك حقيقة الفكر الاشتراكي ؛ فكر متعارض مع الإسلام ، ومذهب معاد لشرع الله ، وسائر الأديان ، فهل آن الأوان لأن تتنظف منه وسائل ثقافتنا ، وتبرأ من صوره ومظاهره ؟ وخاصة وسائل ثقافة الطفل المسلم ؟

هلا عرضنا لآبائنا كيف تحقق الشريعة الإسلامية الرخاء الاقتصادي، والعدل الاجتماعي من غير داع «لحتمية الصراع بين الطبقات» وضرورة

---

(١) التضليل الاشتراكي ص١٠، ١١.

(٢) كتب الأستاذ الدكتور/ يوسف القرضاوي تحت عنوان «هل بين الإسلام والاشتراكية نسب» ما يفند هذا التضليل في كتابه الحلول المستوردة ص٣١١ ـ ٣١٨ ، فليرجع إليه من أراد.

اللجوء إلى «الثورات» والعداوات والبغضاء ، واعتداء على حرية الأفراد، ومصادرة غريزة التملك ، وقتل روح العمل والجد والاجتهاد ؟!

هلا شرحنا لهم سمو تشريع الزكاة ، وآثاره في سد حوج الفقير وتطييب خاطره ، واستلال سخيمته [١] باللطف والتراضي ، وتطهير مال الغني ؟!

هلا بينا لهم حث الإسلام على الصدقة ، والتواصل والكرم والمرحمة ، بل والإيثار ابتغاء مرضاة الله ، من غير انتظار جزاء ولا شكر من أحد ؟!

ألا لقد آن الأوان لأن يتوقف هذا الفكر العفن الخبيث المسموم، ويتلاشى من ثقافة الطفل المسلم في عصرنا الحاضر ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النحل:٩] .

*****

(١) أي: انتزاع الحقد والضغينة من نفسه.

الفصل الثالث

الغزو الفكري في جانب الأخلاق

المبحث الأول : **الأخلاق وأثرها في حياة الأمة .**

المبحث الثاني : **صور من الغزو الفكري في جانب الأخلاق .**

المبحث الأول

الأخلاق وأثرها في حياة الأمة

والأخلاق جمع «خُلُق ، والخُلُق ، بالضم وضمتين : السجية والطبع ، والمروءة والدين» [(١)] .

وقال الإمام القرطبي : وحقيقة الخلق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خلقًا ؛ لأنه يصير كالخلقة فيه . وأما ما طبع عليه من الأدب فهو الخيم (بالكسر) : السجية والطبيعة ، لا واحد له من لفظه. وخيم اسم جبل فيكون الخُلُق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي [(٢)].

وقد فُسِّر الخُلُق في قوله تعالى : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٣٧] ؛ بمعنى العادة والمذهب [(٣)] .

وجاء في المعجم الوسيط تعريف الخُلُق بأنه : «حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية » [(٤)].

وقيل : هي ـ الأخلاق : «أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره ، وهي إما محمودة أو مذمومة» [(٥)].

---

(١) القاموس المحيط ، ص١١٣٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٤٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٥ ، روح المعاني ١٩/ ١١٢.

(٤) ١/ ٢٦١.

(٥) منهج علماء الدعوة في الكتابة للطفل المسلم ص١٢١ ، نقلاً عن المكارم الأخلاق للإمام الطبراني. تحقيق د./ فاروق حمادة ، مقدمة المحقق ، ص٥ هامش .

«ويمكننا تعريف مفهوم الأخلاق في نظر الإسلام بأنه (عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني ، التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه) » [1].

هذا ، ولا يمكن للبشر أن يتفقوا على رؤية واحدة لقواعد الأخلاق ، أو معايير موحدة للقيم ، وميزان ثابت للآداب والسلوكيات التي يجب التزام المجتمع بها ، إذ إن من المعلوم أن الناس مختلفون في تفكيرهم وأهوائهم وبيئاتهم ، ويقعون كذلك تحت مؤثرات تختلف من بيئة لأخرى ، فما يرضى هذا قد يغضب ذاك ، وما يحبه مجتمع ويقدسه ، يمقته آخر ويزدريه ، وهكذا .

ولو افترض أنهم اتفقوا فيما يتعلق بالقواعد والمعايير وما شاكلها ، فإن هذا الاتفاق إذا ناسب عصرًا من العصور ، فقد لا يناسب عصرًا آخر ، ثم إن البشر ـ بموازينهم ـ قد يرتضون أمورًا هي في الدرك الأسفل من الانحطاط ، ويعدونها من الخلق المحمود ، وقد يتركون أمورًا هي في قمة السمو ، ويعدونها من الخلق المذموم ، والتاريخ الإنساني في حاضره وغابره مليء بالأمثلة على ما أقول ، وما عادة وأد البنات عند كثير من العرب قديمًا ، وإباحة الشذوذ الجنسي في بريطانيا حديثًا ، عنا ببعيد!

على أن البشرية في أطوارها المختلفة ، لم تخل من الاهتداء ـ بفطرتها ـ عند عدم الرسل ، إلى بعض مكارم الأخلاق التي تتوافق مع ما جاء به الوحي ، ولكنها ما برحت تقع في التفريط أو الإفراط أو فيهما معًا ، ولا

---

(١) أصول الفكر التربوي في الإسلام. د./ عباس محجوب ص٩١. جامعة الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م نقلاً عن مقداد يالجن ، التربية الأخلاقية الإسلامية ص٥٧ .

تهتدي إلى المنهج الأخلاقي المتكامل إلا في رحاب الوحي .

من أجل هذا ونحوه من المشكلات ؛ كان لابد من أن يكون الوحي الإلهي هو مصدر الأخلاق ، وأن يكون الشرع الرباني هو ميزان التحسين والتقبيح ، لأن الله العليم الخبير هو الذي خلق الإنسان ، وهو الذي أحاط به علمًا ، فشرع له من الأخلاق ما فيه صلاح حاله ، وما هو مناسب له في كل عصر وأوان ، وصدق الله القائل : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] .

فتشريع الله يناسب الجميع ، ويجب أن يخضع له الجميع .

وثمة أمر على جانب كبير من الأهمية ، وهو أن الأخلاق بحاجة إلى قوة تحمل الناس على الالتزام بها تركًا أو فعلاً ، ولن توجد هذه القوة إلا إذا كان مصدر الأخلاق دينًا إلهيًا صحيحًا يؤمن الناس به ويعظمون حرماته ، وعندما توجد هذه القوة الدينية التي لا يمكن أن يحل محلها أي قانون بشرى مهما كانت صفته ؛ يتحقق التزام مثالي بالأخلاق.

عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : **«اشترى رجل من رجل عقارًا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب . فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك مني ، إنما اشتريت الأرض ولم أبتع منك الذهب وقال الذي له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما إلى رجل . فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ فقال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية . قال : أنكحوا الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقًا»** [1].

---

(١) رواه البخاري في ك الأنبياء : جـ٤ ص١٥٠ ، ومسلم في ك الأقضية ، ب في استحباب إصلاح =

وبما أن الأخلاق لابد أن يكون مصدرها الوحي الإلهي ؛ وبما أن الوحي الإلهي الصحيح لا يتحقق الآن إلا في الإسلام «قرآنه وسنة نبيه الخاتم» فإنه لا يوجد منهج أو دستور للأخلاق أهدى وأقوم إلا المنهج الإسلامي .

هذا ، وإن للأخلاق أهميتها البالغة ، وآثارها العظيمة في حياة الأمم ، فإنه متى سادتها الأخلاق الكريمة ؛ دبت في أوصالها العافية ، ورفرفت في أرجائها السعادة ، ومتى عمتها الأخلاق الوضيعة ، وانتشرت فيها الفوضى الخلقية ، سارع إليها الفناء ، وسارعت إليه ، وحل بها الشقاء ، ونزل بها الهلاك ، بل إن بعض الأخلاق الذميمة ـ وليست جميعها ـ جديرة بأن تهلك أمة من الأمم ، كما في حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه : «**اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» [١] .

ولو استقرأنا التاريخ ، وتأملنا قيام الحضارات وزوالها ؛ لوجدنا أن وراء زوال أي حضارة من الحضارات انحطاط أخلاقها ، كما يؤكد هذا واحد من كبار الباحثين في الحضارات الإنسانية فيقول : «ونحن إذا بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم ، وهي التي حفظ لنا التاريخ خبرها كالفرس والرومان وغيرهم ، وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيرًا نشأ عنه انحطاط أخلاقها ، ولست

= الحاكم بين الخصمين . مسلم بشرح النووي جـ١٢ ص١٩ ، ٢٠ رقم ١٧٢١، وابن ماجه في ك اللقطة ، ب من أصاب ركازًا جـ٢ ص٨٣٩ رقم ٢٥١١. وهناك أمثلة كثيرة لهذا الأمر منها موقف المسلمين عندما حرمت الخمر تحريمًا نهائيًا ، وقصة ماعز والغامدية رضي الله عنهما .

(١) رواه مسلم في ك البر والصلة ، ب تحريم الظلم ، من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . مسلم بشرح النووي جـ١٦ ص١٣٤ رقم ٢٥٧٨.

أرى أمة واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها» [١].

ولقد قص علينا التاريخ طرفًا من أخبار حضارتين من الحضارات القديمة البائدة ، وسجل صورًا من الانحطاط الخلقي الذي انحدرنا إليه ، وكان له أكبر الأثر في زوالهما ، وهما حضارتا اليونان والرومان ، وأنقل هنا شيئًا مما ذكره الأستاذ أبو الأعلى المودودي بهذا الخصوص فيما يلي :

يقول عن حضارة اليونان [٢]: ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على أهل اليونان ويجرى بهم تيار الغرائز البهيمية والأهواء الجامحة ، فتبوأت العاهرات والمومسات مكانة عالية في المجتمع لا نظير لها في تاريخ البشرية كلها ، وأصبحت بيوت العاهرات مركزًا يؤمه سائر طبقات المجتمع ، ومرجعًا يرجع إليه الأدباء والشعراء والفلاسفة ، فكانت شموسًا في سماء العلم والأدب يدور حولها كواكب الفلسفة والأدب والشعر والتاريخ وما عداها من الفنون .. بل أصبحن القطب الذي تدور حوله رحى الأمة اليونانية ، فما كُنّ يرأسن أندية العلم ومجالس الأدب فحسب ، بل كانت المشاكل السياسية أيضًا تُحل عُقَدُها وتُفَك معضلاتها بحضرتهن وتحت إشرافهن. وقد بلغ بهم التعسف في هذا الشأن أن كانوا يرجعون في المسائل الرئيسية التي تعلو بها أمة وتسفل ، وتحيا بها وتموت ، إلى المرأة التي ربما لا ترضى أن تعاشر رجلاً بعينه أكثر من ليلة أو ليلتين ، ثم زاد أهل اليونان حبهم للجمال وتذوقهم المفرط له تماديًا في الغي وارتطامًا في حمأة الرذائل ، وأَضرَم في قلوبهم نارًا للشهوة لا تخمد ، فالتماثيل ـ نماذج الفن العارية ـ

(١) منهج علماء الدعوة في الكتابة للطفل المسلم ص١٢٢ نقلاً عن مكارم الأخلاق للإمام الطبراني، ص٧ . والكلام لغوستاف لوبون .

(٢) الحجاب ص٩ ، ١٠ بتلخيص .

التي كانوا يظهرون بها وبالافتنان في صنعها وإتقانها ذوقهم هذا ؛ كانت هي التي تحرك فيهم الشهوات البهيمية دومًا وتمد في غرائزهم البهيمية ، ولا يخطر لهم ببال أن الاستسلام للشهوات شيء ذميم في قانون الأخلاق ، والاندفاع وراء تيار الأهواء عار وهجنه ، تبدلت مقاييس الأخلاق عندهم إلى حد جعل كبار فلاسفتهم وعلماء الأخلاق عندهم لا يرون في الزنى وارتكاب الفحشاء غضاضة يلام عليها المرء ويعاب. وأصبح عامتهم ينظرون إلى عقد الزواج نظرة من لا يهتم به ولا يرى إليه من حاجة ، قلما يرون بأسًا بأن يعاشر الرجل المرأة ويخادنها علنًا من غير عقد ولا نكاح ، فكانت النتيجة أن خضعت لأخلاقهم وغرائزهم الشهوانية هذه ديانتهم أيضًا ، وانتشرت فيهم عبادة أفروديت التي كانت من قصتها عندهم في الأساطير أنها خادنت ثلاثة آلهة مع كونها زوجة إله خاص ، وأيضًا كان من أخدانها رجل من عامة البشر علاوة على تلك الآلهة . ومن بطنها تولد كيوبيد إله الحب ، نتيجة اتصالها بذلك الخدن البشري ، وما رأيك في أخلاق أمة وانحطاطها المعنوي والخلقي اتخذت من هذه الطباع رمزًا للكمال ، بل إلهًا يُعبد ويُقدم له جميع آداب العبودية والذل والخنوع ؟!

هذه ، ولا ريب ، درجة من الانحطاط الخلقي إذا تردت فيها أمة ، لم تتمكن من النهوض مرة أخرى .

ولما انتشرت عبادة أفروديت في اليونان ، أصبحت مواخير الدعارة وأماكن الفجور مركزًا للعبادة ، وأصبحت المومسات متنسكات وخوادم للمعابد . وعظم شأن الزنى إلى أن ألبسوه كساءً من العمل الديني المبرور.

ثم ظهرت الغريزة البهيمية في أهل اليونان بمظهر آخر ، هو أن انتشرت

فيهم سوأة قوم لوط انتشارًا كاد يأتي على الأخضر واليابس ، ورحبت بها الديانة والأخلاق أيضًا ، وشهد علماء الأخلاق عندهم بأن هذه (العلاقة) آصرة للصداقة وثيقة بين الرجلين . واليونانيان اللذان هما أول من عظمتهما الأمة وأكرمتهما ببناء تماثيلهما هما : هرموديس وأرستوجييتين اللذان جمع بينهما ذلك الحب المنكر الذي تأباه الفطرة البشرية .

وبعد ، فالتاريخ شاهد بأن اليونان لم يكن من نصيبهم المجد والرقي بعد ذلك مرة أخرى .

ثم عرض لصور من الانحطاط الخلقي عند الرومان إلى أن قال :

ولما تراخت عُرا الأخلاق وصيانة الآداب في المجتمع الروماني إلى هذا الحد ، اندفع تيار من العرى والفواحش وجموح الشهوات فأصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج الممقوت والعرى المشين وزينت البيوت بصور ورسوم كلها دعوة سافرة إلى الفجور والدعارة والفحشاء. ومن جراء هذا كله راجت مهنة المومسات والداعرات ، وانجذبت إليها نساء البيوتات ـ وتمادى القوم في ذلك إلى أن اضطر القوم إلى وضع قانون خاص في عصر القيصر تائي بيريس (٣٧٠٤ ق.م) لمنع نساء البيوتات من احتراف مهنة المومسات وصناعتهن النافقة . ونالت مسرحية فلورا حظوة عظيمة لدى الروم لكونها تحتوي على سباق النساء العاريات . وكذلك انتشر استحمام الرجال والنساء في مكان واحد بمرأى من الناس ومشهد . أما سرد المقالات الخليعة والقصص الماجنة العارية فكان شغلاً مُرضيًا مقبولاً لا يتحرج منه أحد . بل الأدب الذي كان يتلقاه الناس بالقبول والرضا هو الذي يُعبر عنه اليوم بالأدب المكشوف وهو الذي تبين فيه

أحوال الحب والعناق والتقبيل سافرة غير مقنعة بحجب من المجاز أو الكنايات.

فكان من انغماسهم في الشهوات البهيمية ومجاوزتهم الحد في إيجاد طرق لإطفاء أوارها أن دالت دولة الرومان وتمزق جميعها كل ممزق [(١)].

وفي العصر الحديث «اعترف المؤرخون بأن السبب الرئيسي لسقوط (باريس) في الحرب العالمية الثانية ، واستسلام الجيش الفرنسي أمام الجيش الألماني خلال أسبوعين ، هو الانغماس في الشهوات والانكباب على اللذات والخوف على مراقص ومواخر (باريس) من قنابل الألمان ، مع أن خط ماجينو الدفاعي الذي أنشأته فرنسا لحمايتها كان أحصن وأشد ما عرف من التحصينات الحربية في ذلك الحين وكان خلف حصونه أربعة ملايين من الجنود الفرنسيين ، بينما الألمان لم يكونوا أكثر عددًا وعدة ، فقد كانوا لا يتجاوزون المليون ، وإنما جاءت الهزيمة ، لأن الفرنسيين كانوا غرقى في الفجور والشهوات ، حتى أن المارشال بيتان رئيس الدولة آنذاك صارح الشعب في خطابه في يونية سنة(١٩٤٠) موضحًا أسباب الهزيمة فقال : لقد جاءت الهزيمة من الانحلال فدمرت روح الشهوات ما شيدته روح التضحيات ، وإني أدعوكم أول كل شيء إلى نهوض الأخلاق .. إنه لا سبيل لإنهاض فرنسا من كبوتها وإقالة عثرتها إلا بإقامة صرح الأسرة من جديد وتقوية أواصرها وتقديس تقاليدها وأنظمتها» [(٢)].

وقد غدا معلومًا للتاريخ أن نكبة (٥ يونية ١٩٦٧) التي حلت بنا ، كان وراءها الفجور والانحلال والعهر الذي انغمس فيه السواد الأعظم من

---

(١) الحجاب لأبي الأعلى المودودي ص١٢ .

(٢) المرأة المتبرجة وأثرها السيئ في الأمة ، عبد الله التليدي ، ص١٦ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ، ط الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م نقلاً عن خطر التبرج والاختلاط ص١٣٨.

القيادات في ليلة المعركة ، التي كان يجب أن تقضي في ذكر الله وفي الصلاة ، فإنه «من المعروف أن حفلة قد أقيمت لضباط الطيران ليلة الخامس من يونيو ونشرت عنها الصحف وخاصة جريدة الأهرام ، كما نشرت جريدة الأهرام أنه قد تم توزيع صور أم كلثوم وعبد الحليم حافظ على الجنود المقاتلين على الجبهة» [(١)].

ولقد تبين أن تلك الحفلة (الجنسية) كانت بتدبير جاسوس يهودي «كان كل تخطيطه خلال عشر سنوات شل سلاح الطيران المصري أثناء الحرب وعند الهجوم الإسرائيليْ على مصر» [(٢)].

هذا ، وقد ينخدع البعض منا بما عليه حضارة أوربا المادية الكائنة ، ويبهره زخرفها وبهرجها ، فيظن بأن الحضارة متماسكة ، بالرغم من الانحطاط الخلقي الذي هم فيه ، فيهون في نظره خطر ضياع الأخلاق ، ويتوهم بأن الانحطاط الأخلاقي ، لا يضر بالمدنيات ، ولا يؤثر في قوة الحضارات ، لما قد يتراءى له من ازدهار تلك الحضارة الأوربية المادية (ظاهرًا) !

والواقع أن هذا نظرة سطحية ، ولو تأمل هذا البعض في الأمر ، لوقف على حقيقة الوضع ، وهو أن المدنية الأوربية الحديثة تقف على حافة الانهيار ، وأن عوامل التحلل والتصدع والتآكل والزوال تعمل عملها فيها ، وتنخر كما ينخر السوس العظام ، فأصبحت مثل شجرة ضخمة ،

---

(١) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام ، منير محمد نجيب ، ص٢٦٩ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ـ الأردن ، ط الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(٢) المصدر السابق ص٢٦١ ، ومن أراد الاطلاع على مزيد من أخبار هذه المأساة وما اكتنفها من انحطاط خلقي فليقرأ كتاب : تحطمت الطائرات عند الفجر ، باروخ نادل . ترجمة لجنة من الأدباء .

إذا رآها المرء من بعيد غره منظرها ، وأكبر عِظمها ، حتى إذا اقترب منها ، وتأمل حالها ؛ وجدها جوفاء من الداخل ، ولا تلبث أن تفقد توازنها وتماسكها مع أول هبَّة ريح ، فتقصفها ، وتنام جثة هامدة .

ولقد اعترف كثير من عقلائهم بأن التقدم المادي ، الذي اكتنفه تخلف أخلاقي ، ما زاد الحياة إلا شقاء ، والحضارة إلا سرعة إلى الفناء والانتحار (١).

ولا غرو ، فتلك سنة الله في الأمم ـ كما سبق ـ من خلال اليونان والرومان . وإذا كان الله ـ تعالى ـ يمهل ؛ فإنه لا يهمل ، وإن غدًا لناظره قريب ، والله لا يصلح عمل المفسدين ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] .

ولقد تمسّك المسلمون الأولون بمكارم الأخلاق ، وكانوا مرآة حية صادقة؛ تجسّدت فيها أخلاق الإسلام ، فكان مجتمعهم مجتمعًا مثاليًا ، وشيدوا للدنيا حضارة أصيلة ، كانت الأخلاق عُمدًا من أعمدتها ، فلم تعرف الدنيا مجتمعًا أنظف ولا أهنأ وأسعد من مجتمعهم .

من أجل هذه الأهمية القصوى ، والآثار البالغة للأخلاق في حياة الأمة ؛ نجد الإسلام يحث على التحلي بأحسنها ، والتخلي عن سيئها ، ويتوعد المخالفين لهذا المنهج ، بأشد الوعيد ، بينما يعد الملتزمين به بالأجر العظيم ، وهذا بَيِّنٌ في كثير من نصوص القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وأذكر منها ـ على سبيل المثال ـ هذه الباقة العطرة ، فيما يلي :

---

(١) يراجع ـ لمن شاء ـ : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، فصل «أوربا إلى الانتحار» ، ص٢١٣ ـ ٢٢٨ ، ففيه كلام جيد حول هذا الأمر .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩] .

وقال سبحانه : ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣] .

وقال عز من قائل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١١، ١٢] .

وعن معاذ بن جبل ، قال : آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرْز . أنه قال : «**أحسن خلقك للناس ، يا معاذ بن جبل**» (١).

(١) رواه مالك في الموطأك حسن الخلق ، ب ما جاء في حسن الخلق ٢/ ٩٠٢. وقال الشيخ محمد

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**إنما بعثت لأتمم صالحي الأخلاق**» [(١)].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق**» [(٢)].

وعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء**» [(٣)].

وفي رواية أخرى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**» [(٤)].

فؤاد عبد الباقي : هذا آخر الأربعة التي قالوا : إنها لم توجد موصولة في غير الموطأ . وذلك لا = = يضر مالكًا الذي قال فيه سفيان بن عيينة : كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا ما كان صحيحًا، وإذا قال : بلغني فهو إسناد صحيح . فقصور المتأخرين عن وجود هذه الأربعة موصولة، لا يقدح فيها فلعلها وصلت في الكتب التي لم تصل إليهم .

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ، ب حسن الخلق ص١٢١ ، ١٢٢، ورواه أحمد في المسند ، الفتح الرباني ، ك الأخلاق الحسنة وما جاء فيها ، ب الترغيب في محاسن الأخلاق ١٩/ ٧٥. ومالك في الموطأ ، ك حسن الخلق ، ب ما جاء في حسن الخلق ٢/ ٩٠٤. وقال ابن عبد البر : هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره .

(٢) رواه الترمذي في ك البر والصلة ، ب ما جاء في البخيل . جـ٤ ص٣٤٣رقم ١٩٦٢ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى. وأورده صاحب كنز العمال جـ٤ ص٤٤٧ رقم ٧٣٧٩ ، وعزاه إلى البخاري في الأدب والترمذي .

(٣) رواه الترمذي في ك البر والصلة، ب ما جاء في حسن الخلق جـ٤ ص٣٦٢ رقم ٢٠٠٢ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الأخلاق الحسنة ، ب الترغيب في محاسن الأخلاق جـ ١٩ ص٧٨ .

(٤) رواه الترمذي (في الموضع السابق) ، ك البر والصلة ، ب ما جاء في حسن الخلق جـ ٤ ص٣٦٣ رقم ٢٠٠٣ . وقال : «هذا حديث غريب من هذا الوجه» . ورواه مالك في الموطأ ، ك حسن

وعن أبي هريرة قال : سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : «**تقوى الله وحسن الخلق**» .

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : «**الفم والفرج**» (١).

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «**اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن**» (٢).

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** » قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : «**المتكبرون**» (٣).

الخلق ، ب ما جاء في حسن الخلق جـ ٢ ص٩٠٤ ، وأبو داود في ك الأدب ، ب في = = حسن الخلق جـ ٤ ص٢٥٢ ، ٢٥٣. رقم ٤٧٩٨ ، ورقم ٤٧٩٩. وسكت عنهما وهو لا يسكت إلا على صالح .ورواه أحمد ، الفتح الرباني ، ك الأخلاق الحسنة ، في الترغيب في محاسن الأخلاق جـ ١٩ ص٧٦ .

(١) رواه الترمذي (في الموضع السابق) ك البر والصلة ، ب ما جاء في حسن الخلق جـ٤ ص٣٦٣ رقم ٢٠٠٤ ، وقال : «هذا حديث صحيح غريب» . ورواه أحمد ، الفتح الرباني ، ك الأخلاق الحسنة ، ب الترغيب في محاسن الأخلاق (في الموضع السابق) جـ ١٩ ص٧٥ ، وجـ ١٦ص٧٠. والحاكم في مستدركه ، ك الرقاق جـ٤ ص٣٢٤ وصححه . ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الترمذي في ك البر ، ب ما جاء في معاشرة الناس جـ٤ ص٣٥٥ رقم ١٩٨٧ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الأخلاق الحسنة ، ب الترغيب في محاسن الأخلاق جـ١٩ ص٧٧ ، والحاكم في ك الإيمان جـ١ ص٥٤ وصححه ، والدارمي ك الرقائق ، ب في حسن الخلق جـ٢ ص٤١٥ رقم ٢٧٩١.

(٣) رواه الترمذي ، ك البر ، ب ما جاء في معالي الأخلاق جـ٤ ص٣٧٠ رقم ٢٠١٨ ، وقال : «هذا حديث حسن غريب» . ورواه أحمد ، الفتح الرباني جـ١٩ ص ٧٦ من رواية أبي ثعلبة الخشني ، وكذا الطبراني كما ذكر الهيثمي ، وقال : «رجال أحمد رجال الصحيح» . مجمع الزوائد جـ٨ ص٢١ .

والثرثارون : هم الذين يكثرون الكلام تكلفًا وخروجًا عن الحق والثرثرة كثرة الكلام وترديده.

وعن عبد الله بن عمرو قال : لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ، وكان يقول :«**خياركم أحاسنكم أخلاقًا**» (١).

تلك هي الأخلاق وأثرها في حياة الأمة ، وهذا هو اهتمام الإسلام بها ، فيجب علينا أن نهتم بها كما أمرنا الإسلام ، ونتمسك بها ، حتى لا يصيبنا ما أصاب الأمم من قبلنا ، وننجو من عذاب الله ومقته .

ويجب علينا كذلك أن نستفيق ، ونتنبه لمخططات خصومنا الذين يريدون تدميرنا ، والقضاء على مقومات حياتنا ، من خلال ضرب الأخلاق فينا ، وإشاعة الانحلال في مجتمعاتنا ، كما هو دأبهم دائمًا .

«اللهم أهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت» (٢).

*****

النهاية ١/ ٢٠٩. =

= **والمتفيهقون** : هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع . النهاية ٣/ ٤٨٢.

والمتشدقون : المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز ، وقيل : أراد بالمتشدق المستهزئ بالناس ، يلوي شدقه بهم وعليهم . النهاية ٢/ ٤٥٣.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ، ب حسن الخلق ص١٢١ ، ومسلم في صحيحه ، ك الفضائل، ب كثرة حيائه ﷺ ، مسلم بشرح النووي جـ١٥ ص٧٨ رقم ٢٣٢١ .

(٢) جزء من حديث طويل عن علي ﷺ مرفوعًا . أخرجه مسلم في صحيحه ، ك صلاة المسافرين، ب صلاة النبي ودعائه بالليل جـ٦ ص ٥٧ ـ ٥٨ رقم ٧٧١ ، والترمذي ، ك الدعوات ، ب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل جـ٥ ص٤٨٥ رقم ٣٤٢١ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح». وأبو داود ، ك الصلاة ، ب ما يستفتح به الصلاة جـ١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ رقم ٧٦٠ ، والدارمي ، ك الصلاة ، ب ما يقال بعد افتتاح الصلاة جـ١ ص٣٠٩ رقم ١٢٣٨، والنسائي ، ك الافتتاح ، ب الدعاء بين التكبير والقراءة جـ ٢ ص١٢٩، ١٣٠.

المبحث الثاني

صور من الغزو الفكري في جانب الأخلاق

١ ـ الترويج لأفكار وأخلاق غربية ، تعمق الخلاعة والتحلل الخلقي في نفوس الأطفال :

ولقد قامت أجهزة الغزو الفكري المعادي بمجهودات ضخمة في سبيل إزاحة الأخلاق الإسلامية التي دعا إليها القرآن والسنة ، وتمسك بها المسلمون قرونًا طوالاً ، ولا يزال الصادقون منهم يحرصون على التمسك بها ، وفي سبيل العمل على إحلال الأخلاق الغربية الرذيلة محلها ، بشتى السبل .

وقد تبين لي ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أن كثيرا من وسائل ثقافة الطفل المسلم قامت بدور ضليع في هذا المجال حتى الوسائل التي كان يُظن بأنها لا يمكن أن تنساق في هذا التيار المفسد للأخلاق ، وأن المفترض فيها أن تنأى بنفسها ، وتربأ عن أن تحمل ترويجًا لفكر ساقط ، أو دعوة لخلق سافل ـ مثل مناهج التربية والتعليم ـ هي الأخرى ساهمت في هذا الدور الإفسادي.

ولقد روجت كثير من هذه الوسائل للعري الفاضح، والجنس الرخيص، والسلوك المنحط والعلاقات الآثمة بين الفتيان والفتيات، وعرضت لكل هذا وأمثاله في ثوب براق وأسلوب جذاب، وإلحاح متواصل، لا يدع للطفل مجالاً للتردد في قبول تلك الأنماط من العادات الغربية الفاسدة، والتي لا تتفق من قريب أو بعيد مع أخلاقنا الإسلامية.

وها هي بعض النماذج للأفكار والأخلاق الغربية التي تعمق الخلاعة والتحلل الخلقي في الأطفال بكثير من النماذج والصور التي تغص بها وسائل ثقافة الطفل المسلم في عصرنا الحاضر:

من بين مجلات الأطفال التي فَحَصْتُ منها ستة وعشرين عددًا متواليًا، مجلة ذائعة الصيت بين الأطفال والناشئين، في كثير من الأقطار العربية، وهي مجلة تسمى «سمير» وهي جادة في حمل قرائها على اتباع عادات الغرب، والتخلق بأخلاقه وسلوكياته التي تتعارض مع آداب الإسلام، وصبغ عادات وأفكار وحياة الأطفال بالصبغة الغربية، وهذا ليس بغريب على دار الهلال [1] التي تصدر عنها هذه المجلة ، هي وشقيقة لها تسير في ذات الخط وتوجَّه للأطفال أيضًا ، وتدعى «ميكي».

وللعلم فإن مجلة «سمير» تخصص صفحتين في كل عدد بعنوان «أحباب الله» لا تسمنان ولا تغنيان من جوع، وهذا من قبيل ذرِّ الرماد في العيون، ليس إلا !

ومن بين أبواب ومواد كثيرة (تغريبية)، يوجد باب ثابت بعنوان «البنات والحياة»؛ وهذا الباب ـ مع غيره ـ يتفنن في عرض الثقافة الغربية على بناتنا

(١) صاحب الهلال والذي أنشأها هو جورجي زيدان في غرة أيلول سنة ١٨٩٢م وقد كانت رسالة الهلال الأولى تزوير التاريخ الإسلامي، والتشكيك في الإسلام . ولقد كتب جورجي زيدان عددًا من روايات التاريخ واحدة منها «فتح الأندلس» مسخ فيها أهداف الفتح الإسلامي مسخًا رهيبًا، ومضى الهلال ينفث سمومه في رحاب الأمة الإسلامية ، فيدعو إلى فصل الدين عن الدولة ، وإلى حمل لواء الاختلاط وإلى محاربة لغة القرآن ، وإلى مهاجمة الإسلام في كثير من جوانبه وإلى تزوير تاريخه ، كل ذلك التدمير الهائل والغزو المدمر ، والمسلمون في غمرة ساهون. ويصدر عن دار الهلال عدد من الصحف والمجلات تتخصص كل واحدة منها في لون معين من الفكر، وهي جميعًا تلتقي على هدف واحد هو عداوة الإسلام والدعوة إلى الأفكار الوافدة والمبادئ المعادية ، مثل المصور ، الكواكب ، حواء ، وغيرها . الإعلام في ديار المسلمين بداية ورسالة ص٤٠ ـ ٤٢ بتلخيص وتصرف . وفيه المراجع التي أخذ عنها.

منذ نعومة أظافرهن بحيث لا يتركهن إلا متغربات أو على الأقل ـ وفي أحسن الأحوال ـ لديهن الاستعداد الأكبر ليصبحن متغربات .

ولا بأس بأن ألقي الضوء على بعض النماذج التي يقدمها هذا الباب :

في أحد الأعداد [١] يقدم حديثًا مفصلاً عما يدعونه «فن الباليه» الذي يتكون من رقص تصميمي ، على درجة عالية من الكفاءة بمصاحبة الموسيقى ـ كما تقول المجلة ـ وتعرض تاريخه ، وتطوراته على مر العصور ، وتذكر مشاهيره ، وتبين ما يحتاجه الراقص أو الراقصة ، من صفات ومواهب ، ليكون محترفًا ولامعًا ، وتقول المجلة : «واكتسب الباليه في عصرنا الحالي شهرة واسعة ، بعد الجولات التي قام بها الراقصون والراقصات إلى العديد من الدول قدموا خلالها عروضهم المسرحية ، ولا يمكننا أن ننكر فضل التليفزيون والسينما في توعية الجماهير وجذبها إلى مشاهدة هذا الفن الراقي وتعرض صورة لإحدى الراقصات العالِميَّات ـ حسب إطلاقها ـ وهي تلبس زي الرقص الخليع ، ثم تُعرف بها أسفل الصورة ، وتقول في نهاية التعريف : «إنها نجمة تتمتع بموهبة فنية وقدرة غنية على الابتكار والتجدد» .

وهكذا تأخذ المجلة في الإشادة بهذا الفن الرفيع ، والذي لا يتفق مع آدابنا الإسلامية ـ بحال من الأحوال ، وتعرضه على بناتنا ، ولسان حالها يدعوهن إلى تعلمه ، وممارسته فضلاً عن حبه والحرص عليه بزعم أنه «فن راقٍ» .

وفي عدد آخر [٢] يأتي الحديث هذه المرة عن «الرشاقة» وكيف تكون

---

(١) العدد ١٣٥٧ ص٨ ، ٩ ، أبريل ١٩٨٢م .

(٢) عدد ٢ مايو ١٩٨٢ ص١٢ ، ١٣.

البنت رشيقة كي تستطيع لبس «الجينز» ونحوه من الأزياء الخليعة ، وقبل الحديث عن كيفية الحصول على الرشاقة أو الأصول إليها ، تستهل المجلة قائلة «السمنة والرغبة في الرشاقة .. الموضوع الرئيسي في رسائل البنات هذا الشهر .. وربما يميل جسمك إلى الامتلاء ، وتشعرين أنك غير راضية عن قوامك ، ومع اقتراب فصل الربيع يصير لديك رغبة واحدة : ارتداء الجينز» ... و «التي شيرت» التي تتناسب مع قوامك الممشوق ، ولذا تحاولين التخلص من هذه الكيلوجرامات الزائدة .. إلخ» .

ثم تستمر المجلة أعدادًا متوالية في الحديث عن الجاذبية والحيوية، والوسيلة للفتاة لكي تجذب الأنظار إليها ، وتنال إعجاب من حولها من الزملاء والزميلات ، والأصدقاء والصديقات ، وكل هذا بعين غربية متحللة من قيم الإسلام وآدابه فيما يتعلق بزي المرأة المسلمة ، وعلاقتها بمن حولها من الناس وحدود هذه العلاقة والحديث عن أمور تتعلق بخروج البنت إلى ما يسمى (البلاج) والنوادي والرحلات والشواطئ المختلطة وغيرها بلا ضوابط أو قيود شرعية .

ثم إن هناك ـ بالإضافة إلى هذا الباب ـ كثيرًا من القصص الأجنبية المترجمة ، التي هي غربية قلبًا وقالبًا ، ولا تكف المجلة بين الحين والآخر عن نقل عادات غير المسلمين التي لا تناسب إلا أهلها ـ بل هي في الواقع قد تكون سببًا في ارتكاسهم ـ إلى الأطفال والإشادة بها كما جاء في أحد الأعداد [1] حيث تشيد بحرارة بما يسمى «الكرنفال» أو المهرجان الاستعراضي الذي يحدث كل عام في البرازيل في مدينة تسمى «ريو» في شهر فبراير ، حيث تتحول المدينة في هذا الحدث العظيم ـ كما تصفه المجلة

---

(١) العدد ١٣٧٦ ، ٢٢ من أغسطس ١٩٨٢م .

ـ إلى مدينة صاخبة بلا حدود ، فمن كل مكـان تسـمع موسـيقى السـامبا ، وتشاهد الرقص الجماعي والمنفرد ، ويأتيـك صـوت دقـات الطبـل مختلطًـا بانسجام رائع مع أصوات الصفائح المعدنية ويتردد أصـداء الـدقات العاليـة على التلال ، وفوق الشواطئ .. فالشعب بأكمله يندفع إلى الشوارع ويقـدم الأغاني ورقصات السامبا ، وتمتلئ شوارع «ريو» بمدرجات مؤقتـة مزدحمـة بآلاف المشاهدين والكل يطل برأسه عـبر نفـق مـن الأضـواء اللامعـة الـتي تشق ظلام الليل ليشهد مواكب العربات ذات الألوان الزاهية .

ثم تأخذ المجلة في تقديم مسلسلات علـى صـفحات أعـداد متواليـة عـن أحداث هذا الكرنفال ، وتطلـب مـن كـل طفـل قـارئ أن يكتـب رأيـه في تقديم المسلسلات بعد الانتهاء من قراءتها .

وفي أحد الكتب المعنية بتعليم القراءة للطفـل في سـن الرابعـة والخامسـة نجد الصور المصاحبة للكلمات والجمل في ثنايا الكتـاب، تعمـق الاخـتلاط والتبرج الفاحش، من خلال الترويج للتعري والاخـتلاط غـير المنضـبط في الشواطئ [١].

ولقد أثبت مجموعة من الباحثين بعض المواضيع التي فيها هـدم للجانـب الأخلاقي في كتب اللغات الأجنبيـة المقـررة في منـاهج التعلـيم في مراحلـه المختلفـة، وكلـها تحـض علـى العـري والتفسـخ والاخـتلاط، والانحـلال الخلقي، وتدعم تلك المفاسد بالصور العارية .

ومن تلك النمـاذج : مـا ورد في كتـاب اللغـة الإنجليزيـة للصـف الأول

(١) يراجَع: القراءة العربية ، الروضة الثانية ، الكتاب المدرسي الـوطني ، المركـز التربـوي للبحـوث والإنماء ، إدارة التربية والفنـون الجميلـة ، شـركة الناشـرين اللبنـانيين بـبيروت ، لبنـان ، وهـذا الكتاب وأمثاله يدرس في بعض المدارس الخاصة في بعض الدول العربية .

الإعدادي (عام وأزهر) درس ٢ ص ٣٢ ، وكتاب الصف الثاني الإعدادي درس ١ ص١٠١ ، ودرس ٣ ص١٤ ، ودرس ٤ ص٧٠ [١].

«وأيضًا في كتاب الصف الثالث الإعدادي درس ٣ ص ٢٧ نجد قصة الفتى (حسن) الذي يحكي للفتاة «سميرة» أنه رأى في المنام سيدة جميلة ترقص على شاطئ البحر ، ويدعم هذه القصة بصورة هذه المرأة الراقصة» [٢].

وفي كتاب اللغة الإنجليزية المقرر على الصف الثالث الإعدادي (عام وأزهر) الدرس ٢ ص١٢ جاء على لسان بطل القصة والذي يمثل القدوة فيها قوله : «لقد اعتدت أن أرقص كثيرًا أما هذه الأيام فأنا لا أرقص ، ولكني ألعب العود» [٣].

«كتاب اللغة الفرنسية ، المستوى الخامس للصف الثالث الإعدادي.

والكتاب مزود بصور فاضحة بالألوان وبعض الدروس التي تدمر الحياء في النفس الإنسانية فضلاً عن إثارة الغرائز» [٤].

في هذا الكتاب ما يلي :

«الملف الأول : ويحكي قصة خلق آدم عليه السلام اعتمادًا على التوراة وتقترن القصة بصورة لآدم عليه السلام عاريًا دون ستر العورة .

---

(١) انظر : المؤامرة على الأخلاق في كتب اللغات الأجنبية أ. عبد المنعم أبو الخير ، وآخرون ص٥ وما بعدها ، دار الوفاء للطبع والنشر والتوزيع ، المنصورة ، دار التوزيع الإسلامية . القاهرة .

(٢) المصدر السابق ص٨ .

(٣) المصدر السابق ص٩ .

(٤) المصدر السابق ص : ٣٨ .

ـ درس عن خلع الملابس مقترن بصورة امرأة بالبكيني (ص١٨) .

ـ درس عن الراقصة مقترن بالوصف الدقيق لحركاتها مع الصورة (ص١٩٦) .

ـ صورة ماجنة لراقصة تستعد للرقص (ص٢٠٠).

ـ صورة لراقصة بشكل غير محترم (ص٢٠٢) وقد اقترنت هذه الصورة بعبارة الجمهور يصفق حتى تختفي الراقصة من المنظر .

ـ صورة فاضحة ص٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٥٨ ، لا تحتاج إلى تعليق ، صورة خليعة مقترنة بعنوان أهلاً وسهلاً في جزيرة هيلاس (ص٢٥٦) .

علمًا بأن هذه الصور الفاضحة عرضت بالكتاب بالألوان ، وهنا قمنا بعرضها مقلوبة «العفريتة» حفظًا للحياء ، كما قمنا بتغطية العورات بأشرطة سميكة» [١].

وفي أحد أعداد مجلة أطفال عرْض لما يدعونه الصداقة بين الفتى والفتاة ، والرقص بينهما ، بالعبارة والصورة وتشاجر شخصين على الرقص مع امرأة [٢].

«ولم تنج من سرطان الحب مسلسلات الأطفال التي تصور الشخصية الرئيسية «البطل» في أحيان كثيرة من أنثى يحبها ، ويقبلها ، ويحتضنها ، ويستلقى هو وإياها تحت ظل شجرة وقد التمعت عيونهما ببريق الهوى الجامح ، الذي يجسده الرسام في صورة قلوب حمراء تخرج من العيون

---

(١) المصدر السابق ص٣٩ ، ٤٠.

(٢) سوبر ميكي ، العدد ١٤١٧ ، ص١٨ ، ١٦ يونيو ١٩٨٨م .

بصورة متتابعة ، أو بصورة حمرة فجائية تنبعث من خدود البطل والبطلة ؛ فالضفدع [نؤنؤ] يحب أنثاه [نانا] والكلب [سبانك] يهوى [فوفو] و[جورجي] مفتونة بـ [ايل] و [توم سوبر] يميل لـ [بيكي] و [سبع المدهش] يعشق [رومي الجميلة] والقائمة لا تنتهي ، وهكذا ينشأ الأبناء على فكرة تنغرس في عقولهم منذ الطفولة الباكرة ، هي أن الحب (بالمفهوم الغربي) لا حرج منه ، ولا بأس بالغرق في بحاره ، بل إن هناك مسلسلات كرتونية للأطفال تدور حول التنازع على امرأة مثل papaye ، إذ يتنازع البحار مع غريمه بلوتو من أجل عيون امرأة هي (زيت الزيتون) [١].

«أما الأفلام المحلية العربية فإنها رديئة وتافهة ومهينة ولا تقوم إلا بتقديم أحط التصورات الاجتماعية والحوار البذيء ، منها (احترسي من الرجال يا ماما) و (الكباريه) وتعطى الجوائز لفيلم رقيع اسمه (نساء الليل).

وتجمع أفلام السينما كل أنواع الشبهات والسموم ، فهي تجمع بين الرقص والكباريه وإدمان المخدرات والأوضاع الشاذة والاغتصاب .

وهناك أفلام مُصمّمة على نحو خطير : تحمل دعوة صريحة للفتاة لخروج من طاعة أسرتها والهرب مع أول صعلوك لا عمل له ولا مستقبل وفرض الأمر الواقع على الآباء والأمهات ، ومن هذا فيلم (البنات لازم تتجوز) ويزداد الخطر شدة عندما يقدمه التلفزيون داخل البيوت وأمام الفتيات الصغيرات ، فيعطيهن الإحساس بشرعية هذا التصرف ، ويملأ قلوبهن جرأة على الاندفاع في طريق الشر» [٢].

«ولقد تقاطرت في السنوات الأخيرة أفلام مُسفّة خليعة رقيعة: رحلة في

---

(١) التليفزيون .. السم اللذيذ ص٢٩ ، ٣٠.

(٢) الصحافة والأفلام المسمومة ، ص١٢٦.

امرأة، دعونا نحب، بنت اسمها محمود .

وكلها أفلام تساعد على انحراف الشباب والشابات، بعيدة عن واقعنا، فيها خروج على تقاليدنا ، تغرس في النفوس الذلة والرخاوة ، وهي في مجموعها دعوة صريحة لهدم نظام المجتمع من حيث الاستهانة بالأخلاق والدين» [١].

والموضوعات الدراسية التربوية ، لم تسلم ـ كما ذكرنا ـ من هذا العفن الخلقي والفكري ، فهناك «قصيدة لنزار قباني [٢] بعنوان (عند الجدار) في أحد الكتب المقررة على تلاميذ الصف الأول الإعدادي ، يصور فيها حالة غرام وعشق بين طفل وطفلة . حيث يعبر الطفل عن مشاعره نحو الطفلة بعد أول لقاء ، فيقول :

ليلتها عدت إلى فراشي فطار منِّي واستحال نومي

واحترقت مخدتي بناري وأقبلت على الدموع أمِّي

تقول يا شقي .. كيف تغشى زاوية الجدار دون علمي

عبارات غرامية يصبّها الشاعر على مسامع التلاميذ والتلميذات وهم في بداية البلوغ وفي مدارس مختلطة، ومما يزيد الأمر سوءًا شرح المؤلف للأبيات حيث يقول :

«وفي المساء حين ينتهي اللقاء ويدخل الطفل في فراشه يعتصره الألم لفراقها وتسيل من عينيه دموع الحب البريء حارة تكاد تحرق مخدته ...

(١) المصدر السابق ص١٣٥.

(٢) شاعر معاصر، يطفح شعره بالمخالفات الشرعية، لا يتورع عن استخدام المضامين والأساليب الجافية للثوابت الإيمانية والأخلاقية، بطريقة سافرة.

وحين أبصرت أمه هذه الدموع أشفقت عليه وتألمت لحاله فقد أحسّت أن نيران الحب قد أدركته» [(١)].

وهناك كتب بكاملها تنسج على هذا المنوال ، وتطفح بالحب والميوعة والتحلل ، دون ما حياء أو مداراة ، مع الإشادة بكل هذه الأمور [(٢)].

وأما عشرات المئات بل الآلاف من الأغاني الرائجة ؛ فتركز بطريقة ماكرة مقصودة على الحب والهجران ، والعذاب ، واللقاء والفراق ، لدرجة أن هناك من هؤلاء المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء ، من المغنيين والمغنيات ، من لا يوجد في أغانيهم سوى هذا اللون المهين ، وقد نظرت في كتابين ، يضم كل منهما أغاني لاثنين من الشباب المتحللين ، ذائعي الصيت في الغناء الماجن بين الفتيان في العالم العربي كله ، بل وخارجه ، فلم أجد في أغانيهما أغنية واحدة لا تخلو من هذا الهبوط باسم الحب.

«أليس لدى المطربين من قضايا أمتهم ما ينال اهتمامهم ويستحق بذل جهدهم ليترجموا فنّهم إلى سواعد بناء لا معاول هدم .. إنهم لا يقدرون على ذلك حتى ولو حاولوا ذلك ، ولأنهم قد استمرؤوا السير في ركاب الجنس الرخيص والنفاق الهابط والكأس الحرام» ! [(٣)].

---

(١) المؤامرة على مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية، محمد عبد الرحمن طبل، كامل حمدي عبد الكريم، نبيل عزام ص١٤ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، التطوير بين الحقيقة والتضليل ص٧٣.

(٢) مثل قصة : كفاح طيبة «لنجيب محفوظ» ، مقررة على الصف الثالث الإعدادي ، بمدارس التربية والتعليم بمصر .

(٣) الإعلام العربي المعاصر وأثره في ضياع الجيل ، وهزيمة الأمة ، يوسف العظم، ضمن بحوث الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص٥١٦ ، ٥١٧.

إن الترويج لتلك الأفكار والأنماط السلوكية الغربية، في بلاد المسلمين، وإغراق الطفل والكبير بها أمر ليس له أدنى مبرر، ولا يجوزه عقل ولا شرع، وليس له أدنى فائدة ، بل ليس من ورائه إلا الفساد الكبير، والخسران المبين.

حكم الشرع في مثل هذه الأخلاق والأفكار:

وقد كان يمكن الاستغناء عن اللجوء إلى تبيين وجه مخالفة مثل هذه الأخلاق والأفكار للشرع ، وتعارضها مع الإسلام بنصوص الكتاب والسنة ، في هذا المقام ، اعتمادًا على أن أي مسلم لا يجهل كونها متعارضة مع الإسلام ، لولا أن هناك من المسؤولين عن الترويج لها ، وممن رُبُّوا عليها وصاروا دعاة لها «**دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، من يكابرون ويجهلون ، ويَلْبِسون على الناس دينهم فَيَضِلُّون ويُضلّون ، ولذا سأكتفي بمجرد الإشارة والتنبيه دون اللجوء إلى بسط القول واستقصاء الأدلة في ردها ، وهذا على النحو التالي :

إن إبداء المرأة لشيء من عورتها ـ وبدنها كله عورة ، ما عدا الوجه والكفين ـ قد حرمه الله ، واختلاط الرجال بالنساء اختلاطًا مستهترًا ، بلا ضوابط ، ودون ضرورة ؛ نهى عنه الإسلام ؛ وارتباط رجل بامرأة واتصاله بها ، وإنشاء علاقة حب بينهما لا يبيحه الإسلام إلا من خلال شرع الله ، وفي إطار ما وضعه من تنظيم لهذه المسألة الفطرية .

قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ

أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] .

وقال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» (١).

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، ك اللباس والزينة ، ب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ، مسلم بشرح النووي جـ١٤ ص١٠٩ ، ١١٠ رقم ٢١٢٨، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك اللباس والزينة ، ب نهى المرأة أن تلبس ما يحكي بدنها جـ١٧ ص٣٠٢ وقال الإمام النووي : معنى «كاسيات» أي من نعمة الله «عاريات» من شكرها وقيل : معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا لجمالها ونحوه ، وقيل : تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها ، ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، «مميلات» أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم ، وقيل : مائلات يمشين متبخترات، مميلات لأكتافهن ، وقيل مائلات يتمشطن المشطة الميلاء : وهي مشطة البغايا . و«مميلات» يمشطن غيرهن تلك المشطة «رؤوسهن كأسنمة البخت» أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوه . رياض الصالحين ، تأليف الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، حققه وخرج أحاديثه عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف الدقاق، راجعه الشيخ شعيب الأرنؤوط . ص٤٨٥ . دار المأمون للتراث ، دمشق . ط الثانية عشرة ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م.

فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا ، يعني زانية» [(١)].

وعن ابن عباس قال : لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال [(٢)].

وفي رواية أخرى عنه ، قال : لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال : « **أخرجوهم من بيوتكم**»[(٣)].

وعن ابن عباس، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم** »، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال: «**انطلق فحج مع امرأتك**» [(٤)].

---

(١) رواه الترمذي ، ك الأدب ، ب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة جـ٥ ص١٠٦ رقم ٢٧٨٦ وقال : «حديث حسن صحيح» . ورواه أبو داود في ك الترجل ، ب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج جـ٤ص٧٩ رقم ٤١٧٣ ، والدارمي ، ك الاستئذان ، ب في النهي عن الطيب إذا خرجت جـ٢ ص٣٦٢ ، والنسائي في ك الزينة ، ب ما يكره للنساء من الطيب جـ٨ ص١٥٣ . وأحمد ، الفتح الرباني ، ك اللباس والزينة ، ب ما جاء في خروج النساء من منازلهن لغير الحاجة جـ١٧ ص٣٠٣ .

(٢) رواه البخاري ، ك اللباس ، ب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال جـ٧ ص٥٥ ، وأبو داود ، ك اللباس ، ب لباس النساء جـ٤ ص٦٠ رقم ٤٠٩٧ ، والترمذي ك الأدب ، ب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء جـ٥ ص١٠٥ ـ ١٠٦ رقم ٢٧٨٤ ، ورواه أحمد بلفظ مخالف من رواية عبد الله بن عمرو . الفتح الرباني جـ١٧ ص٣٠٢.

(٣) رواه البخاري ، ك اللباس ، ب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ، والترمذي (الموضع السابق) كتاب الأدب ، ب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء جـ ٥ ص١٠٥ ـ ١٠٦ ، رقم ٢٧٨٥.

(٤) رواه البخاري ، ك النكاح ، ب لا يخلون رجل بامرأة جـ٦ ص١٥٩ ، ومسلم ، ك الحج ، ب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره شرح النووي جـ٩ ص١٠٩ ، ١١٠ رقم ١٣٤١، وهذا لفظ مسلم .

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : «**إياكم والدخول على النساء** » ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله : أفرأيت الحمو ؟ فقال : «**الحمو الموت**» (١).

وعن حمزة بن أَسيد الأنصاري ، عن أبيه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق ، فقال رسول الله ﷺ للنساء : «**استأخرن فإنه ليس لكُنّ أن تَحقُقْنَ الطريق ، عليكن بحافات الطريق** » ، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «**كُتِب على ابن آدم نصيبه من الزنى مُدْرِكٌ ذلك لا محالة ؛ فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِّجْلُ زناها الخُطا ، والقلب يهوي ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**» (٣).

فهذه النصوص ، ومثلها كثير ، تتضمن أحكامًا كثيرة ، ومنها أنها تدل

---

(١) رواه البخاري ، ك النكاح ، ب لا يخلو رجل بامرأة جـ٦ ص١٥٩ ، ومسلم ، ك السلام ، ب تحريم الخلوة بالأجنبية ، شرح النووي جـ١٤ ص ١٥٣ رقم ٢١٧٢ ، والترمذي ، ك الرضاع ، ب ما جاء في كراهية الدخول على المُغِيبات جـ٣ ص٤٧٤ رقم ١١٧١ ، والدارمي ، ك الاستئذان ب في النهي عن الدخول على النساء جـ٢ ص٣٦١ رقم ٢٦٤٢.

(٢) رواه أبو داود في ك الأدب ، ب في مشي النساء مع الرجال في الطريق جـ٤ ص٣٦٩ رقم ٥٢٧٢ ، وسكت عنه وهو لا يسكت إلا على صالح. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع جـ١ ص ٢٢١ رقم ٩٢٩. ومعنى ليس لكن أن تحقُقْن الطريق : قال ابن الأثير : هو أن يركبن حُقَّها وهو وسطها ، يقال : سقط على حافَّة القَفا وحُقِّه. النهاية ١/ ٤١٥.

(٣) رواه مسلم في ك القدر ب كل شيء بقدر ، شرح النووي جـ١٦ ص٢٠٥ ، ٢٠٦ رقم ٢٦٥٧ وفي رواية ابن عباس عنده «**أو يكذبه**» . وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الحدود ، ب تحريم النظرة إلى المرأة الأجنبية جـ١٦ ص٧٣ .

دلالة واضحة على حرمة تبرج المرأة أي إظهارها لشيء مما أُمِرَت بستره ، لغير المحارم ، وكل من المسلم والمسلمة مأمور بغض البصر وصونه عن التطلع إلى عورة حرم الله النظر إليها ، امتثالاً لأمر الله ، ودرءًا للفتنة ، وأنه لا يجوز اختلاء رجل بامرأة تحت أي دعوى ، فليس هناك اختلاء اثنين (رجل وامرأة) لأنهما صديقان أو محبان ، أو عاشقان ولا يجوز الاختلاط المستهتر وإقامة علاقات غير مشروعة بين الجنسين وأن هذا الذي يدعونه «حبًا» بهذا المفهوم الحرام المتدني لا يجوز شرعًا ، وكم جر إلى بلاء ، وأدى إلى عواقب وخيمة .

إن الحب هو حب المسلم لدينه ، لربه ، لنبيه ، للمؤمنين جميعًا . حبه لأبيه ، وأمه ، وأخته ، وابنته ، وزوجه ، وعمته وخالته . حبه لأهل الخير وذوي الفضل.

وليس من سبيل لإقامة علاقة جنسية بين رجل وامرأة إلا عن طريق الزواج أو تكون امرأة مملوكة لرجل ، فيعاشرها بملك اليمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:٥-٧] .

يقول الدكتور عبد المنعم النمر: «إن الراديو [١] يتولى تعليم أولادنا فنون الحب والدخول إليه ، ويتولى تفتيح عيونهم وكأننا مكلفون بهذا العمل، تقوم به الدولة وأجهزتها وإذا تحدث أحد أو اعترض على هذه الإثارات، قالوا: كيف ؟ إنه الحب ، الحب شيء ضروري في الحياة ولكن الكثيرين لا يفهمون الحب إلا على أنه نوع خاص يتصل بالجنس والأغاني مع

(١) ليس الراديو وحده ـ كما رأينا ـ.

الأسف، وقد تغالى في هذه الناحية حتى كاد يقتصر عليها ومن هنا يجيء الخطر»[1].

ألا فليعلم المسؤولون عن الترويج لتلك المفاسد أنهم آثمون ، وأنهم لن يحملوا فقط إثم أنفسهم بل سيحملون إثم من يضلونهم ، كما قال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥] .

وليعلموا كذلك أنهم بتبنيهم لهذه المفاسد ، إنما يتبنون الشذوذ بعينه ، ويسعون بالمجتمعات إلى حتفها ، وليكن لهم مُتَّعَظ ومعتبر مما تؤول إليه أحوال المجتمعات الغربية كل يوم ، من تفسُّخ وشقاء وضياع ، وأمراض وأوجاع لم تكن في أسلافهم ، بسبب هذا الانحطاط الخلقي ، الذي يتفردون به عن الناس ، ويشذون به عن الفطرة المستقيمة ثم ليحذروا أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

وهذه شهادة لبني قومنا الذين يدافعون عن مثل تلك الأخلاق والأفكار الفاسدة، رغبة في إزالة الغشاوة عن أبصارهم، التي حجبت عنهم حقيقتها وانعكاساتها السيئة على المجتمع الأوربي نفسه:

«نشرت جريدة الجمهورية القاهرية مقالاً لكاتبة أمريكية مختصة في شؤون الأحداث دون العشرين .. وقد زارت القاهرة عام ١٣٨٢هـ .. وساءها ما رأته من اختلاط في المجتمع الإسلامي فكتبت تقول: امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين .. فقد عانينا منه في أمريكا الكثير .. ولقد

(١) الصحافة والأقلام المسمومة ص١٣١ .

أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا معقدًا ، مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية .. إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات (جيمس دين) وعصابات للمخدرات والرقيق.

إن الاختلاط والإباحية في المجتمع الأوربي الأمريكي هددت الأسر وزلزلت القيم والأخلاق .. فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث ، تخالط الشبان وترقص التشاتشا وتشرب الخمور والسجائر .. بل وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية.

والعجيب في أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والدها ومدرسيها والمشرفين عليها باسم الحرية والاختلاط والانطلاق تتزوج في دقائق وتطلق بعد ساعات ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء [وعشرين] قرشًا وعريس ليلة أو بضع ليلة وهكذا ، زواج وطلاق .. مرات ومرات.

إن المجتمع العربي مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب - في حدود المعقول - وإن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي، ففي المجتمع العربي تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم، بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوربا وأمريكا.

ولذلك فإن القيود التي فرضها المجتمع (الإسلامي) على الفتاة الصغيرة صالحة ونافعة .. ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم

من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا [١].

«وقد جاء في بيان جماعة الأطباء الأمريكيين المخلصين ما متنه: لقد سبقت البلاد الأمريكية دول العالم المسكون في سباق الكتب الماجنة، والحضارة الوقحة، والفضائح الأخلاقية وصنعة الأفلام السينمائية القذرة، ومؤسسو هذه الأعمال الإجرامية المفسدة قد قضوا على القيم الروحية والخلقية ، لا في أوروبا فقط بل عدوا على الشرق وأوقفوه في صفوفهم وإننا [نحذر] [٢] البلاد الآسيوية أن تكون على حذر من هذه الحضارة السافرة وإلا فستكون أسوأ حالاً وأبشع منظرًا من الغرب» [٣].

اللهم سلّم سلّم .

٢ـ هدم القيم الاجتماعية الإسلامية، وإحلال أعراف وتقاليد مستوردة محلّها:

وهناك قيم ومبادئ وأخلاق اجتماعية مثلى أمر بها الإسلام، وجعلها جوهرية في المجتمع، لابد أن تحكم علاقة الأفراد ـ على اختلافهم ـ ببعض، مثل احترام الوالدين ، وتوقير الكبير ، ورحمة الصغير ، وإجلال العالم والقاضي ، والمربي ، والأمانة ، والصدق ونحوها ، وهي أخلاق لا غنى عنها لمجتمع ينشد المحبة والصفاء، والتعاون والأمان .

ولكننا للأسف ـ نجد تيارًا جارفًا، وحملة شعواء لهدم هذه القيم واقتلاع

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، محمد محمود الصواف ، ص٢٢٧، ٢٢٨ ، دار الاعتصام ـ القاهرة ـ نقلاً عن جريدة المدينة المنورة عدد ٢٩٤ ، ١٨ شوال ١٣٨٤هـ ، ١٩ شباط ١٩٦٥م ، فقه السنة ، الشيخ سيد سابق جـ٢ ص٣٢٣ ، ٣٢٤. ط١٤١٠هـ .

(٢) العبارة في الكتاب (وإننا نذر) وأظنها خطأ مطبعيًا.

(٣) المخططات الاستعمارية (السابق) ص٢٢٧.

جذورها، وإحلال أعراف وتقاليد فوضوية متدنية محلها، لتصبح هي السائدة في المجتمع ، ومن ثم تنقطع صلة الأفراد بتلك القيم الإسلامية النبيلة ، ويصبحون في تعاملهم ببعضهم ، وسمتهم غير مسلمين .

وكان من وسائل هدم قيمنا الاجتماعية الإسلامية، على نطاق واسع، السينما والمسرح فقد أسهما بدور ضليع في هذا المجال، وتركا آثارًا ضارة على الصغار والكبار، بالإضافة إلى بعض الوسائل الأخرى كالمجلات.

وقد كان من النماذج الضارة، في هذا المجال، مسرحية «مدرسة المشاغبين» التي لم تترك قيمة اجتماعية إسلامية إلا وحاولت القضاء عليها ، ما وسعها الجهد ، وركزت فيما ركزت على إهانة المعلم بشكل رئيسي وعدم توقير الكبير ، أبا كان أم غيره ، وهذه المسرحية الساقطة ، ما تركت مكانًا في عالمنا العربي إلا وحلت به ضيفًا ثقيلاً ـ فيما أعلم .

وكذلك مسرحية «شاهد ما شافش حاجة» حيث شوهت صورة القاضي، وجعلته مجالاً للسخرية والاستهزاء، وجعلت منه أضحوكة الممثلين والمتفرجين على السواء.

«وقد بثت إحدى المحطات فيلمًا أمريكيًا ، قام الولد بضرب أبيه عندما أراد والده أن يؤدبه ، ولم يظهر على الأب أي رد فعل لذلك» [١].

«أما عالم الدين فتكاد تجمع وسائل الإعلام على إبرازه بصورة ذلك الدرويش الذي يلبس ثوبًا مرقعًا ويعلق المسابيح في صدره ويمسك عصًا طويلة في يده يمر في الشوارع وهو يتمتم بكلماتٍ لا يفهم أحد معناها أو يصيح صيحة المجنون ، ويغالي البعض في التشويه فيصوره بصورة الماكر

(١) البث المباشر ، حقائق وأرقام ص٧٤ هامش .

المخادع كما يبدو في أحد الأفلام حيث تُبرِز دور عالم الدين بموقف الناصح الأمين الذي يدعو الشباب إلى التمسك بالدين والابتعاد عن الفواحش فهو التقى الورع ، إلا أن الأمر يكتشف في آخر الرواية حين تتبين حقيقة هذا الشيخ وإذا به تاجر للمخدرات !!

بمثل هذه الصور يظهر الإعلام العربي ـ بصفة عامةٍ ـ صورة عالم الدين الإسلامي» [(١)].

«وقد ساهم المسرح في تشويه الشخصية الإسلامية من خلال ما يقدم من روايات، ولا ينسى المشاهد العربي مسرحية «حلمك يا شيخ علاّم» التي كُتِبَت وقُدِمت لهدم شخصية عالم الدين الذي صورته رجلاً منافقًا كذابًا يعتمد على السحر والشعوذة والخرافات لتحقيق أغراضه الدنيئة، وكذلك مسرحية «فرحة أمة» التي قدمها المسرح الكويتي وصور خلالها المتدين بالتعصب والتقعر في الحديث ومخالفة كل شيء في المجتمع والادعاء بتكفير الناس إلى غير ذلك من المزاعم» [(٢)].

وقد استخدمت بعض المجلات العلمانية المتفرنجة الصور الكاريكاتورية في هذا الصدد «وكان من أسوأ هذه الصور كاريكاتير الشيخ متلوف الذي استمر في مجلة روزاليوسف سنوات في نقد لاذع لكل القيم التي يمثلها عالم الإسلام، بل إن صلاح جاهين قد جاوز بعد ذلك كل الحدود حين أجرى الكاريكاتير على أعلى قيم الإسلام ، وجاء مصطفى حسين فرسم الديك وزوجاته التسع ، وكتب تحته» (محمد أفندي وزوجاته التسع) .

---

(١) الإعلام والتيارات الفكرية المعاصرة ـ سعيد عبد الله حارب ص٦٠.

(٢) المصدر السابق ص٤٩ ، ٥٠.

والهدف معروف من وراء هذه الإشارة، كما نشرت جريدة صباحية كاريكاتورية رسمًا للاعب كرة وهو يضرب عمامة أحد علماء الأزهر بدلاً من كرة القدم» [١].

وهناك عادة غريبة مريضة اعتاد كثير من السُّخفاء عليها في كل عام ، تسمى «كذبة إبريل» تقوم في أساسها على أن يبحث الشخص عن كذبة أو «مَقْلَب» [٢] أو خبر كاذب ليبلغه لشخص آخر أو لأسرة على أنه خبر جاد ، وقد تحدث مصائب من ورائه ، وتسفر الأمور في النهاية عن أنها «كذبة إبريل» .

إحدى مجلات الأطفال ، كأنها رأت أن الحاجة ماسّة لأن يتذكر الأطفال «كذبة إبريل» وأن يحرصوا عليها ، فقامت بدعوة الأطفال إلى الاجتهاد في اختلاق الأكاذيب في هذه المناسبة الضارة ، حتى يفوزوا بالاستهزاء والسخرية من أكبر عدد ممكن من الناس ، بل واقترحت من عندها تقديم بعض الحيل والنصائح لينجحوا في سلوكهم المشين .

قالت المجلة [٣] تحت عنوان «من أجل حفنة ضحكات» : «أول أبريل هو اليوم الوحيد من العام الذي تحتمل فيه كل «الضحكات» وبعد ما ذكرت أن هذا التقليد يرجع إلى عام ١٥٦٤ ويعود إلى أحد ملوك أوربا «ومنذ ذلك الحين ظهرت الهدايا الكاذبة» شرعت تقدم للأطفال بعض الحيل الكاذبة ليتعلمها الأطفال فيخدعوا بها أحدًا من الناس ، لعلهم يظفرون

---

(١) الصحافة والأقلام المسمومة ص٢٣١.

(٢) كلمة بالعامية المصرية يقصد بها تدبير حيلة أو خدعة لأحد الناس بقصد الضحك والسخرية منه.

(٣) ميكي، العدد ١٤٠٦ ، ٣٠ مارس ١٩٨٨ ص١٦ ، ١٧ .

بضحكة ، وتتابع قائلة : «نصيحة جيدة لتنجح حيلة ، يجب أن تظل جادًا ولا تضحك وها هي بعض الأفكار الظريفة التي تستطيع أن تعدها استعدادًا لذلك اليوم .. حظ سعيد ! » .

إحدى هذه الحيل تقدمها بعنوان «احترس من الدهان» : «حاول أن تجد سترة قديمة أو قميصًا قديمًا ، ثم اشتر بعض الطلاء بشرط أن يكون لونه مماثلاً لمقعد عام قريب من منزلك ، ارسم خطوط المقعد العام على الرداء الذي معك ، دعه يجف والبسه ، ثم اصطحب جارك واذهب لتجلس على هذا المقعد .. وبعد قليل وبكل هدوء، قم وابتعد بدون أن تبدو عليك الرغبة في إظهار ظهرك .. سيشعر جارك بالفزع، وسينهض بسرعة لينظر إلى ظهره، ادع أصدقاءك للتفرج .. ونؤكد لك أنك ستفوز بجائزة الضحك!».

وحيلة أخرى تقدمها بعنوان «تمرينات في الشارع» فتقول : اجلس أنت وأحد أصدقائك على ناصيتي رصيف ، بالعرض وكأنكما تمسكان خيطًا ، على مستوى الركبة ، ويستطيع صديقان لكما أن يشتركا في المقلب بالتمثيل أمام الناس وكأنهما يعبران هذا الخيط الوهمي ، اطلب من المارة أن يفعلوا نفس الشيء : عبور الخيط حتى لا يقعوا ! ولكن انتبه : هذه الحيلة لن تنجح إلا إذا ظللت أنت وأصدقاءك في منتهى الجدية ! » .

أليست هذه السخافات كذبًا ، أم أنه من الكذب المباح ـ عند هؤلاء ـ السخرية بالآخرين والضحك عليهم ، وقد يكون فيهم رجل في سن والد الطفل أو امرأة في عمر والدته ، إن الكذب هو الكذب ، وهو «من أكبر الكبائر ، ثم هو من أسوأ الأخلاق وأحطّها ، ولن تفلح أمة يفشو فيها

الكذب ، ولو كان في صغائر الأمور» [١].

إن هذه الأعراف الفاسدة، والتقاليد البالية، والأخلاق المستهترة، غريبة عنا ـ نحن المسلمين ـ ولا يصح أبدًا أن نسمح بعرضها على أطفالنا، فضلاً عن دعوتهم إليها ، وحملهم عليها .

ولا يرضى منا الإسلام إلا أن نحترم الآخرين خاصة إذا كانوا من أهل العلم وذوي الفضل ، ولا يجيز لنا أن يسخر أحدنا من الآخر ، رجلاً كان أو امرأة ، ويحرم علينا الكذب ، ويعده من الذنوب الكبيرة .

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «**من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا ، فليس منا**» [٢].

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : «**من لم يرحم صغيرنا ، ويجل كبيرنا ، فليس منا** » [٣] وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه**

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ٧٠١ ـ ٧٧٤ تأليف أحمد محمد شاكر ص١٠ . دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ، ب فضل الكبير ، ص١٥٥ ، ورواه أبو داود ، ك الأدب ، ب في الرحمة جـ٤ ص٣٨٦ رقم ٤٩٤٣ ، ورواه الترمذي ، ك البر والصلة ، ب ما جاء في رحمة الصبيان جـ٤ ص٣٢١ رقم ١٩١٩. ورواه أحمد الفتح الرباني ، ك الأخلاق ، ب في الرحمة بخلق الله جـ١٩ ص٨٨. ورواه الحاكم في البر والصلة جـ٤ ص١٧٨ وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (الموضع السابق) ص١٥٦.

والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط» [١].

ويقول الله تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ .

[المجادلة:١١]

وما أروع استنباط الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة:٤] إذ يقول :

«وفي هذه الآية دليل على أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل ؛ لأن الكلب إذا عُلِّم يكون له فضيلة على سائر الكلاب ؛ فالإنسان إذا علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس ، لاسيما إذا عمل بما يعلم ؛ وهذا كما روى عن علّي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : لكل شيء قيمة ، وقيمة المرء ما يحسنه» [٢].

ويأمر الله بأن تكون علاقة المسلمين ببعضهم قائمة على التقدير والاحترام ، فيقول ـ تعالى ـ ناهيًا عما ينافي هذا الأمر : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١] .

ومما جاء في شأن الكذب ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه

(١) رواه أبو داود ، ك الأدب ، ب في تنزيل الناس منازلهم جـ٤ ص٢٦١ ، ٢٦٢ رقم ٤٨٤٣ ، وحسنه الشيخ الألباني ، صحيح الجامع ١/٤٣٨ رقم ٢١٩٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ٦ ص٥٠ .

قال : **«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»** (١).

ولم يرخص النبي ﷺ في الكذب **«إلا في ثلاث : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها»** (٢).

وليس من مرخصات الكذب ، الضحك والسخرية من الناس كما مر بنا.

بل لقد جاء الوعيد الشديد لمن يختلق حديثًا فيكذب ليضحك به الناس، في الحديث الذي رواه معاوية بن حَيْدة القشيريّ عن النبي ﷺ ؛ أنه قال: **«ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ، ويل له ، ويل**

(١) رواه مسلم ، ك البر ، ب قبح الكذب وحسن الصدق . شرح النووي جـ١٦ ص١٦٠ رقم ٢٦٠٧ ، (وهذا لفظه) ، وأخرجه البخاري ، ك الأدب ، ب قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ جـ ٧ ص٩٥ ، وأبو داود ، ك الأدب ، ب في التشديد في الكذب جـ٤ ص٢٩٧رقم ٤٩٨٩ ، والترمذي ، ك البر ، ب ما جاء في الصدق والكذب جـ٤ ص ٣٤٧ رقم ١٩٧١ ، والدارمي ، ك الرقائق ، ب في الكذب جـ٢ ص٣٨٨ رقم ٢٧١٥ ، ومالك ، ك الكلام ، ب ما جاء في الصدق والكذب جـ٢ ص٩٨٩ ، وأحمد الفتح الرباني ، ك آفات اللسان ، ب ما جاء في الترهيب من الكذب جـ١٩ ص٢٦٣ ، وابن ماجة في المقدمة ، ب اجتناب البدع والجدل جـ١ ص١٨ رقم ٤٦.

(٢) رواه مسلم، ك البر ب تحريم الكذب وما يباح منه جـ١٦ ص١٥٧ ، ١٥٨ رقم ٢٦٠٥ ، ورواه أحمد ، الفتح الرباني ، ك آفات اللسان ، ب ما جاء في الترهيب من الكذب جـ١٩ ص٢٦٦ والمقصود بحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها إخباره إياها أو إخبارها إياه بالحب والميل القلبي . وليس فيما دون ذلك .

له» [1].

فمتى يهتدي القائمون على وسائل ثقافة الطفل المسلم ، لهذه القيم الإسلامية الراقية ويعمقونها في نفوس أبنائنا ، بدلاً من أن يدلوهم على عدم احترام أهل العلم وذوي الفضل والقدْر ، والكذب والسخرية من الناس ، والاستهزاء بهم ؟!

اللهم اهدنا سواء السبيل .

٣ ـ الترويج للعنف والجريمة من منظور الثقافة الغربية :

وهناك عشرات ، بل مئات ، القصص المكتوبة ، التي تقرأ أو تترجم إلى أعمال تليفزيونية أو سينمائية وتعرض على الصغار والكبار تتضمن مشاهد عنف وحوادث وجرائم بشعة ، وكثير منها مقترن بأهداف دنيئة، كالتقاتل من أجل الفوز بقلب امرأة وحبها ، أو من أجل الحصول على زعامة ، أو أموال كأفلام اللصوصية ، ونحوها ، والسواد الأعظم من هذه القصص أجنبي ، سواء أكان مترجمًا إلى العربية ، أم كان بلغته الأصلية، ويلاحظ أنه لا تكاد تخلو منه بلدة من بلاد المسلمين ، خاصة مع انتشار «البث المباشر» وغزو المسلمين من خلاله ، بهذا اللون من القصص.

---

(١) رواه الترمذي في ك الزهد ، ب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس جـ٤ ص٥٥٧ رقم ١٣١٥ وقال : هذا حديث حسن» ، ورواه أبو داود في ك الأدب ، ب في التشديد في الكذب جـ٤ ص٢٩٧ ، ٢٩٨ رقم ٤٩٩٠ ، والدارمي ، ك الاستئذان ، ب في الذي يكذب ليضحك به الناس جـ٢ ص٣٨٢ ، ٣٨٣ رقم ٢٧٠٢ ، وأحمد من طرق مختلفة ، الفتح الرباني ، ك آفات اللسان ، ب ما جاء في المزاح والترهيب من الكذب فيه جـ١٩ ص٢٦٨، ٢٦٩ ، والحاكم في ك الإيمان جـ١ ص٤٦ وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع جـ٢ ص١١٩٩ رقم ٧١٣٦ ، من حديث معاوية بن حيدة القشيري ، من طريق حفيده بَهْز بن حكيم بن معاوية بن حَيْدة .

والواقع أن مثل هذا المضمون الفكري والخلقي ، يجب ألا يسمح به في بلادنا الإسلامية ويجب على المسؤولين العمل على وقفه فورًا ، لأنه غير مناسب لأطفالنا ، بل ولا الكبار ، بحال من الأحوال .

«ولقد شكا العارضون في الدول المصدرة للأفلام من تأثير هذه الأفلام على سلوك أطفالهم لأنها مثيرة للعنف ، فكيف نقبلها نحن وكيف نعرضها على شاشاتنا الصغيرة لنقدمها إلى عقول الصغار والكبار معًا ؟ ! ثم كيف نقبلها نحن ، والعنف في ثقافتنا غير العنف في ثقافتهم ؛ فالعنف في ثقافتهم يرتبط بفلسفتهم المادية ، والعنف لدينا يحدد الإسلام أشكاله ومفهومه» [١].

وإن «مثل هذه المسلسلات رفضها المجتمع الأمريكي ، وتقدمت آلاف الأمهات في الولايات المتحدة تطلب من الكونجرس أن يعمل على وقف إنتاجها وعرضها على الجيل الجديد .. واستجابوا لجانب من الطلب فسمحوا بالاستمرار في إنتاجها وشجعوا على تصديرها للجيل العربي المنكود !» [٢].

وقد يزعم بعض المتفائلين المتخصصين في علم نفس الطفل أو الطلب العقلي أن نزعة الطفل نحو العنف والسَّادية تكاد تكون صفة طبيعية ، لا ضرر منها ، وذلك خلال مراحل زمنية معينة ، ولأجل ذلك فهم لا ينكرون ضرورة مثل هذه الكتب أو القصص التي تغذى هذه النزعات ، إذ

---

(١) أثر وسائل الإعلام على الطفل ، أحمد محمد الزيادي وآخران ص٣٤، ٣٥ والكلام منسوب للدكتور/ نور الدين محمد عبد الجواد .

(٢) الإعلام العربي المعاصر وأثره في ضياع الجيل وهزيمة الأمة ، يوسف العظم ، ضمن بحوث الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص٥٠٤ .

إنها تكون المنافذ الضرورية لتفريغ هذه الطاقة الكامنة التي قد تعد جزءًا مكملاً لعملية النضج النفسي.

ولكن هذا الكلام لا يسلم ؛ فإنه بدلاً من إتاحة الفرصة لتفريغ هذه الطاقة العدوانية بصورة سلبية عن طريق كتب أو قصص الجريمة والعنف، فإننا يمكننا إتاحة العديد من الفرص لتفريغ تلك الطاقة بصورة إيجابية عن طريق حسن استغلال وقت فراغهم ، وما نخططه لهم من برامج لمختلف الأنشطة ، وعلى الأخص الأنشطة الدينية ، وبذلك نقدم الوقاية من الانحراف ، بدلاً من تفريغ تلك الطاقة العدوانية بالأساليب الإنحرافية والتي ننشغل بعلاجها بعد أن ينحرف الأحداث ، والوقاية خير من العلاج [١].

وإن الترويج لتلك الأفكار والسلوكيات ، بالإضافة إلى أنه ضار بالطفل ضررًا بالغًا [٢]، يتعارض مع موقف الإسلام من العنف والمقاتلة ، وضوابطه في هذه المسألة التي تختلف مع الموقف الغربي وضوابطه .

وكان الأولى والأوجب أن نعرض على أطفالنا موقف الإسلام ونظرته في مثل هذا الجانب ، وهم بحاجة ماسة إليه ، خاصة في مرحلة الطفولة المتأخرة ، والوقوف على عتبات البلوغ ، لتسمو أفكارهم ، ويرشد سلوكهم ، ولا بأس بإلقاء نظرة سريعة توضح هذه المسألة بإيجاز :

إن الإسلام يحث المسلم على المسالمة ، واللين والرفق والرحمة ، ويمنعه

---

(١) الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية معهم . د./ محمد سلامة غباري ص١٦٤ ، ١٦٥ بتصرف ، المكتب الجامعي الحديث بالإسكندرية ط. الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م وانظر : حول أثر التليفزيون على الأطفال والشباب ، الدكتور إبراهيم إمام ، ملحق بكتاب : نحو إعلام إسلامي للدكتور / علي جريشة ص١٦٦ ، ١٧٥.

(٢) سوف يأتي مزيد عن هذه الآثار في الباب التالي ـ إن شاء الله .

من الانجراف في تيار الشدة والقسوة والعنف والغضب والمقاتلة ، إلا إذا اقتضت الظروف ذلك ، فيكون حينئذ تصرفًا في موضعه ، وفق ضوابط تجعله ـ ليس فقط عملاً لائقًا ـ بل طاعة وعبادة لله ، يثاب المرء عليها .

وهذه كلها تتلخص في أن المسلم لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله ، أو اعتدى على حق من حقوق الله ، أو دفاعًا عن حرمة مسلم ، أو دفاعًا عن عرضه أو ماله أو نفسه ، أو وطنه المسلم الذي يشمل كل موضع عليه مسلم يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، على أن يكون أي تصرف منه خالصًا لوجه الله بعيدًا عن الاعتداء والظلم والإسراف ، وهذه بعض النصوص والمواقف التي تتجسد فيها هذه المفاهيم :

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

ويقول ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ .

[الفتح:٢٩]

وعن عائشة زوج النبي ﷺ ؛ أن رسول الله ﷺ قال : «**يا عائشة ، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه**» (١).

---

(١) رواه مسلم ، ك البر ، ب فضل الرفق. شرح النووي جـ١٦ ص١٤٦ رقم ٢٥٩٣ وفي ك السلام ، وروي بعضه البخاري في ك استتابة المرتدين ، ب إذا عرَّض الذمي وغيره بسب =

وعنها ـ أيضًا ـ قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأةً ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله ﷻ [١].

وعن أبي مسعود الأنصاري قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا قال فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : «**يا أيها الناس ، إن منكم منفرين فأيكم أمّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة**» [٢].

وقد ربّى رسول الله ﷺ المسلمين على هذه المعاني ، وغذّى أفكارهم

= النبي ﷺ جـ ٨ ص٥١ ، وفي كتب الاستئذان والأدب والدعوات ، وأبو داود في ك الأدب ، ب في الرفق من رواية عبد الله بن مغفل جـ٥ ص٢٥٤ رقم ٤٨٠٧ ، والترمذي في ك الاستئذان ، ب ما جاء في التسليم على أهل الذمة جـ٥ ص٦٠ رقم ٢٧٠١ ، والدارمي ك الاستئذان ، ب في الرفق جـ٢ ص٤١٦ رقم ٢٧٩٣ ، ٢٧٩٤ ، ومالك في ك الاستئذان ، ب ما يؤمر به من العمل في السفر جـ٢ ص٩٧٩ ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الأخلاق الحسنة ، ب الترغيب في الرفق جـ١٩ ص٨٣ ، ٨٤. وابن ماجة في ك الأدب ، ب الرفق جـ٢ ص١٢١٦ رقم ٣٦٨٨ ، ٣٦٨٩.

(١) رواه مسلم ، ك الفضائل ، ب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته . شرح النووي جـ١٥ ص٨٤، ٨٥ رقم ٢٣٢٨ ، والبخاري ، ك المناقب ، ب صفة النبي ﷺ جـ٤ ص ١٦٦ـ١٦٧ ، وأبو داود، ك الأدب ، ب في التجاوز في الأمر جـ٤ ص٢٥٠ رقم ٤٧٨٥ ، ٤٧٨٦ ، ومالك في ك حسن الخلق جـ٢ ص٩٠٢ ، ٩٠٣.

(٢) رواه مسلم ك الصلاة ، ب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ، شرح النووي جـ٤ ص١٨٣ ، ١٨٤ رقم ٤٦٦ ، ورواه البخاري ، ك الأدب ، ب ما يجوز من الغضب والشدة بأمر الله عز وجل جـ٧ ص٩٨ ، وأحمد ، الفتح الرباني ، أبواب الإمامة وصفة الأئمة ، ب ما يؤمر به الإمام من التخفيف جـ٥ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والدارمي ، ك الصلاة ، ب ما أمر الإمام من التخفيف في الصلاة جـ١ ص٣٢٢ رقم ١٢٥٩ ، وابن ماجة في ك إقامة الصلاة ، ب من أمّ قومًا فليخفف جـ١ ص٣١٥ رقم ٩٨٤.

بهذه المفاهيم ، فكانوا رحماء رفقاء فيما بينهم ، وأشداء أقوياء عندما تنتهك محارم الشرع ، وهكذا يجب أن تُدّخر القوة والبأس لحماية الحق والفضيلة ، وألاَّ تبذل إلا لما يستحق البذل .

وكان أبو بكر ﷺ معروفًا بلين قلبه ورحمته ورقته ، ومع هذا تنقلب الرحمة إلى غلظة ، والرقة إلى قوة ، واللين إلى شدة ، والحلم إلى ثورة ، عندما يحدث ما يستدعي ذلك شرعًا ، كما حدث منه ﷺ عندما دخل على حبر من أحبار اليهود يقال له : «فنحاص» وعرض عليه الإسلام ، فرد عليه اليهودي بقوله : «والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغنى ، ولو كان غنيًّا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنيًا ما أعطانا الربا» فغضب أبو بكر وضرب وجهه ضربًا شديدًا ، وقال : والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك . أي عدو الله .. إلخ القصة [(١)].

وكذلك موقفه الشهير بعد وفاة النبي ﷺ حين أعلن الحرب على مانعي الزكاة والمرتدين عن الإسلام ، وأعلنها غضبة لله عز وجل ، كما هو معروف في كتب التاريخ [(٢)].

ألا ما كان أحوج أبناءنا إلى هذه التربية الإسلامية ، حتى يشبوا رجالاً مؤازرين للحق ، عبيدًا لله ، بدلاً من أن يكونوا عبيد شهوة ، أو نزوة ، أو عَرضٍ من متاع الدنيا الزائل .

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال : إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، ص٣٩ وما بعدها .

٤ ـ الترويج لعادات سيئة تتعارض مع آداب الإسلام :

«اقتناء الكلاب من غير مصلحة معتبَرة»:

ومن مظاهر التغريب السافرة ، تشجيع الأطفال على اقتناء الكلاب للزينة ، والإكثار من الحديث عن كيفية رعاية الكلاب من استحمام وتمشيط وإطعام ، بل وحتى كيفية تعويدها على قضاء الحاجة ، بصورة مقززة للنفس ، باعثة على الاكتئاب ، حتى ليحس المرء كأنه يقرأ في مجلات تصدر من باريس أو لندن أو طوكيو ، وكأننا أمة قد حصَّلت كل ما تبغي، وقامت بواجباتها ، فلم يبق لها إلا الاتجاه نحو رعاية الكلاب والإنفاق عليها ببذخ دونما طائل ، فضلاً عن عدم وجود أي مبرر شرعي أو خلقي .

إحدى المجلات تعرض في عدد من أعدادها [١] صورة لكلب ذي شعر طويل ، بجانبه طفل يمشطه ، وتحت الصورة «الملونة» عبارة تقول : «كيف تحافظ على نظافة الكلاب وصحتها» وتتابع المجلة قائلة: يجب أن تستحم الكلاب من حين لآخر ، وعقب الحمام يجب تجفيف جسم الكلب جيدًا ، ويجب تمشيط شعر الكلب جيدًا يوميًا وذلك للتخلص من الشعر التالف أو العقد في شعر الكلب . ويجب أن تفتش شعر الكلب لمعرفة إذا كانت هناك التهابات أو جروح في جلد الكلب ، ويجب العناية بعيون الكلب وآذان الكلب بقطعة صغير من القطن .

وفي عدد آخر من نفس المجلة [٢]صورة ملونة لكلب يقعد فوق سجادة ، وتحتها عبارة تقول : «كيف تقوم بتدريب الكلب ؟ » .

---

(١) ميكي ، العدد ١٤٠٠ ، ص٨٢ ، ١٨ فبراير ١٩٨٨.

(٢) ميكي ، العدد ١٣٩٦ ، ص٨٢ ، ٢١ يناير ١٩٨٨.

قلت في نفسي قبل متابعة القراءة : لعل المقصود التدريب على الصيد ، أو الحراسة ، أو نحو ذلك ، ولكن سرعان ما كدت أصاب بالغثيان مما قرأت ، فأي تدريب تقصد ؟!

تقول المجلة: لترويض الكلب داخل المنزل تحتاج لفافة سميكة من أوراق الجرائد بالقرب من فراش الكلب ، وضع الكلب على الورق ، لذا عندما يبدأ في التبول ، وبعد أن ينتهي امتداحه ربما بالتصفيق له ، وإذا تبول في غير المكان المخصص له لا تعاقبه حتى يتعود على المكان ، وبعد ذلك يمكن أن تعوده على نفس الشيء خارج المنزل .

ومجلة أخرى [1] تذكر قصة لفتاة صغيرة تمسك في يدها حبلاً تجرُّ به كلبًا معها والكلب منقط بنقط سوداء وهي تقول : «كم أحب الخروج للنزهة مع كلبي» ثم تلاقى صديقة لها هي الأخرى معها كلب فترحب بها وتقول لها : «أرى أنك قد غيرت تسريحة شعرك فترد عليها وهي تشير إلى كلبها الذي تدلي الشعر الأسود على جانبي وجهه ، قائلة : نعم استوحيت هذه التسريحة من كلبي فتثنى على هذه الفكرة وتصفها بأنها ظريفة ومبتكرة ، وتقول : «وأنا أيضًا كيف أصبح منقطة مثل كلبي» وتمر سيارة مسرعة على الطريق الذي به بعض الطين ، فيتناثر الطين على وجهها وفستانها وقدمها مما يجعلها مشابهة لكلبها المنقط !

قرأت هذا الكلام والأسى يعتصر قلبي، مما آل إليه أمر المسلمين اليوم، من عوج وعدم توازن، فهذه كلاب يراد لأطفالنا أن يَحدَبُوا عليها كل هذا

(١) سمير ، العدد ١٣٦١ ، ص٥٥ ، ٩ مايو ١٩٨٢ ، نقلاً عن مجلة ماجد .

الحَدَب [١]، وتنفق عليها الأموال الطائلة، وتهدر في سبيلها الجهود الكثيرة، لا لغاية ولا لمصلحة إلا اللهو والعبث ، بينما ملايين الأطفال والكبار من المسلمين يواجهون خطر الموت جوعًا ، وعريًا ، وتشردًا ، وشقاءً وبؤسًا ، وهؤلاء «المتحضرون» يتفرّغون ويفرغون أولادنا للكلاب .

إن هذه العادات السيئة تخل بالمروءة ، وليست من أخلاق الإسلام ، وإنما هي من أخلاق الغربيين الماجنة الساقطة ، ولا شأن لنا بها ، فنحن مجتمع نظفه الإسلام ونزهه عن مثل تلك الأقذار والعفونة ، وهذا الذي يروّج له نفر من المسلمين في وسائل ثقافة الطفل المسلم ، يجب أن يُعلم أنه منافٍ للفطرة السليمة والطباع المستقيمة .

وأنا أعرف أنهم يدافعون عن هذه العادات دفاعًا مستميتًا ، ويصفون من ينكرها بالتخلف وعدم التحضر ونحو هذه الأوصاف ؛ لأنها أصبحت جزءًا من عاداتهم ، وركنًا في حياتهم ، ولا غَرْوَ ، فهم بالغرب مقتدون، وعلى سَنَنِه يمشون ، ولكنهم عن آداب الشرع الحنيف غافلون.

إن الذي يُستفاد مما صح في الأحاديث النبوية، ومما قرره أهل العلم، أن الأصل في مسألة اقتناء الكلاب هو المنع، ولا يجوز للمسلم اقتناؤها إلا إذا كان محتاجا إلى ذلك في مصلحة معتبرة؛ مثل الصيد، وحراسة الزرع أو الماشية، أو حراسة البيوت، أو ما استُجدّ في عصرنا؛ مثل الكلاب المدرَّبة على كشف المخدّرات والجرائم، ونحو هذا مما يدفع المضار ويحقق المنافع، وأمّا مَا عدا ذلك مثل اقتناء الكلاب على سبيل الزينة أو التفاخر، أو التقليد للغرب فإنه يدور بين التحريم والكراهة.

---

(١) حَدِبَ عَلَيه يَحْدَبُ إِذَا عَطَف.

وهذه نصوص عن النبي ﷺ، تبين موقف الإسلام من تلك العادة السيئة.

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله ، ثم نهى النبي ﷺ عن قتلها وقال : «**عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين فإنه شيطان**» [(١)].

وعن عبد الله بن المغفَّل قال : أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ثم قال : «**ما بالهم وبال الكلاب ، ثم رخص في كلب الصيد وكلب الغنم**» [(٢)].

ورخص ﷺ أيضًا في كلب الزرع ، كما في رواية أبي هريرة ﷺ التالية .

ومع النهي عن قتلها بعد أن كان مأمورًا به ؛ فإن المرء لا يجوز له اقتناؤها من غير ضرورة ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**من أمسك كلبًا فإنه ينتقص من علمه كل يوم قيراط إلا كلب حرث أو**

---

(١) رواه مسلم ، ك المساقاة ، ب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية أو نحو ذلك ، شرح النووي ١٠/٢٣٦، ٢٣٧ رقم ١٥٧٢ ، وأبو داود في ك الصيد ، ب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره جـ٣ ص١٠٨ رقم ٢٨٤٦، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك القتل والجنايات ، أبواب ما جاء في قتل الكلاب واقتنائها جـ١٦ ص٢٢ ، والنسائي ، ك الصيد والذبائح ، ب الأمر بقتل الكلاب ، ب صفة الكلاب التي أمر بقتلها من غير رواية جابر جـ٧ ص١٨٤ ، ١٨٥ ، والحازمي في ك الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص٥٣٢.

(٢) رواه مسلم (السابق) جـ ١٠ ص ٢٣٧ رقم ١٥٧٣، والنسائي ، ك الصيد ، ب الرخصة في إمساك الكلب للماشية ، ب الرخصة في إمساك الكلب للصيد ، ب الرخصة في إمساك الكلب للحرث جـ٧ ص١٨٦ـ١٨٩ ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك القتل والجنايات ، أبواب ما جاء في قتل الكلاب جـ١٦ ص٢٢ ـ ٢٥ ، وابن ماجه في ك الصيد ، ب قتل الكلاب إلا كلب صيد أو زرع جـ٢ ص ١٠٦٨ ، أحاديث رقم ٣٢٠٠ ـ ٣٢٠٣ ، والحازمي في الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص٥٣٣.

ماشية» [١].

وفي حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيما أهل دار اتخذوا كلبًا إلا كلب ماشية أو كلب صائد، نقص من عملهم كل يوم قيراطان»** [٢].

وقد أجمع العلماء على جواز اقتناء ما استثناه النبيّ ﷺ، وذهب أكثرُهم إلى أنه يُقاس عليه إباحةُ اقتناءِ كلِّ ما يحتاج الإنسان إليه من الكلاب لتحقيق المنافع، ودفع المضار.

وأما ما عدا ذلك مما لم يَستثنِه رسول الله ﷺ وما لا يحقق مصلحة فمنهيٌّ عنه، على سبيل التحريم أو الكراهة.

قال الإمام الشافعي: ولا يحل اقتناؤه إلا لصاحب صيد أو زرع أو

(١) رواه مسلم (السابق) جـ١٠ ص٢٤٠ رقم ١٥٧٥، ورواه أبو داود، ك الصيد، ب ما جاء في اتخاذ الكلب للصيد وغيره جـ٣ ص١٠٨ رقم ٢٨٤٤، وأحمد، الفتح الرباني، ك القتل والجنايات، أبواب ما جاء في قتل الكلاب واقتنائها جـ١٦ ص٢٣، والنسائي، ك الصيد والذبائح، ب الرخصة في إمساك الكلب للحرث جـ٧ ص١٨٨، ١٨٩، وابن ماجه، ك الصيد، ب النهي عن اقتناء الكلب إلا كلب صيد أو حرث أو ماشية جـ٢ ص١٠٦٩ رقم ٣٢٠٤، والحازمي في الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص٥٣٢ من حديث جابر.
والمراد بالقيراط هنا: مقدارٌ مِن الأجر معلومٌ عند الله، أي نقص جزءٌ مِن أجره، وليس مقدار القيراط هنا كمقدار القيراط المذكور في فضل حضور الجنازة؛ لأنّ الذي في الجنازة من باب الفضل ففيه التوسعة، وهذا من باب العقوبة فهو محمول على العدل.

(٢) رواه مسلم (السابق) جـ١٠ ص٢٣٩ رقم ١٥٧٤. والشافعي في الأم، جـ٣، ص١١، دار المعرفة بيروت، والبخاري، ك الذبائح والصيد، ب من اقتنى كلبًا ليس بكلب صيد جـ٦ ص٢١٩، ٢٢٠، ورواه أحمد، الفتح الرباني، (السابق) جـ١٦ ص٢٣، ٢٤، ومالك، ك الاستئذان، ب ما جاء في أمر الكلاب جـ٢ ص ٩٦٩، والنسائي، ك الصيد والذبائح، ب الرخصة في إمساك الكلب للماشية جـ٧ ص١٨٦، ١٨٧، وابن ماجه في ك الصيد، ب النهي عن اقتناء الكلب إلا كلب صيد .. إلخ جـ٢ ص١٠٦٩ رقم ٣٢٠٥.

ماشية أو ما كان في معناه لما جاء فيه عن رسول الله ﷺ [١].

ومِن أهل العلم مَن يذهب إلى كراهة اقتناء الكلاب لغير المصلحة [٢].

وحتى مع إباحة اقتناء الكلاب في حدود هذه الضرورات ؛ فإنه ينبغي التحرز منها ، فلا يجوس الكلب داخل البيت ، ويتجول في حجراته ، كما يحدث عند بعض المتفرنجين ، حيث يُدخلونه في غرفهم ، ويلزمونه ويلازمهم ؛ حتى ليقول الرسول ﷺ ، فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه : **«طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب »** [٣].

وفي رواية أخرى ، عن ابن المغفّل قال : أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ، ثم قال : **«ما بالهم وبال الكلاب»** ثم رخص في كلب الصيد وكلب الغنم ، وقال : **« إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات ، وعفروه الثامنة بالتراب »** [٤].

---

(١) الأم، للشافعي، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، ص١١.

(٢) يراجع: التمهيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ١٤/ ٢١٩ وما بعدها، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة الأوقاف – المغرب، ١٣٨٧هـ.

(٣) رواه مسلم ، ك الطهارة ، ب حكم ولوغ الكلب ، شرح النووي جـ٣ ص١٨٣ رقم ٢٧٩، والبخاري في ك الوضوء ، ب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم جـ١ ص٥١ ، ورواه الترمذي ، ك الطهارة ، ب ما جاء في سؤر الكلب جـ١ ص١٥١ رقم ٩١ ، وقال : «حسن صحيح» .، وأبو داود في ك الطهارة ، ب الوضوء بسؤر الكلب جـ١ ص١٩ رقم ٧١ ، ٧٣ ، وأحمد، الفتح الرباني ، ك الطهارة ب فيما جاء في سؤر الكلب جـ١ ص ١٩ رقم ٧١ ، ٧٣ ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الطهارة ب فيما جاء في سؤر الكلب جـ١ ص ٢١٩ ، والنسائي ، ك الطهارة ، ب سؤر الكلب جـ١ ص٥٢ ، ٥٣ ، وابن ماجه في ك الطهارة ، ب غسل الإناء من ولوغ الكلب جـ١ ص١٣٠ رقم ٣٦٣ ، ٣٦٦.

(٤) رواه مسلم (الموضع السابق)، والدارمي، ك الوضوء، ب في ولوغ الكلب جـ١ ص٢٠٤ =

ولقد ذهب الإمام الشافعي إلي أن الكلب نجس [(١)].

وإن البيوت التي تمرح فيها الكلاب وتقِرّ ؛ لا تتشرف بدخول الملائكة .

فعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « **لا تدخل الملائكة بيتاً ، فيه كلب ولا صورة تماثيل** » [(٢)].

وعن عائشة أنها قالت: واعد رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة ولم يأته وفي يده عصا فألقاها من يده وقال: «**ما يُخلف الله وعده ولا رسله**» ثم التفت فإذا جروْ كلب تحت سريره فقال: «**يا عائشة متى دخل هذا الكلب ها هنا**» فقالت: والله ما دريْتُ، فأمر به فأخرج، فجاء جبريل فقال رسول الله ﷺ: «**واعدْتني فجلسْتُ لك فلم تأت، فقال: منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة**» [(٣)].

= رقم ٧٣٧ ، وأبو داود ، ك الطهارة ، ب الوضوء ، بسؤر الكلب جـ١ ص١٩ رقم ٧٤ ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الطهارة ، ب فيما جاء في سؤر الكلب جـ١ ص٢٢٠ ، والنسائي ، ك الطهارة ، ب تعفير الإناء الذي ولغ فيه الكلب بالتراب جـ١ ص٥٤ ، وابن ماجه في ك الطهارة ، ب غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب جـ١ ص١٣٠ رقم ٣٦٥.

(١) قال في الأم (٩/١) : وجلود ذوات الأرواح والسباع وغيرها مما لا يؤكل لحمه سواء ذكية وميتة وأن الذكاة لا تحلها ، فإذا دبغت كلها طهُرت لأنها في معاني جلود الميتة ، إلا جلد الكلب والخنزير فإنهما لا يطهران بحال أبدًا . ا . هـ.

(٢) رواه الترمذي ، ك الأدب ، ب ما جاء في أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا كلب جـ٥ ص١١٤ رقم ٢٨٠٤ وقال : «حديث حسن صحيح» ، ومسلم ، ك اللباس والزينة ، ب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة جـ١٤ ص٨٣ رقم ٢١٠٦ ، ورواه أحمد ، الفتح الرباني ، ك القتل والجنايات ، أبواب ما جاء في الكلاب واقتنائها جـ١٦ ص٢٦ ، ٢٧ ، والنسائي ، ك الصيد ، ب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب جـ٧ ص١٨٥ ، وابن ماجه ، في ك اللباس ، ب الصور في البيت جـ٢ ص١٢٠٣ رقم ٣٦٤٩ .

(٣) رواه مسلم ، ك اللباس والزينة ، ب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة جـ١٤ ص٨١ رقم ٢١٠٤ ، ورواه أحمد ، الفتح الرباني ، ك القتل والجنايات ، أبواب ما جاء في الكلاب = =

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال « **لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس** »[١].

وعن أبي مسعود الأنصاري أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغيّ وحُلْوان الكاهن[٢].

هذه هي آداب الإسلام التي يجب أن نعلّمها الطفل المسلم، ونغرسها في نفسه، كي يشبّ عليها نظيفاً طاهراً ، ملتزماً بهدى النبي ﷺ ، بدلاً من

واقتنائها جـ١٦ ص٢٠ ، ٢١، والنسائي ك الصيد والذبائح ب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب جـ٧ ص١٨٦، وابن ماجه ك اللباس ب الصور في البيت جـ٢ ص١٢٠٤ رقم ٣٦٥١، والحازمي في الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص٥٣٠ وفيه ميمونة بدل عائشة.

(١) رواه مسلم ، ك اللباس والزينة ، ب كراهة الكلب والجرس في السفر جـ١٤ ص٩٤ رقم ٢١١٣ ، ورواه الترمذي ، ك الجهاد ، ب ما جاء في كراهية الأجراس على الخيل جـ٤ ص٢٠٧ رقم ١٧٠٣ وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وأبو داود ، ك الطهارة ، ب في تعليق الأجراس جـ٣ ص٢٥ رقم ٢٥٥٥ ، والدارمي ، ك الاستئذان ، ب النهي عن الجرس جـ٢ ص ٣٧٤ رقم ٢٦٧٦ .

(٢) رواه البخاري في ك الإجارة ، ب كسب البغي والإماء جـ٣ ص٥٤ ، ومسلم في ك ، المساقاة ب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ، شرح النووي جـ١٠ ص٢٣١ رقم ١٥٦٧ ، وأبو داود في ك البيوع ، ب في أثمان الكلاب جـ٣ ص٢٧٩ رقم ٣٤٨١ ، والترمذي في ك البيوع ، ب ما جاء في ثمن الكلب جـ٣ ص٥٧٥ رقم ١٢٧٦ ، والنسائي في ك الصيد ، ب النهي عن ثمن الكلب جـ٧ ص١٨٩ ، وابن ماجه في ك التجارات ، ب النهي عن ثمن الكلب ومهر البغيّ جـ٢ ص٧٣٠ رقم ٢١٥٩ ، ومالك في ك البيوع ، ب ما جاء في ثمن الكلب جـ٢ ص٦٥٦ ، والدارمي في ك البيوع ، ب في النهي عن ثمن الكلب جـ٢ ص٣٣٢ رقم ٢٥٦٨ ، وأحمد ، الفتح الرباني، ك البيوع ، ب النهي عن ثمن الكلب جـ١٥ ص٣١ ، والشافعي في الأم ، ك البيوع ب بيع الكلاب جـ٣ ص١١.

والمقصود بمهر البغيّ : الزانية ، وهو ما تعطاه على الزنى ، وحُلْوان الكاهن ما يعطاه أجرة على تكهنه ، وقال الترمذي في السنن جـ٣ ص٥٧٤ : وقد رخص بعض أهل العلم في ثمن كلب الصيد ، قلت : ويمكن ـ والله أعلم ـ استثناء ثمن كلب الصيد وكلب الماشية وكلب الزرع وما شابه ذلك كالكلاب البوليسية التي تستخدم في كشف المخدرات ونحوها من النهي ، كما رخص فيها ﷺ ابتداء فيما سبق .

القذارة والوضاعة الغربية .

وفي الختام أسوق هذا الخبر الذي نشرته الصحف ، إلي أولئك المتغـرّبين لعله يخفف من افتتانهم بالغرب وأخلاقه :

يقول الخبر : يبدأ «عام الكلب » في الصين في غضون شهر ، لكن صحيفة « الشعب » الرسمية طالبت أمس بالتخلص من تلك العادة « غير المتحضرة وغير الصحية » بتربية الكلاب الأليفة في المنازل .

وقالت الصحيفة في تعليق على الولع الجديد الذي ظهر في الصين بتربية الكلاب الأليفة : « إن زيادة الكلاب تجلب المزيد من المشاكل » وأضافت قولها : أولى هذه المشاكل انتشار داء الكلب وتعرض حياة المواطنين للخطر، وثانيهما أن الكلاب تتبول في كل مكان وتلوث البيئة .. أما المشكلة الثالثة فهي أن الكلاب تنبح مثيرة الفزع بين المواطنين كما أنها تعضهم.

واستطردت قائلة: باختصار فهي تجلب مئة محنة ومزية واحدة فقط [١].

٥ ـ تقديم القدوة السيئة مزينة بالألقاب التي تخلب الألباب :

ومن المخططات اللئيمة لتحبيب الأطفال في سيئ العادات ، ووضيع الأخلاق ، الإكثار في وسائل الثقافة كافة من الحديث عن ذوى السلوك غير المستقيم ـ شرعاً ـ ومن المستغربين والمتفرنجين رجالاً رجالاً ونساءً ، الذين يفتقر الواحد منهم إلى التحلي بأبجديات الأخلاق والآداب

---

(١) الخليج العدد ٥٣٥٨ ، ص٢٨ ، ٣٠ رجب ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤/١/١٢م ، تصدر عن دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر ، الشارقة ، وانظر أيضًا مقالاً علميًا يبين بجلاء الأخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب أو الاقتراب منها في كتاب الحلال والحرام للدكتور/ يوسف القرضاوي ص١١٥ ـ ١١٨ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط الرابعة عشرة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

الإسلامية ، والذين هم في سلوكهم وحياتهم كلها ، صورة للسلوك الأوربي ، والحياة الغربية ، مع الإشادة الدائمة بهم ، وإبراز عاداتهم وأخلاقهم غير الإسلامية على أنها مناقب ومحامد ، وإحاطتهم بهالات ضخمة من الألقاب والصفات والمدح والثناء ، كالنجوم والأبطال والكواكب ونحوها ، حتى يصبحوا في نظر الأجيال الصاعدة القدوة والصفوة ، ويصيروا محل تقدير واحترام ، فينشأ عن كل هذا تقليدهم ، والتطبع بطباعهم وأخلاقهم .

والمتأمل في وسائل الثقافة الموجهة للكبار والصغار ـ على السواء ـ يجد هذا الأمر جليًّا، «حتى كأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يخلق في الناس طبقة أشرف ولا أحق بالرعاية والتقدير من هؤلاء» [١].

وهذا كله في الوقت الذي تشوَّه فيه صور العلماء والدعاة، وأهل الفضل في المجتمع، وينعتون بصفات خسيسة ـ كما مر من قبل .

وكثير من هؤلاء الذين يُقدَّمون للأجيال على أنهم القدوة ، وأنهم أبطال ونجوم وكواكب ونحو هذا من الألقاب ، فاسدون مفسدون، فمنهم غير المسلم ، المتحلل من كل القيم الإنسانية النبيلة التي لا تخطئها الفطرة السليمة ، ومنهم المسلم الذي لا فرق بينه وبين غير المسلم في سلوكه وسَمْته ، وجميع شؤون حياته ، ومنهم السِّكير العربيد ، ومنهم المحارب لدين الله سرًا وعلانية ، لا يرجو الله ولا اليوم الآخر ، ومنهم المخنَّث، ومنهم المترجِّلة ، ومع هذا يُرفع من أقدارهم وتحسن أخلاقهم ، فيفْتتن الأطفال بهم .

ثم إن القدوة الحقة رسول الله ﷺ، الذي دعا إلى مكارم الأخلاق،

---

(١) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٣٥١ .

وطبقها خير تطبيق ، وصحابته الذين اتبعوه واتبعوا النور الـذي أنـزل معـه ومن تبعهم بإحسان ؛ أولئك هم مصابيح الهدى بهـم تُجْلـى كـل ظلمـاء ، وهم الأجدر والأخلق بأن نقـدمهم للطفـل المسـلم ليقتـدي بهـم في مجـال الأخلاق وغيره .

ولم يحفل تاريخ بخيرة الناس وعظمائهم، الذين زكّي الله نفوسهم، وطهـر قلوبهم مثل ما حفل به تاريخنا الإسـلامي، الـذي يبـدأ بـآدم عليه السلام ، مـروراً بالأنبياء عليهم الصلاة والتسليم، حتى محمد ﷺ ، واستمراراً إلى الآن.

وإن الله تعالى يبين لنا نماذج من القدوة الصالحة التي يجب أن تقدّم للأجيال حتى يتخلقوا بأخلاقها، ويسيروا على نهجها فيقول سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٨٩] .

وبعد ما ذكر عدداً من الأنبياء والمرسلين، أمر في ختام الحديث عنهم بالاقتداء بهم، فقال سبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ .

[الأنعام:٨٩]

ثم إننا لو تدبرنا في كتاب الله وسـنة رسـول الله ﷺ ، فلـن نجـد ـ بهـذا الخصوص ـ إلا الحث على الاقتداء بالصالحين ، ومصـاحبتهم مـا أمكـن ، والتحذير من الاقتداء بالعصاة والفاجرين ومصاحبتهم ، فمـا بـال وسـائل ثقافة الطفل ، تجنح بعيداً عـن هـذا المـنهج الإسـلامي فترغـب في الاقتـداء بالعصاة والفاجرين ، وتنفر من الصالحين ؟!

*****

الفصل الرابع

من مظاهر الغزو الفكري في التاريخ

المبحث الأول : **ضوء على التاريخ وأهميته .**

المبحث الثاني : **من صور الغزو الفكري في مجال التاريخ .**

المبحث الأول

ضوء على التاريخ وأهميته

«(التأريخ) و (التوريخ) تعريف الوقت . تقول : (أرّخ) الكتاب بيوم كذا و (ورَّخه) بمعنى واحد » [١].

«وأرخ الحادث ونحوه : فصل تاريخه وحدد وقته ، والتاريخ : جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما ، ويصدق على الفرد والمجتمع ، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية ، ويقال : فلان تاريخ قومه : إليه ينتهي شرفهم ورياستهم ، والتّأْريخ : تسجيل هذه الأحوال . والمؤرّخ : عالم التاريخ » [٢].

هذا ، وإن فن التاريخ ـ كما يقول العلامة ابن خلدون رحمه الله ـ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السوقة [٣]والأغفال [٤] وتتنافس فيه الملوك والأقيال [٥] وتتساوى في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول ، تنمو فيه الأقوال ، وتضرب فيه الأمثال ، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال ، وتؤدي لنا

---

(١) مختار الصحاح ، ص٥ ، القاموس المحيط ص٣١٧ .

(٢) المعجم الوسيط ١/ ١٣.

(٣) **السوقة** : الرعية وأوساط الناس وتطلق على الواحد وغيره ، فيقال : هو سوقة جمع سوق . المعجم الوسيط ١/ ٤٨٢.

(٤) **الأغفال** : جمع غُفْل وهو من لا يرجى خيره ولا يخشى شره ، ومن لا حسب له من الرجال . السابق ٢/ ٦٨١.

(٥) القَيْل : من ملوك اليمن في الجاهلية دون الملك الأعظم ، جمع أقوال ، وأقيال . السابق ٢/ ٧٩٧ .

شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها المجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد في علومها وخليق [1].

والتاريخ يتنوع إلى نوعين أو جانبين رئيسين ؛ الأول : جانب عام وهو الذي يتضمن سِيَر وأحوال أمم أو دول أو مجتمعات ، والثاني : جانب خاص أو ذاتي ، وهو الذي يتضمن سِيَر وأحوال أفراد أو أشخاص معينين .

فمثال الأول : تاريخ اليونان أو الفرس أو الروم ، أو تاريخ أمة من الأمم ، أو جماعة من الجماعات .

ومثال الثاني : تاريخ الرسول ﷺ ، المتضمن لسيرته ، أو تاريخ أحد من العظماء قديماً كان أو حديثاً .

ولقد اهتم القرآن الكريم والسنة المشرفة بالتاريخ في جانبيه العام والخاص ، وقصص السابقين الذي حفل به كل من الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة ؛ صورة من هذا الاهتمام التاريخي ، ودلالة على أهمية التاريخ ، وآثاره في النفوس ، لاسيما وأنه لم يسرد لمجرد التسلية ، وإنما كان لبيان العظات والعبر . ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

[يوسف:١١١]

والذي يعنينا بوجه خاص هو عرض تاريخ الأمة الإسلامية ، والاهتمام

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص١٣.

به ، بشقيه ، وأعنى بهما : السير العامة ، والسير الذاتية ، إذ الأمة بحاجة ماسة في هذا العصر خاصة ، إلى الوقوف عليه ، واستلهام العبر ، واستخلاص الدروس منه ، لتربية النفوس ، واستنهاض الهمم وبعث الثقة من جديد .

وإن على رأس من تعرض سيرهم الذاتية ، رسول الله ﷺ وأعلام صحابته الكرام ، ومن سار على نهجهم المبارك .

فهذا التاريخ لا تستغني عنه الأمة ، حيث إن رسول الله ﷺ بلا شك كان في حياته وأحواله كلها ، صورة حية لتطبيق الإسلام ، فضلاً عن أنه ﷺ هو المثل الأعلى للإنسان الكامل ، وهو القدوة الحسنة التي يجب على المسلمين جميعاً أن يقتدوا بها ، وأعلام الصحابة والمسلمين على مر التاريخ، هم أكثر الناس تمسكاً بهدي رسول الله ﷺ فعرض سيرهم لها أطيب الآثار وأنفعها في نفوس الأجيال .

ثم إنه تبرز من خلال التاريخ الإسلامي صفحات الجهاد الذي قام به المسلمون في سبيل نشر الدين وجهاد الكافرين، ويتضح جلياً كيف أن تسلحهم بالإيمان، وتطبيقهم لشريعة الإسلام، هو الذي قادهم إلى تلك الانتصارات الساحقة التي كتبها الله لهم على الأعداء وكيف أنهم عندما كانوا ينتكسون فيضعف تمسكهم بالدين وعراه، ويقل احتفاؤهم واهتمامهم بشرع الله، يصيبهم التقهقر، والخذلان .

ومن خلال هذا التاريخ ، تبرز مواقف أعداء الإسلام وخصومه منه ، ويتأكد جدهم واجتهادهم في القضاء عليه وكيف أن أهل الكفر ـ على اختلافهم ـ يجمعهم الكيد له ، ويوحدهم هدف القضاء عليه .

وحينما يتعرف المسلمون اليوم على هذا التاريخ، يزدادون تمسكًا

بالإسلام وإقبالاً على شريعته ، ويقفون على أسباب النصر والغلبة التي مكنت ـ بتوفيق الله ـ لأسلافهم ، فيأخذون بها ، وأسباب الهزيمة والخذلان التي أصابتهم في بعض العصور ، فيبتعدون عنها ويحذرونها وتتضح لهم سمات أعداء الإسلام ، فلا ينخدعون بحيلهم ، وينجون من الوقوع في حبائلهم ويأمنون بوائقهم ، فيظلون ـ بإذن الله ـ ظاهرين على من عاداهم ومستقيمين على صراط الله .

ثم إن التاريخ الإسلامي ، يتبين من خلاله حضارة المسلمين الزاهرة ، والتي كانت ملء سمع الزمان وبصره ، وأن تلك الحضارة قامت على أيدي المسلمين جميعاً عربهم وعجمهم ، أسودهم وأبيضهم ، اشترك فيها الفارسي والرومي ، مع الحبشي والعربي ، إذ وحد الإسلام بينهم ، وصهرهم في بوتقته [1] ، وجعل منهم أمة واحدة .

وحينما يطلع المسلمون على ذلك تغمرهم مشاعر العزة ، وتملأ نفوسهم الثقة ، ويزدادون ترابطاً واتحاداً ، ويسيرون على خطا أولئك السابقين الأفذاذ ، ويعملون على استعادة تلك الأمجاد ، بالانضواء تحت راية الإسلام ، والمشاركة باسمه وتحت شعاره ، من غير نظر إلى قوميات جاهلية ، أو نزعات وجنسيات عرقية ، فتتجمع طاقات كثيرة ومواهب عديدة ، وتثمر الجهود أينع الثمار ، ولا يخفي ما لهذا الأمر من الأهمية البالغة ، والفوائد الجمة .

وبالإضافة إلى هذا ، فإنه من خلال التاريخ الإسلامي يتجلى أن الأمة الإسلامية أمة ذات حضارة ـ كما سبق ـ وأنها أيضاً أمة ذات رسالة ، وأنها ما كانت لترضى بغير الصدارة والريادة ، وحرصت على أن تكون في

---

(١) البوتقة : الوعاء الذي يصهر فيه المعدن . المعجم الوسيط ١/ ٧٨ .

مقام المتبوع لا التابع ، وظلت كذلك قروناً طويلة .

وعندما يري المسلمون ذلك ، يدركون أن ما أصابهم اليوم من تقهقر ، وما نالهم من انحدار ، وتخلف عن ركب التقدم ومكان الصدارة ؛ إنما هي ظواهر مرضية عارضة وأحوال استثنائية طارئة ، سرعان ما تزول ، إذا أخذوا بأسباب العلاج ، وتحصنوا بما يلزمهم التحصن به ، وإن هذا الواقع المؤسف الذي آلوا إليه ليس ضربة لازب [1] ، وإنما هو كسحابة صيف ، تلبث أن تزول ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[يوسف:٢١]

من أجل هذا ونحوه ، تبرز أهمية التاريخ الإسلامي ، وحاجة الأمة إلى دراسته والتعرف عليه .

ومن أجل هذا ونحوه ـ كذلك ـ حرص الخصوم على التنقيص من شأن التاريخ الإسلامي ، والتشكيك فيه ، وتشويه أحداثه ، وتزييف حقائقه ، كي لا تهتدي الأمة إلى الصواب ، والسير على خطا السلف ، وقاموا في سبيل ذلك بحملات مكثفة ، وجهود جبارة ؛ لأنهم يعلمون ـ علم اليقين ـ أنهم إذا أفلحوا في هذه الحملات التي تهدف إلى النيل من تاريخنا ، فسيكونون قد قطعوا شوطاً غير قليل في سبيل التغلب على المسلمين وقهرهم .

فلذلك كان أحرى بنا أن نقوم بالمحافظة على تاريخنا وحراسته والدفاع

(١) اللزوب : اللصوق والثبوت والقحط وصار ضربة لازب ، أي لازمًا ثابتًا . القاموس المحيط ص١٧٢.

عنه ضد عبث العابثين ، وتشكيك المشككين ، وتزوير الأفاكين والمغرضين ، وفاءً للدين ، وأداءً للواجب ، وصوناً للأمانة ، ونهوضاً بالأمة ، والله المستعان .

*****

المبحث الثاني
من صور الغزو الفكري في مجال التاريخ

١ ـ دعوى أن الفتوحات الإسلامية قامت على الفجور والسلب:

ومن الحقائق التي أمست معلومة لكل باحث أن التعصب والهوى ، هما الغالبان على الغربيين ، حينما يكتبون عن الشرق العربي أو الشرق المسلم . وعندما يتعرّضون للتاريخ الإسلامي ، فإنهم يجافون الإنصاف ويشوّهون الحقائق ، ويزورون التاريخ ما وسعهم الجهد .

وانطلاقاً من هذه الروح سوّدوا آلاف الصحائف، وملؤوها بالأكاذيب وحشوها بالمفتريات ، وأودعوا فيها صوراً شائهة للمسلمين وتاريخهم ليس لها وجود إلا في أخيلتهم المريضة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل نثروا أباطيلهم هنا وهناك ، وتمادوا في الأمر ، فجعلوا منها مادةً تدرس وتلقن لأبناء المسلمين ، سواء من كانوا يبتعثون إلى مدارسهم في الغرب ، أم من يرتادون مدارسهم في الشرق الإسلامي ، في غير ما بلد من البلدان ، ومن تلك الصور ما جاء في كتاب يدرس ، أو كان يدرس على الأقل في مدارس الأخوة المسيحية (الفرير) في بيروت وفي جميع المدارس التابعة لهذه الرهبنة في غير بيروت ـ كما ذكر صاحبا كتابا التبشير والاستعمار ـ [1] وذلك على النحو الآتي :

---

(١) ص : ٧٢ ، ٧٣. والكتاب المعنى ـ كما ذكرا ـ هو : البحث عن الدين الحقيقي ، وهو محاضرات في التعليم الديني. تأليف المنسنيور كولي. وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحي في باريس (ط١٩٢٨) . وهذا الكتاب قد نال رضا البابا ليون السادس عشر في عام ١٨٨٢م ، ثم عاش في المدارس المسيحية في الشرق والغرب إلى اليوم يطوى الصدور على الأحقاد نحو العرب والمسلمين ويستفز شعور المسلمين استفزازًا شديدًا .

جاء على الصفحة ٢٢٠ من هذا الكتاب ما يلي :

«الإسلام ـ في القرن السابع (للميلاد) برز في الشرق عدو جديد ، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ، وقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم ، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وأفريقية وأسبانيا فريسة له ، حتى أن إيطاليا هددها الخطر ، وتناول الاجتياح نصف فرنسة ، لقد أصيبت المدنية ، ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول في الأكثر كلاب النصارى ... ولكن انظر هاهي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه الإسلام المنتصر عند بواتيه (٧٥٢ م) [(١)] ثم تعمل الحروب الصليبية في مدي قرنين تقريباً (١٠٩٩ ـ ١٢٥٤) في سبيل الدين فتدجج أوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية ، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق السهلة ...» [(٢)] .

إن هذا النص القصير الموجز يحمل في طياته مطاعن عدة ، ودعاوى مزيفة ، لا يسمح المقام لدحضها وبيان أوجه الزيف والكذب فيها ، وأكتفي بالوقوف مع إحداها ، وهي دعوى أن الفتوحات الإسلامية كانت

---

(١) شارل مارتل (٦٨٨ـ٧٤١) وحد جميع الممالك الميروفنجية تحت حكمه ، والدُ بيين القصير وجدُّ شرلمان ، وانتصر على المسلمين في فرنسا في معركة تورز. أو بواتيه «بلاط الشهداء» وهي من معارك التاريخ الحاسمة ، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٠٦٦ بتصرف . وبواتيه : مدينة (سكانها ٤٥٨٠٥) ، عاصمة محافظة فين غرب فرنسا ، وهي العاصمة التاريخية لولاية بواتو ، تأسست قبل العصر الروماني . السابق ١/ ٤٢٠.

(٢) التبشير والاستعمار (الموضع السابق) .

مؤسسة على الفجور والسلب ، والتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ـ في زعمهم ـ وهذا على النحو التالي :

إن القتال في الإسلام ـ بداية ـ مقيد بأنه في سبيل الله ، وليس لشهوة ، ولا لأطماع ، ولا لأي مأرب دنيوي . قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٤٤]

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف:٤] .

وعن أبي موسي قال : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** » (١).

والإسلام دين يحث على الإحسان في كل شيء ، حتى في أمر القتل ، فعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال : « **إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة** » (٢).

---

(١) رواه مسلم ، ك الإمارة ، ب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، شرح النووي ١٣/ ٤٩ رقم ١٩٠٤ . ورواه البخاري ، ك الجهاد ، ب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا جـ٣ ص٢٠٦. وك العلم ، ب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا جـ١ ص٤٠، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الجهاد ب إخلاص النية في الجهاد جـ١٤ ص٢٠ ، وابن ماجه في ك الجهاد ب النية في القتال جـ٢ ص٩٣١ رقم ٢٧٨٣.

(٢) رواه مسلم ، ك الصيد والذبائح ، ب الأمر بإحسان الذبح والقتل ، شرح النووي جـ١٣ ص١٠٦ ، ١٠٧ رقم ١٩٥٥ ، ورواه أبو داود ، ك الأضاحي ، ب في النهي أن تصبر البهائم والرفق بالذبيحة جـ٣ ص١٠٠ رقم ٢٨١٥ ، والترمذي ، ك الديات ، ب ما جاء في النهي عن المثلة جـ٤ ص٢٣ رقم ١٤٠٩. والنسائي ، ك الضحايا ، ب الأمر بإحداد الشفرة جـ٧ ص٢٧٧ ، وفي غيره من الأبواب في ك الضحايا . وابن ماجه في ك الذبائح ، ب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح جـ٢ ص١٠٥٨ رقم ٣١٠٧. والدارمي في ك الأضاحي ، ب في حسن الذبيحة جـ٢ ص١١٢ رقم ١٩٧٠.

والإحسان في القتال يفرض على المسلم المقاتل ، أن يربأ بنفسه عن أي خلق ذميم ، أو فعلة خسيسة ، وليس له في الالتزام بهذا خيار ، بل إنه مأمور به شرعاً ، ولا يسعه إلا الالتزام ، وإلا كان عاصياً لله .

ومن له أدنى تأمل في نصوص القرآن والسنة ، والتاريخ مع قليل من الإنصاف ؛ يتبين له مكارم الأخلاق ، التي تكتنف القتال عند المسلمين، ومدى التزام المسلمين بأسمى المبادئ وأنبل السلوك ، مع العدو قبل الصديق ، ولا بأس بإيراد شيء من ذلك ، فيما يلي :

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨] .

«يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ ﴾ قد عاهدتهم ﴿خِيَانَةً ﴾ أي نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي : عهدهم (على سواء) أي : أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم بينك وبينهم على السواء ، أي تستوي أنت وهم في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ أي حتى ولو في حق الكفار لا يحبها أيضاً » (١).

وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء ، فقيل : هذه غدرة فلان ابن فلان**» (٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ ص٣٣٧ .

(٢) رواه مسلم ، ك الجهاد والسير ، ب تحريم الغدر ، شرح النووي جـ١٢ ص٤٢ رقم ١٧٣٥، والترمذي ، ك السير ، ب ما جاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة جـ٤ ص١٤٤ رقم ١٥٨١، =

وفي رواية أخرى : «**لكل غادر لواء عند إسته** [١] **يوم القيامة** » [٢].

وعن سليم بن عامر قال : كان بين معاوية وبين أهل الروم عهد ، وكان يسير في بلادهم ـ أي أراد أن يدنو منهم ـ حتى إذا انقضى العهد أغار عليهم فإذا رجل على دابة أو على فرس ، وهو يقول : الله أكبر وفاء لا غدر وإذا هو عمرو بن عبسة فسأله معاوية عن ذلك ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهداً ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء** » قال : فرجع معاوية بالناس [٣].

وسئل مالك عن الإشارة بالأمان ، أهي بمنزلة الكلام ؟ فقال : نعم ، وإني أرى أن يتقدم إلى الجيوش : ألا تقتلوا أحداً أشاروا إليه بالأمان لأن الإشارة عندي بمنزلة الكلام . وإنه بلغني أن عبد الله بن عباس قال : ما ختر [٤]. قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو [٥].

= ورواه البخاري ، ك الجزية ، ب إثم الغادر للبر والفاجر جـ٤ ص٧٢ ، وك الفتن ، ب إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه جـ٨ ص٩٩ وك الأدب ، ب ما يدعى الناس بآبائهم جـ٧ ص١١٤ ، ١١٥ ، وأبو داود ، ك الجهاد ، ب في الوفاء بالعهد جـ ٣ ص ٨٢ رقم ٢٧٥٦. والدارمي ، ك البيوع ، ب في الغدر جـ٢ ص٣٢٣ رقم ٢٥٤٢. وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الجهاد أبواب الأمان والصلح ، ب الوفاء بالعهد جـ١٤ ص١١٩ من رواية ابن عمر وغيره . وابن ماجة في ك الجهاد ، ب الوفاء بالبيعة جـ٢ ص٩٥٩ رقم ٢٧٢٨.

(١) أي خلف ظهره ، عليه إشارة لغدرته ، وفي هذا أعظم المهانة والفضيحة للغادر . والعياذ بالله .

(٢) رواه مسلم (في الموضع السابق) من حديث أبي سعيد ﷺ حديث رقم ١٧٣٨ ، والترمذي ، ك الفتن ، ب ما جاء مما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة . جـ٤ ص٤٨٣ رقم ٢١٩١ من حديث طويل . وأحمد ، الفتح الرباني جـ١٤ ص١١٩.

(٣) رواه الترمذي ، ك السير ، ب ما جاء في الغدر جـ٤ ص١٤٣ رقم ١٥٨٠. ورواه أحمد ، الفتح الرباني ، ك الجهاد ، أبواب الأمان ، ب الوفاء بالعهد جـ١٤ ص ١١٧، ١١٨ . وأبو داود ، ك الجهاد ، ب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه جـ٣ ص ٨٣ رقم ٢٧٥٩.

(٤) الخَتْر : الغدر والخديعة ، أو أقبح الغدر . القاموس المحيط ص٤٨٩ ، النهاية جـ٩ ص٩ .

(٥) الموطأ ، ك الجهاد ، ب ما جاء في الوفاء بالأمان جـ٢ ص٤٤٩.

ولقد كان النبي ﷺ يوصي الأمراء بوصايا ، هي أكرم وأسمى ما عرفت البشرية في تاريخها ، من نبل الأخلاق .

عن بريدة { قال : كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : « **اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً** » (١).

وعن ابن عمر ؓ أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة ، فأنكر رسول الله ﷺ ونهى عن قتل النساء والصبيان (٢).

وعندما يتأمل المرء وصايا الخلفاء لقادة الجيوش ، أو القادة للجنود ، فإنه يجد أن هذه الوصايا لا تخلو أبداً من التذكير بتقوى الله ، والتمسك بمكارم الأخلاق ، خاصة الوفاء ، وعدم البغي ، وعدم التعرض للرهبان

---

(١) رواه مسلم ، ك الجهاد ، ب تأمير الإمام الأمراء على البعوث جـ١٢ ص٣٧ رقم ١٧٣١. ورواه أبو داود ، ك الجهاد ، ب في دعاء المشركين جـ٣ ص٣٧ رقم ٢٦١٣. والترمذي ، ك الديات ، ب ما جاء في النهي عن المثلة جـ٤ ص٢٢ ، ٢٣ رقم ١٤٠٨، ك السير ، ب ما جاء في وصيته ﷺ في القتال جـ٤ ص١٦٢ رقم ١٦١٧. والدارمي ، ك السير ، ب وصية الإمام في السرايا جـ٢ ص٢٨٤ رقم ٢٤٣٩. ومالك في الموطأ ، ك . الجهاد ، ب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو جـ٢ ص٤٤٨. وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الجهاد ، ب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال ، جـ١٤ ص٤٦.

(٢) رواه الترمذي ، ك السير ، ب ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان جـ٤ ص١٣٦ رقم ١٥٦٩ ، ورواه البخاري في ك الجهاد والسير ، ب قتل الصبيان في الحرب جـ٤ ص ٢١ ، ومسلم في ك الجهاد والسير ، ب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ، شرح النووي جـ١٢ ص٤٨ رقم ١٧٤٤ ، وأبو داود ، ك الجهاد ، ب في قتل النساء جـ ٣ ص ٥٣ رقم ٢٦٦٨. والدارمي ، ك السير ، ب النهي عن قتل النساء والصبيان جـ٢ ص٢٩٣ رقم ٢٤٦٢. ومالك ، ك الجهاد ، ب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو جـ٢ ص٧٤٧ . وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الجهاد ، ب الكف عن قصد النساء والصبيان ... جـ١٤ ص٦٤. وابن ماجة في ك الجهاد ، ب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان جـ٢ ص٩٤٧ رقم ٢٨٤١.

المتعبدين في صوامعهم ، ولا لشيخ هرم لم يتعرض لقتالهم ، وعدم التمثيل بالقتلى ، ونحو هذا من الوصايا (١).

بل إن المسلمين ما كان ليتخلوا عن تلك المبادئ والآداب ، حتى وإن وقع من الأعداء تجاوزات شنيعة ، وما كان الإسلام ليسمح لهم بأن يفقدوا أخلاقهم مع من لا خلاق (٢) لهم .

وقصة استشهاد حمزة أسد الله رضي الله عنه خير شاهد على هذا ، ولا بأس بإيرادها هاهنا ، على النحو التالي :

روي الواحدي بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم قتل حمزة ومثل به : « **لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم** » ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦] فقال ﷺ : **بل نصبر يا رب** » .

قال المفسرون : إن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحُد من تبقير البطون وقطع المذاكير ، والمثلة السيئة ، قالوا حين رأوا ذلك : لئن ظفرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم لنزيدن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ولنفعلن ولنفعلن ، ووقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة ، وقد جدعوا أنفه وقطعوا مذاكيره ، وبقروا بطنه ، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها ـ أي ابتلعتها ـ لتأكلها ، فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال :

---

(١) ينظر على سبيل المثال : وصية أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان ، في الموطأ ك الجهاد ، ب النهي عن قتل النساء ، وفي إتمام الوفاء للخضري ، ص ٧٨ـ ٨٠ ، ووصية عمر لسعد بن أبي وقاص ، في إتمام الوفاء ، ص١٠٠ ـ ١٠٣ .

(٢) الخلاق : الحظ والنصيب من الخير . المعجم الوسيط ١/ ٢٦١ .

« **أما إنه لو أكلته لم تدخل النار أبداً حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئاً من جسده النار** » ، فلما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة لم ينظر إلى شيء كان أوجع لقلبه منه ، فقال : «**رحمة الله عليك ، إنك ما علمتُ كنتَ وصولاً للرحم فعالاً للخيرات ، ولو لا حزن من بعدك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، أما والله لئن أظفرني الله ـ تعالى ـ بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك**» ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ .

فقال النبي ﷺ : « **بلى نصبر** » ، وأمسك عما أراد ، وكفر عن يمينه [1].

تلك بعض اللمحات في آداب الحرب في الإسلام ، فهل يستقيم بعد هذا أن يزعم زاعم بأن الفتوحات الإسلامية مؤسسة على الفجور ؟! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥] .

ولقد كان الأولى بأولئك الخصوم المزوّرين لحقائق التاريخ ، المشّوهين لمعالمه الناصعة ، أن يتواروا خجلا من تاريخ أسلافهم الغربيين ، ومن خَلَفهم إلى الآن ، بدلاً من أن يرفعوا عقيرتهم بالإثم والبهتان ، وتتبع الزلات والهفوات والحوادث الاستثنائية التي كان لها ظروفها الخاصة في

---

(١) أسباب النزول ص١٦٣ ، ١٦٤ السيرة النبوية ٢/ ٩٥ وما بعدها ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي جـ ١٠ ص١٣١ ، ١٣٢ ، وروح المعاني للألوسي جـ ١٤ ص٢٥٧ ، والكشاف ، تأليف الزمخشري ، جـ٢ ص٤٣٥ دار المعرفة ببيروت ، أحكام القرآن لابن العربي المالكي جـ٣ ص١٧٥ ، مجمع الزوائد جـ٦ ص١١٨ ـ ١٢١ ، وسنن الترمذي ، ك تفسير القرآن ، ب ومن سورة النحل جـ٥ ص٢٩٩ ـ ٣٠٠ ، والمستدرك للحاكم ، ك التفسير جـ٢ ص٣٥٩ ، و ك معرفة الصحابة جـ٣ ص١٩٤ ـ ١٩٥ ، سير أعلام النبلاء جـ١ ص١٧١ ـ ١٨٤ ، تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٢٣٦ ، وصفة الصفوة جـ١ ص١٩٨.

تاريخ المسلمين ، وتعميمها ، أو تأويلها تأويلًا سيئًا .

وإن التاريخ سوف يظل شاهداً على المآسي والآثام التي اقترفها الغربيون بحق غيرهم ، وخاصة المسلمين .

ألم يسمع هؤلاء بحوادث الحرق والتقتيل ، والتنكيل والإسراف في التمثيل بالخصوم ، خاصة المسلمين على أيدي النصارى بالأندلس ؟

ألم تأتهم أنباء محاكم التفتيش التي أزكمت رائحتها الأنوف ، وساء ذكرها وأحداثها كل الخلائق ، وأفجعت النفوس الأبية ؟

ألم تأتهم أنباء السلب والنهب والفجور على يد الاستعمار الأوربي الحديث لاسيما في أفريقيا والعالم الإسلامي أجمع ، حيث كان السلب يشمل الإنسان ذاته ؟

ثم ألم تأتهم أنباء ما يقترفه اليهود في فلسطين ضد المسلمين ، وما فعله النصارى من فجور واعتداء ووحشية بحق المسلمين في البوسنة والهرسك ، حيث سرت بفظائعهم وتجاوزاتهم الأخلاقية الركبان ، إذ اغتصبوا المسلمات العفيفات ، وذبحوا الرجال والنساء والأطفال كما تذبح النعاج ، وما يفعله الهنود الملاحدة في كشمير المسلمة من فعال شنيعة ؟

وهل يمكن أن يفعل المسلمون شيئًا من هذا الفجور ؟ معاذ الله ، وهيهات هيهات ، وشتان بين من يؤمن بكتاب يقول لهم فيه ربهم : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠] ، ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥] ، وبين ملاحدة لا يؤمنون بدين ، أو أناس يؤمنون بكتاب

يقول لهم فيه مُلهِمُهم:

«حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعوب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، وتستعبده لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يديك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا والتي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرِّمها تحريمًا» [1].

٢ ـ تشويه تاريخ الخلافة العثمانية وادعاء أنها كانت استعمارًا للعرب :

وقد امتلأت بعض وسائل الثقافة ـ عمومًا ـ وثقافة الطفل خصوصًا ، بتزوير التاريخ العثماني ، وتشويه الخلافة العثمانية ، بصورة متكررة وملحة ولا تزال إلى يوم الناس هذا ، وأظن أنني لست بحاجة إلى ذكر دلائل على هذا التشويه أو مظاهر منه ، فأغلب الظن أن أحدًا من المعاصرين الذين قدر لهم أن يدرسوا في مدارس التنصير ونحوها ، أو المدارس الوطنية في أغلب الأقطار الإسلامية ـ وكاتب هذه السطور واحد منهم ـ لا ينسى ما درسه من طعن ودس وتزوير على التاريخ العثماني ، أو الخلافة العثمانية ـ المفترى عليها . وأكتفي بإشارة إلى بعض مواضع هذا التشويه والافتراء [2].

---

(١) سفر التثنية ٢٠/ ١٠ : ١٧ ، ومعنى تُحرِّمها : أي تُقتِّلها .

(٢) انظر على سبيل المثال : التربية القومية للصف السادس الابتدائي ، ص٨ ، ٩ (مصر) ، التربية القومية الاشتراكية للصف الأول الإعدادي ص١٠٩ ، ١١٠ (سوريا) ، ونفس المادة للصف

وتحرص هذه الوسائل المشوهة والمزورة ـ لاسيما التي أشرت إليها قبل قليل في الهامش ـ على إبراز تاريخ الدولة العثمانية في صورة سوداء قائمة ، وادعاء أن العثمانيين لا يعدون كونهم إقطاعيين مستبدين ، لا فرق بينهم ـ على الإطلاق ـ وبين الاستعمار الغربي الحديث للبلاد الإسلامية ، إن لم يكونوا ـ في نظر أولئك المزورين للتاريخ ـ أسوأ من الاستعمار ، وأن العرب لحقهم في ظل الاحتلال العثماني ـ زعموا ـ التخلف والجهل ، وغير هذا من سوء الحال ، وتصور هذه الوسائل للطفل المسلم ـ الذي كان من نكد الدنيا عليه أن يتتلمذ عليها ـ أن الثورات العربية كانت تتصدى لهذا الاحتلال ـ بزعمهم ـ لتطرده وتحرر البلاد منه .

وقد تأملت في هذه الوسائل ـ وهي كتب مدرسية ـ فلاح لي أن وراءها كتابًا قوميين علمانيين، ومن ورائهم أجهزة على شاكلتهم، لا تخفى عداءها للخلافة الإسلامية، وتوجسها من أي دعوة تنادي بإعادتها، أو تدعو ليكون الإسلام هو المهيمن، وإليه التحاكم، بل إنهم يضمرون الكره للإسلام نفسه، إذ ينظرون إليه على أنه من معوقات القومية العربية العلمانية.

ثم إن اليهود والصليبيين من قبل هم الذين تولوا كِبَر حملات التشكيك والتشويه ضد تاريخ الدولة العثمانية ، على نطاق واسع فسودوا صحائفه، وطمسوا محاسنه وزوروا حقائقه ، وللأسف «قبلنا ذلك منهم على أنه حقائق نضعها كما نؤمر..» [١].

الثاني الإعدادي ص٦٥ ، والثالث الإعدادي ص٩ ، ٧٢ ، والتربية الاجتماعية للصف السادس الابتدائي (سوريا) ص١١ ، وهي مراجع سبقت الإشارة إليها .

(١) الغزو الفكري ، أهدافه ووسائله ، د./ عبد الصبور مرزوق ص١١٢ .

والحقيقة أن تشويه هذا التاريخ ، بهذه الطريقة ، ظلم وكذب ، ونحن حينما نعرضه لأطفالنا وغيرهم ، فإنما نربيهم على الكذب ، إذ «إن التاريخ أمانة في الأعناق ؛ لأنه المدى الذي يجرى فيه تهذيب الشعوب ، وإن تربية الشعوب على الكذب كتربيتهم على الضغينة ، كلاهما مضر بالشعب الذي يقرأ ذلك التاريخ القائم على الكذب أو على الضغينة» (١).

يقول أحد الباحثين : ليس من منطق التاريخ ولا من حقيقة الإنصاف أن ندافع عن العثمانيين لأنهم عثمانيون ، ولا أن نسود صفحة الإنكليز لأنهم إنكليز ، ولكن من منطق التاريخ وحقيقة الإنصاف أن نأخذ بقواعد التاريخ حينما نأتي إلى الحكم على جماعة من الجماعات فنذكر لها ما أحسنت ، ونحملها وزر ما أساءت فيه ، إن الدولة العثمانية ـ ككل دولة أخرى ـ شهدْت في أولها عهود قوة ثم خضعت في آخر أيامها لعوامل ضعف ، والأمم في أيام ضعفها تكون عرضة لكل تهمة ، وكثيرًا ما تصدق تلك التهم عليها ، والذين يحملون على الحكم العثماني في البلاد العربية منذ مطلع القرن الحاضر يغفلون عن جوانب كثيرة من حقائق التاريخ :

ـ إن الدولة العثمانية قد ضعفت فعلاً في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للميلاد فاضطربت أحوالها ، وفي الأحوال المضطربة تحدث عادة حوادث من الظلم ومن سوء الحكم ومن التخلف السياسي والاجتماعي والثقافي .

في مثل هذه الأحوال تنشأ في الأمم عناصر تنتسب في الظاهر إلى الأمة

(١) تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه «إعادة النظر في التاريخ» ، د./ عمر فروخ ص٩ دار الباحث بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ، ١٩٨٠م .

الضعيفة ثم تكون في الحقيقة من أعداد تلك الأمة الضعيفة، إن نفرًا كثيرًا من المتنفذين في حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة كانوا من الدونما ـ اليهود الذين اتخذوا مظاهر من الإسلام في أسمائهم وفي عدد من أعمالهم ثم ظلوا في حقيقة أمرهم يهودًا أعداء للأتراك وللعرب وللإسلام ـ فلما قام هؤلاء بالأعمال القاسية السيئة نسب أولئك المؤرخون الغافلون كل ذلك إلى العثمانيين المسلمين .

ويكثر أولئك المؤرخون الغافلون الكلام في أمرين : التخلف الذي لحق بالعرب ـ من أثر الحكم العثماني في رأيهم ـ ثم حوادث الإعدام التي قام بها العثمانيون في البلاد العربية بشنق نفر من العرب القوميين ، أما الكلام في نسبة تخلف العرب إلى الحكم العثماني فساقط مرة واحدة ، لقد ترك العثمانيون بلاد العرب التي كانت في حكمهم منذ نحو سبعين سنة ، ولم يزل أهل هذه البلاد حيث كانوا أو قد أصبحوا أسوأ مما كانوا ، ثم إن العثمانيين لم يدخلوا إلى المغرب الأقصى ولا إلى موريتانيا ولا حكموا المسلمين في الهند وأندونيسيا ، ولم يحكموا الحبشة وليبيريا ، وكل هذه الشعوب التي عددتها لا تختلف في تخلفها عن العرب في تخلفهم ، وأما شنق نفر من العرب في أثناء الحرب العالمية الأولى فكان من أخطاء الدولة العثمانية الضعيفة ، فإن الجماعات الضعيفة تعتقد أن قتل فرد واحد أو أفراد كثيرين يمكن أن يبدل مجرى التاريخ .

ثم إن كل دولة تعتقد أن وجودها في كل أرض تحكمها وجود شرعي ، فإذا قاومها مقاوم لجأت إلى عقابه على شكل هي ترضاه ، إن الإنكليز كانوا مستعمرين في الهند وإن الفرنسيين كانوا مستعمرين في تونس والجزائر والمغرب وفي سورية ولبنان ، فصنعوا من المظالم ما نعرفه ، وما أمر فلسطين

منا ببعيد .

إن كثيرًا مما نسميه قوميات كان من غايته تقسيم البلاد العثمانية بين الدول الغربية [١].

ويلفت أحد المؤرخين النظر إلى أمرين مهمين ، عند الحديث عن علاقة الدولة العثمانية بالعرب ، وهما :

«الأول : أن العرب هم الذين سعوا إلى الاندماج في الدولة العثمانية باعتبارها رافعة لواء الإسلام ، في مواجهة أخطار الغزو الغربي المتجدد .

الثاني : أن هناك فارقًا بين حكم الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد إلى عام ١٩٠٩ وما بعد ذلك وهو حكم الاتحاديين الذين سلموا طرابلس الغرب لإيطاليا وفلسطين لليهود وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى دون مبرر قوي» [٢].

ثم إن الدولة العثمانية ـ على ما وجه إليها من انتقاد ـ كانت الجامعة التي تجمع شمل المسلمين ، وواسطة العقد الذي ينتظمهم ، في إطار الخلافة الإسلامية ، وإنها ـ باستثناء الحقب الأخيرة من تاريخها ـ قد قامت بواجبها في حماية المسلمين ، وإرهاب أعداء الله ، وتأديب كل من تسول له نفسه الاعتداء على حرمات المسلمين ، وكان لها دور بارز في نشر الإسلام في أقطار كثيرة من العالم بمختلف قاراته ، ثم إنها أقامت سدًا منيعًا في وجه انتشار النصرانية في بقاع كثيرة من العالم ، وحالت حتى آخر لحظة دون تحقيق أماني اليهود وأطماعهم الدائمة في فلسطين المسلمة .

---

(١) المصدر السابق ٦ ـ ٨ .

(٢) معالم التاريخ الإسلامي ص٤٩ .

كل هذا وأمثاله حمل العالم غير الإسلامي ودوله ـ على اختلاف مذاهبها وعقائدها ـ على أن تكيد لدولة الخلافة ، وتتربص بها الدوائر ، وتنسج الخطط والمشروعات لتفكيكها وإزالتها [١]، ثم تقسيم الغنائم والأسلاب ـ بعد ذلك ـ فيما بينها ، حتى تم لها ذلك ، وللأسف استطاعوا أن يخدعوا كثيرًا من المسلمين ، فقاموا بمساعدتهم في القضاء على الخلافة ، وتمكينهم من هذا الأمر [٢]، طمعًا في مغنم ، فكانوا هم الغنيمة والفريسة ، وكان مثلهم كمن حالف ذئبًا وأعانه على عدوانه ، فافترسه في النهاية وصدق فيهم قول شوقي [٣]:

كلنا وارد السراب ، وكل حمل في وليمة الذئب طاعم

قد رجونا من المغانم حظًا ووردنا الوغى فكنا الغنائم [٤]

ولقد كان الأولى بالمسلمين أن يقفوا وراء دولة الخلافة ليسددوها، ويشدوا أزرها، ويجبروا كسرها، لا أن يخذلوها، ويسعوا في خرابها، ثم إنهم عليهم الآن أن يعملوا على إقامة الخلافة الإسلامية من جديد، ويربوا

---

(١) للاستزادة حول هذه الخطط والمشروعات يراجع عرض الأمير شكيب أرسلان لكتاب مئة مشروع تقسيم لتركيا ، في حواشيه وتعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامي ، جـ٣ ، ص٢١٨ ـ ٣٢٥ .

(٢) يقول اللورد اللنبي قائد الجيش العربي الذي حارب الخلافة : لولا مساعدة الجيش العربي والعمال العرب ما استطعنا أن نتغلب على تركيا. مذاهب فكرية معاصرة ص٥٨٣ .

(٣) هو أحمد شوقي شاعر مصري المولد (١٨٦٩ ـ ١٩٣٢) تخرج من قسم الترجمة في مدرسة الحقوق عام ١٨٨٧ ودرس الحقوق في جامعة مونبليه الفرنسية ، التقى الأدباء العرب في القاهرة عام ١٩٢٧ وبايعوه بإمارة الشعر ، وقد عين عضوًا في مجلس الشيوخ وظل فيه إلى وفاته، المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ص٤٩٨ ، ٤٩٩ بتصرف .

(٤) الشوقيات ، أحمد شوقي ، ٣/ ١٥٢دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة العاشرة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م. والبيتان من قصيدة له في رثاء الحسين بن علي ملك الحجاز ، وقوله «في وليمة الذئب طاعم» يعني كلنا مطعوم مأكول لهذا الذئب .

الأجيال على أن هذا الأمر من الضروريات التي فيها عزهم ومنعتهم.

ثم إنه لما انفرط عقد الخلافة ، وأسقطت الدولة العثمانية ، ماذا طرأ على بلاد المسلمين ـ خاصة العربية ـ من تحسن ؟ وإلى أي مدى خطت في مضمار التقدم والرقي ؟

الواقع أنها سجلت تراجعًا مهينًا ، وانحطاطًا ملموسًا ، فلا هي صارت ـ بتحللها من الاستعمار العثماني ـ كما يزعمون ـ في مصاف الدول العظمى ، ولا التي تليها ، بل هي كل يوم ترسخ أقدامها في مؤخرة الركب وذيل القافلة ، وأصبحوا كالأيتام على موائد اللئام ، وطمع فيهم من لم يكن بالأمس يدفع عن نفسه ، وهذا يؤكد حقيقة ملموسة ، وإن عمى وتعامى عنها القوميون العلمانيون وأضرابهم ، وهي : «أن العرب كانوا مخطئين ـ في جميع ميادين حياتهم السياسية والاجتماعية ـ لما تركوا الإسلام الذي نهض بهم من قبل ثم تبدلوا به نظريات قومية أو سياسية انحدرت بهم إلى حيث هم الآن» [1].

وهل وجد اليهود لهم موطئ قدم في فلسطين المسلمة ، ثم التهموها لقمة سائغة وفريسة سهلة ، إلا بعد إسقاط الخلافة العثمانية ؟ إنهم حاولوا مرارًا وتكرارًا ، وبشتى السبل أن يتوصلوا إلى مأربهم الخبيث في فلسطين في أيام العثمانيين ، ففشلوا وخابت ظنونهم ، وحبطت مساعيهم ، حتى في أحرج أوقات الخلافة العثمانية ، وأحلك أزماتها .

وكان آخر العهد بهذه المحاولات الدؤوبة في حكم السلطان عبد الحميد الذي حرصوا على تشويه سيرته ، وتلطيخ سمعته .

---

(١) تجديد التاريخ (مرجع سابق) ص٨ .

«وكان السلطان عبد الحميد يرى ضرورة عدم توطين مهاجرين يهود على فلسطين حتى يبقى العنصر العربي المسلم محافظًا على تفوقه الطبيعي، وكان من رأى عبد الحميد أنه إذا ما سمح لليهود بالتوطن في فلسطين فإنهم سيستطيعون في وقت قليل جدًا أن يجمعوا في أيديهم وسائل القوة في المكان الذي يستقرون فيه ، وفي هذه الحالة (نكون قد وقعنا قرارًا بالموت على إخواننا في الدين) ويقصد الفلسطينيين .

وقال هرتزل [١]: إنه يفقد الأمل في تحقيق أماني اليهود في فلسطين طالما أن السلطان عبد الحميد قائم في الحكم مستمر فيه .

أما عبد الحميد فيعبر عن رأيه في الحركة الصهيونية [٢] وفي هرتزل بقوله: (لا يريد الصهيونية الاشتغال بالزراعة فقط في فلسطين، بل إنهم يريدون إنشاء حكومة لهم وانتخاب ممثلين سياسيين، وإني أفهم جيدًا معنى تصوراتهم الطامعة هذه، وإنهم لسذج إذا تصوروا أني سأقبل محاولاتهم هذه ... إن هرتزل يريد أرضًا لإخوانه في دينه لكن الذكاء ليس كافيًا لحل كل شيء).

وعن القدس يقول السلطان: (ولماذا نترك القدس؟ إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك فهي مدينتنا المقدسة وتقع في أرض

---

(١) هو تيودر هرتزل يهودي مجرى (هنغاري) ولد في بودابست (عاصمة المجر) عام ١٨٦٠م وتوفي في أدلاخ (إحدى مدن النمسا) عام ١٩٠٤م وهو منشئ الحركة الصهيونية وصاحب فكرة الدولة اليهودية والداعي إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل (في سويسرا) عام ١٨٩٧م السابق ، ص٢٩١.

(٢) **الصهيونية** : حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٣١.

إسلامية ، لابد أن تظل القدس لنا) » [١].

«ومن حسن الحظ أنه قد بقي من الماضي القريب وثيقة عليها إمضاء السلطان عبد الحميد الثاني تكشف المظلمة عنه وعن الدولة العثمانية ثم تنير للمؤرخ الباحث ناحية من النواحي الكثيرة المظلمة في قضية فلسطين.

هذا الجانب الذي أحب أن أورد صورته هنا يرد في مقطع من رسالة كتبها السلطان عبد الحميد الثاني في الثاني والعشرين من أيلول من سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) إلى شيخه (في الطريقة الشاذلية اليشرطية ـ إحدى الطرق الصوفية المتأخرة) الشيخ محمود أبي الشامات الدمشقي (ت١٣٤١هـ = ١٩٢٢م).

قال السلطان عبد الحميد الثاني في هذه الرسالة: «إني لم أتخلّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني ـ بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم جون تورك وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.

«إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا ـ وأصروا على ـ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيرًا وعدوا بتقديم (١٥٠) مئة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضًا.

وأجبتهم الجواب التالي: إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبًا فضلاً عن (١٥٠) مئة وخمسين مليون ليرة ـ إنكليزية ذهبًا ـ فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد ، عن مقدمة الطبعة الأولى للمترجم ص٢٨ ، ٢٩ ، وفي هامشه المراجع التي أخذ عنها .

ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين !! لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضًا .

وبعد جوابي القطعي ـ اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك . فقبلت بهذا التكليف الأخير ....» (١).

وجاء في مذكرات هرتزل : «قال السلطان : إنه لن يتخلى عن القدس فإن جامع عمر يجب أن يبقى بيد المسلمين دائمًا» (٢).

«قال السلطان لصديقي [نيولنسكي] : إذا كان صديقك فانصحه ألا يسير أبدًا في هذا الأمر ، لا أقدر أن أبيع ولو قدمًا واحدًا من البلاد ، لأنها ليست لي ، بل لشعبي . لقد حصل شعبي على هذه البلاد بإراقة دمه ، وقد غذاها فيما بعد بدمائه أيضًا ، وسوف نغذيها ، بل لن نسمح لأحد باغتصابها منا فليحتفظ اليهود بملايينهم ، أما إذا سقطت الدولة العثمانية وتم تقسيمها فقد يحصل اليهود على فلسطين بلا مقابل . إننا لن نقسم هذه الدولة ـ العثمانية ـ إلا على جثثنا، ولن أقبل تشريحنا لأي غرض كان» (٣).

ويقول مؤرخ تركي: «وكان المتحدث باسم الوفد الصهيوني المحامي اليهودي السلانيكي إيمانويل قراصو. وبعد الرفض السلطاني خرج الوفد، فقال هذا المتحدث باسم الوفد اليهودي، لتحسين باشا كبير أمناء القصر السلطاني: سآتي هنا مرة أخرى؛ لكن دوري في هذه المرة غير دوري الآن.

وحدث بالفعل أن كان إيمانويل قراصو ضمن وفد «الاتحاد والترقي

---

(١) تجديد التاريخ ص٢٩٢ ، ٢٩٣.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد ، من حواشي المترجم ص١٤٢ ، نقلاً عن مذكرات هرتزل ص٢٩.

(٣) أيضًا ، عن مذكرات هرتزل ص٣٩ .

الذي أبلغ السلطان عبد الحميد بقرار خلعه» [١].

وهكذا حافظت دولة الخلافة بقدر ما تستطيع على مقدسات المسلمين، وأوطانهم، وما ضاعت فلسطين، ولا انتهبها اليهود إلا بعد إسقاط الخليفة المجاهد السلطان عبد الحميد، وتقويض أركان الخلافة الإسلامية، وتولي عملاء اليهود زمام الأمور في الدولة العثمانية خاصة حزب الاتحاد والترقي.

ولقد كشف التاريخ عن أن أولئك الذين خلعوا السلطان عبد الحميد وعملوا على تخريب الخلافة ونقض بنيانها هم الذين مكنوا لليهود في فلسطين ، وفضحت الوثائق مواقفهم ، وأبانت عن نواياهم تجاه اليهود .

فلقد كتب طلعت باشا [٢] زعيم الاتحاد والترقي عن موقف الحزب من اليهود في صراحة تامة ما يلي :

ـ كان «الاتحاد والترقي» أمل اليهود ، وهذا صحيح ، ولقد بدأ اليهود في عهد توليتي وزارة الداخلية للمرة الأولى يتجمعون في فلسطين خاصة هؤلاء اليهود الذين أجبروا على الهجرة من روسيا . أخذ اليهود المهاجرون يشترون الأراضي في فلسطين بواسطة اليهود من التبعة العثمانية .

---

(١) السابق ص١٤٢ ، ١٤٧ ، نقلاً عن تعليقات المؤرخ التركي جمال قوطاي على مذكرات طلعت باشا جـ١ ص١٤١.

(٢) طلعت باشا (١٨٧٤ ـ ١٩٢١م) : هو محمد طلعت أحد الزعماء الثلاثة في جمعية «الاتحاد والترقي» العثمانية عمل وزيرًا وصدرًا أعظم .أهم قادة «الاتحاد والترقي» . استقال من منصب الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) عام ١٩١٧ . بعد حل جمعية «الاتحاد والترقي» هرب إلى أوربا بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى . اغتاله الأرمن في برلين في ١٦ مارس عام ١٩٢١م . السابق ، ملحق التراجم ص ٢٧٦.

جاء ٥٠,٠٠٠ يهودي إلى أرض فلسطين خلال سنة واحدة من يناير سنة ١٩٠٨م إلى مارس سنة ١٩٠٩م [١].

«وعن نية قادة (الاتحاد والترقي) ـ بعد خلعهم للسلطان عبد الحميد ـ في إقامة دولة يهودية في فلسطين ، يقول طلعت باشا صاحب الكلمة العليا في جمعية (الاتحاد والترقي) وفي حكومتها أيضًا :

سألني نافع باشا مندوب حلب في أول مجلس نيابي للمبعوثين عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) قائلاً :

هل ترى أن من الممكن إقامة دولة يهودية في فلسطين ؟

فأجبته بقولي : ليس ممكنا فقط . بل إني أعتبر هذا أمرًا مقدرًا» [٢].

هذا ، وإن الدولة العثمانية لو كانت قائمة على الظلم والاستبداد والبطش ونحو هذا مما يصفها به مزورو التاريخ ، لما قدر لها أن تقوم كل هذه القرون المتطاولة ، وفي هذا يقول السلطان عبد الحميد :

«الذين يفهمون التاريخ العثماني يعرفون أن هذه البلاد لم تقم مستندة على القوة ، ولكنها قامت على العدل ، فلو كانت الجيوش العثمانية حملت معها الظلم إلى البلاد المفتوحة لتفتتت هذه الإمبراطورية إلى أجزاء كالبذور، ولم تكن قد قامت لها قائمة بعد ذلك وأن العدل هو أساس المشروعية، والمشروعية مسند الحاكمية ، والقوة مؤيدة المشروعية والحاكمية مضطرة للاعتماد على العدل . فإذا نهض أحد للحكم بلا عدل واستخدم القوة بلا مشروعية ، فلابد لهذا الحكم أن ينهار ، كذلك الجيش أيضًا إذا استخدم

(١) السابق ص١٤٣ من حواشي المترجم نقلاً عن مذكرات طلعت باشا ٣/ ١٢٨٢.

(٢) أيضًا ، عن نفس المصدر ٣/ ١٢٩٧.

القوة التي يملكها في إطار غايتها فذلك مشروع ، أما إذا وضعها في غير غايتها فذلك غير مشروع. قد يهدم الجيش أشياء ، نعم ، يهدمها لكنه في النهاية يهدم نفسه وبكل أسف فأحيانًا تنهار دولة تحت هذه الأنقاض» [١].

ويؤكد عبد الرحمن عزام، وهو أحد رجالات العهد العثماني، وأول أمين لجامعة الدول العربية هذا المعنى بقوله: «ولم يكن فوز آل عثمان كما يظن بعض الناس مستمدًا من سيف وشجاعة، بل مما هو أعظم من السيف والشجاعة؛ احترام الحق والوفاء بالعهد والخضوع لسلطان القانون والشرع» [٢].

وبعد: «إن العالم يستفيق الآن من تلك البغضاء التي كان يكنها للأتراك العثمانيين . وفي كل يوم نجد مؤتمرًا أو كتابًا أو مقالاً يحاول أن يرد التاريخ العثماني إلى مكانته» [٣].

فلعل القائمين على وسائل الثقافة، ومناهج التعليم في بلادنا الإسلامية ، يكفون عن النقل العشوائي الغبي من كتب المستشرقين والمبشرين والمستعمرين ، وعن السير في ركاب أناس جهلوا رسالة العلم ، وخانوا أمانة القلم ، ممن لا يدينون دين الحق ، ولا يراعون لله أو للدين أو للأمة حرمة، ويرجعون إلى شيء من الصواب والحق، ويتقون الله في الأجيال، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) السابق ص١٨١.

(٢) السابق ص١٨١ من حواشي المترجم ، نقلاً عن عبد الرحمن عزام ؛ آخر الخلفاء . مقال في الأهرام بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٩٤٤م .

(٣) تجديد التاريخ ص٩ .

*****

الباب الثاني

من آثار الغزو الفكري للطفل المسلم

الفصل الأول : **من آثار الغزو الفكر على الطفل .**

الفصل الثاني : **من آثار الغزو الفكري على الأمة والدعوة الإسلامية .**

تمهيد

لقد لاحظنا ـ في الباب الماضي ـ تشعب الغزو الفكري، وكيف أنه طال كل جوانب الثقافة الإسلامية؛ فكان طبيعيًا أن تكون آثاره كذلك متشعبة ومتنوعة ، وقد حاولت في هذا الباب أن أرصد ما تيسر لي رصده وملاحظته من تلك الآثار ؛ ولا أدعى أنني أحصيتها ، أو أن هذا بآخر الممكن فيها ، وإنما يمكن أن يضاف إليها غيرها ، بل قد تتراءى لي فيما بعد آثار أخرى ، وأرجو أن أكون قد وفقت في إبراز ما هو خطير وجدير بالملاحظة منها ، وما هو كاف في الدلالة على أخطار هذا الغزو وشروره .

وبالرغم من تقسيم هذه الآثار وتصنيفها ـ على النحو الآتي إن شاء الله ـ فإنه يبدو لي أنها متشابكة ، ومرتبطة ببعضها البعض ؛ فهي كالعلل التي تصيب الجسم ، وكلها تشترك في إنهاكه ، وتتظاهر على إفنائه ، وما يؤثر أو يضر في جانب ، لا تسلم من ضرره بقية الجوانب ، وهذا يلفت النظر إلى عدم الاستهانة بأي منها دقّ أم عظُم . وقد يتسبب الغزو الفكري بمفرده في حدوث أثرٍ ما ، وقد لا يكون كذلك ، وإنما يؤثر مع أسباب أخرى ، وهذا لا يقلل من خطورته في تلك الحال ، إذ يبقى ـ على أقل تقدير ـ أحد أسباب العلل والشرور والمخاطر ، ورافدًا يجر علينا الرزايا والمفاسد .

هذا ، وقد يذهب البعض إلى التقليل من خطورة أو شأن آثار الغزو الفكري ، أو بعضها ـ على الأقل ـ بدعوى أنها لا تؤثر على جميع الناس خاصة الأطفال ، فهي قد تؤثر في شريحة معينة منهم أو فئة قليلة ممن يتعرضون للغزو الفكري ، فضلاً عن نجاة من لم يتعرضوا له ، وعليه فقد يرى هذا البعض أنه لا داعي لأن نكثر من أخذ الحذر ، أو التهويل

بالحديث عن آثار الغزو الفكري ، ونهتم بالأمر على هذا النحو ، بل نطمئن ولا ننزعج ، لأن الأمر لا يمثل خطورة .

والحقيقة أن هذا الكلام ونحوه فيه نظر ، وأود أن ألفت الأذهان إلى أمرٍ أحسب أن لا خلاف عليه؛ ذلك أنه يتفق جميع العقلاء على أنه لا يجب التهاون بشأن أي وباء يعرض الناس وغيرهم للخطر ، مهما كانت نسبة الإصابة به قليلة جدًا ، وأنه يجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتفادي أسبابه، والنجاة من غوائله ، وها نحن نلاحظ الاهتمام بأمراض ، قد لا تتعدى نسبة الإصابة بها أفرادًا قلائل من بين كل مئات من الآلاف وأكثر ، وإذا كان هذا واردًا في عالم الطب ومسلما به ؛ فلماذا لا يكون الأمر كذلك فيما نحن بصدده ؟ إن لم يكن يفوقه؟

ثم أليس من يتأثرون بالغزو الفكري، وتحيق بهم أخطاره ـ مع افتراض كونهم قلة أو شريحة معينة ـ منا ويعنينا أمرهم ؟ أم ما داموا كذلك ـ قلة ـ نتركهم ولا نعبأ بهم ، ولا نعير الخطر الذي يقع عليهم ، ويصيبنا في أشخاصهم ، ما هو جدير به من الاهتمام ؟ ! بلى ، إنهم منا ، وهم فلذات أكبادنا ، ولربما نأخذ بيد طفل واحد ، ونحميه ونجعله على الصراط المستقيم ، فيكون مجد الإسلام على يديه ، وعز الأمة، بل الإنسانية بسببه، وما ذلك على الله بعزيز ، وقد يهمل فيصير كالجمل الأجرب الذي يعدى بقية القطيع.

إن آثار الغزو الفكري يجب أن تلقى منا كل اهتمام، فنعمل جاهدين على تقليص حجمها ، والنجاة منها ، ولا يتأتى هذا قبل الكشف عنها ومعرفتها ، فنسأل الله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا معرفته واتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا معرفته واجتنابه .

هذا ، وقد جعلت الكلام عن الآثار مقسمًا إلى الآثار على الأمة والدعوة الإسلامية من جانب ، ثم على الطفل المسلم من جانب آخر .

ومع أن العام يبدأ به عادة ثم يعقبه الخاص، إلا أنني بدأت بالخاص وهو الطفل، ثم ثنيت بالحديث عن بعض الآثار على الأمة والدعوة الإسلامية، وذلك لأن الحديث عن آثار الغزو على الطفل هو الأساس في الموضوع، وهو المقصود الأول في الحديث، ثم إن الآثار والأضرار على الأمة والدعوة والتي عرضت لها في هذا الباب، ناشئة عن آثار الغزو على الطفل.

*****

الفصل الأول
من آثار الغزو الفكري على الطفل

المبحث الأول : **آثار عقدية .**

المبحث الثاني : **آثار تعبدية .**

المبحث الثالث : **آثار أخلاقية .**

المبحث الرابع : **آثار نفسية .**

المبحث الخامس : **آثار أخرى متفرقة .**

المبحث الأول
آثار عقدية

١ ـ اغتيال عقيدة الطفل المسلم، وتحويله إلى غير دين الإسلام :

ولقد كان من أخبث آثار الغزو الفكري على الطفل المسلم ، سلخه من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً يدين بغير دين الإسلام .

وقد يظن البعض بأن الخصوم لا يريدون من المسلم ترك دينه واعتناق ما يدعون إليه، لاسيما المنصّرون ، حينما يتفوهون بما يدل على هذا الظن، كمثل ما زعمه المستشرق المنصِّر الأمريكيّ "زويمر" من أن هدفهم ليس هو إخراجَ المسلم من الإسلام إلى النصرانية ، فإن في هذا هداية للمسلمين وتكريماً ـ كما يزعم ـ؛ بَيْد أن الواقع خلاف ذلك ، وأنهم إنما يسعون لتنصير المسلمين ، وإن كان تحقيق هذا الهدف لم يكن بالمستوى الذي إليه يطمحون ، وعنه يرضون .

والدراسات تثبت أنهم قد أفلحوا في تنصير بعض المسلمين، بعد أن أخرجوهم من الإسلام، بتأثير الغزو الفكري الماكر، وهؤلاء الذين أُخرجوا من الإسلام ونُصّروا، كانوا من طوائف مختلفة، وفئات متباينة، فكان منهم الطفل ، ومنهم الشاب ، ومنهم الشيخ ، ومنهم النساء، وهكذا.

ولقد ركز المنصّرون وغيرهم كثيراً على العمل مع الصغار، وتواصوا في مؤتمراتهم، وتوجيهاتهم بهذا الأمر ، من أجل أن يحملوهم إلى المسيح وهم صغار ، وقبل أن يتشربوا مبادئ الإسلام ـ في رأيهم ـ، فاستطاعوا أن يخرجوا كثيرا من أطفال المسلمين من دينهم وينصِّروهم بالفعل ، فكان

الأطفال أكثر ضحاياهم .

ويشير أحد العلماء إلى أن «أنجح ما تعمله الجماعات التبشيرية الآن هو تبني الأطفال وتعليمهم مبادئ المسيحية وتنشئتهم عليها، وهي تلتقط الأطفال الفقراء وأبناء المعوزين فتقدم لهم الغذاء والكساء والمسيحية، وإزاء المجاعات التي تفشت في إفريقية استفادت الجماعات التبشيرية هناك كثيراً»(١).

ولقد نشرت الصحف منذ سنوات أن كاثوليكياً تبني ثلاثين ألف طفل في الصومال ، وذلك لينشئهم على النصرانية ـ بداهة (٢).

ولست هنا في مقام الحديث بالتفصيل عن نتائج جهود التنصير في العالم الإسلامي فلهذا مناسبته ، ولكن أكتفي بذكر بعض النماذج لما نحن بصدده ، لنطل من خلاله على جانب من خطورة الغزو الفكري، وليتكشف كذلك أسلوب من أساليبهم في العمل مع الصغار ، وهو أنهم قد يلجؤون في بعض الأحيان إلى انتقاء بعض الأطفال المسلمين، ويولونهم عناية خاصة ، حتى يتشربوا مبادئ النصرانية ، إلى أن يتشبعوا بها ، ويصيروا منسلخين من الإسلام بالمرة ، ثم يظل هذا الاعتناء مستمرًّا حتى يشبوا ويكبروا نصارى ، موالين لأعداء الله ، قائمين على خدمتهم ، بعد أن يمكنوا من تقلد أعلى المناصب .

ولقد اختارت أجهزة التبشير النصرانية ، طفلاً مسلماً من أبناء السنغال، وأودعته مدارسها ، وصنعته على عينها حتى شب نصرانياً وهو «سانجور» الذي أصبح فيما بعد رئيساً لجمهورية السنغال ، علماً بأنه هو النصراني

(١) معركة التبشير والإسلام . د/ عبد الجليل شلبي ص ٣٠٥ .

(٢) هموم داعية ، محمد الغزالي ص ١٣ بتصرف . دار البشير القاهرة ط الثانية ١٤٠٥هـ .

الوحيد بين أفراد أسرته ، فإن أبويه وإخوته وأقرباءه موحدون ، وكلمة « سانجور» مخففة عن اسم « سان جورج » أحد القديسين النصارى [١].

وقد تم هذا ضمن مخطط لئيم ، يتمثل في أن «توقع البعثات التبشيرية في السنغال مع عدد من الأسر الفقيرة عقوداً تقدم بموجبها تلك البعثات التبشيرية إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية (ضئيلة) من أرز مثلا في كل شهر ، على أن يكون لها حق باختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها ، ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه إذا هي خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلاً) .

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبياً دون الخامسة من العمر ثم ترسله إلى مدرسة (تبشيرية طبعاً) وينقطع الصبي عن أهله وينشأ تنشئة مسيحية ثم يرسل إلى فرنسا لإتمام علمه العالي بعدئذ يعاد إلى السنغال يستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا »[٢].

ونظراً للدور الذي قام به سانجور فيما بعد ، فقد أطلق اسمه على جامعة تبشيرية في الإسكندرية بمصر [٣].

يقول الشيخ محمد الغزالي : إن ليوبولد سانجور الذي التقطته هيئات

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٣ ،٤ (مقدمة الطبعة الثالثة) بتصرف .

(٢) السابق ص ٣

(٣) هي جامعة سانجور ، أو (الجامعة الفرنسية الدولية للتنمية الأفريقية) ، فقد صدر قرار جمهوري رقم ٢٧٢ لعام ١٩٨٩ بالموافقة على بروتوكول إنشاء جامعة باسم «سانجور» وكان ذلك القرار قد عرض على مجلس الشعب المصري يوم ٥ من يونية ١٩٨٩ م وبعد ثلاثة أيام فقط ، أي في ٨ يونية ١٩٨٩ م ، صدر القرار الجمهوري بالموافقة (كما ذكرت جريدة الشعب في عددها ١/ ٥/ ١٩٩٠) وفي يوم ١٩ / ١٠ / ١٩٨٩ م نشر القرار في الجريدة الرسمية بالعدد رقم ٤٢ . التطوير بين الحقيقة والتضليل . ص ٤٩ .

التبشير شب علمانيًّا فرنسيًّا وجوديًّا يخدم سياسة فرنسا الدينية والمدنية في بلده السنغال الذي كان يعتنق سواده الأعظم الإسلام ، وما كان يعرف إلا اللغة العربية وها هو يكافأ على تحولّه ضد قومه ، بإطلاق اسمه على جامعة تقام في الإسكندرية عروس البحر المتوسط [(١)].

«ولا يهم السياسة التبشيرية الاستعمارية الرهيبة أن تكسب جمهوراً غير واعٍ ولا متفتّح يمكن أن يسير وراء كل ناعق بمقدار ما تسعى إلى كسب «طفل» ذكيّ لامع فيه من النّجابة والحيويّة والعبقرية ما يمكّنه من السيطرة على زمام الأمور السياسية كما وقع لسناجور السنغال، أو أن يسيطر على زمام التوجيه الروحي باعتباره مسلماً سابقاً عرف الطريق إلى يسوع وسار على هداه ، كما وقع للطفل بوساما أحمد نامي الذي احتضنته الإرساليات التبشيرية طفلاً مسلماً في الفلبين فأدخلته المدرسة الابتدائية وعلمته اللاهوت واللغة اللاتينية، ثم عاد إلى بلاده في التاسع والعشرين من شهر أيلول عام ١٩٦٥ ليستقبل في حشد من النصارى باعتباره الأب بطرس باساما أحمد نامي، وهو المسلم الأول والوحيد الذي يرتدي زيّ القس الكاثوليكي .

وباشر الرجل عمله واعظا في بني قومه ولكن باسم يسوع لا باسم فاطر السموات والأرض تعالى الله عما يشركون!» [(٢)].

٢ ـ الميل إلى عقائد الكفار وشرائعهم، ومحاكاتهم فيها:

ومن الآثار المريرة التي تقع على الطفل المسلم بسبب تعرضه للغزو

---

(١) السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، نقلاً عن جريدة الشعب ، عدد ٦ / ٣ / ١٩٩٠ .

(٢) أين محاضن الجيل المسلم . يوسف العظم. ص ٣٦ ، ٣٧ . طبعة جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي . دبي.

الفكري ؛ ما يحدث في نفسه من ميل لعقائد غير المسلمين وشرائعهم وتقليدهم فيها ، وهو لما يزل غضًّا طريًّا ، ولا غرو ؛ فإن كثيراً من أطفال المسلمين ينشؤون في حضن مدرسة نصرانية قد أُعِدّت بمهارة فائقة، لتحطيم عقيدته الإسلامية ، وتحويل ولائه بعيداً عن دينه وأمته، أو في حضن مربية وثنية تأسره بعطفها ورعايتها ، وهي تصبُّ في عقله وقلبه ما تستطيع من مفاهيم الكفر نظريًّا وعمليًّا ، لا تنسني ولا تملّ ، وغير هذا من وسائل الغزو الفكري التي تحاصره مستهدفة عقيدته .

يقول الأستاذ يوسف العظم : ومن الصعب أن نحصر أمثالاً وقعت في أسر لا حصر لها في عالمنا الإسلامي ، ممن ضلّلوا وبعثوا بفلذات أكبادهم إلى محاضن المبشرين فعادوا إلى أهليهم بعد حين يحملون أدعية لقديس وآيات من إنجيل يرددونها على ألسنتهم ، وصلوات وشارات يرسمونها على صدورهم ، والأهل عن ولدهم غافلون وعن أول خطوة من الطريق الطويل الرهيب لا يسألون ! [1].

ويقول: ولقد مرّ بي مثل على ذلك في إحدى مدارس البنات الثانوية حين رأيت فتاة تحمل صليبا على صدرها ، ولها اسم من الأسماء المشتركة التي تجتمع عليها المسلمات وغيرهن ، فكنت أظنها في مطلع العام غير مسلمة ، حتى لاحظت تكرر حضورها حصة التربية الدينية ، ولما سألت عنها علمت أنها مسلمة ، مما دعاني إلى أن أسألها عن سر الصليب على صدرها ، فكان جوابها بهدوء وعفوية : إن الراهبة التي علمتها في المرحلة الابتدائية تركت فيها أثراً عميقا لأنها لطيفة مهذّبة طيّبة المعاملة .. وكانت الراهبة تعزو كل لطفها وحسن معاملتها كلما سئلت عن ذلك إلى قدسية

---

(١) السابق ص ٢٩ .

الصليب ورعايته وتعاليمه .. [١].

وفي بعض الأسر التي تستخدم مربيات غير مسلمات ، يحدث أحيانا أن يذهب الطفل مع المربية أو الخادمة ـ نظراً لتعلقه الشديد بها ـ إلى الكنيسة أو المعبد ، وفي تلك الأجواء مع غفلة الآباء والأمهات ، يبدأ التقليد والميل ، حتى تتفاقم الأمور بالنسبة للطفل وتصل إلى ما لا تحمد عقباه .

ويذكر أحد الكتّاب بعض الأمثلة بهذا الخصوص ، منها ما يلي :

ـ هيلة طفلة صغيرة تنتمي إلى أسرة مسلمة ، وهذه الأسرة سلمتها إلى الخادمة النصرانية «ميوري» لتقلب عقيدتها الفطرية إلى عقيدة التثليث . إن هذه الأسرة خانت الأمانة وفتحت أبواب التنصير في بيتها لهذه الخادمة والذهاب بطفلتهم إلى الكنيسة .

ـ وكذلك : فتاة مسلمة قد علقت في رقبتها الصليب ، وعندما سئلت عن ذلك أجابت : هديّة من الخادمة التي عندهم .

ـ وجاءت إحدى الأمهات من عملها مبكرة على غير العادة لتجد طفلها الصغير أمام الشمعة فحاولت أن تكلمه مراراً فلم يجبها ، وبعد انقضاء فترة زمنية معينة أجابها ، فلما سئل عن السبب أجاب : أنه كان يصلى كما علمته الخادمة المجوسية [٢].

إن تقليد الطفل قد يكون عشوائيًّا ، ولكنه ـ في أغلب الظن ـ لن يظل هكذا بل سيعقبه ثبات واستقرار ـ على الأقل ـ لبعض المفاهيم المرتبطة بما

---

(١) السابق ص ٣٠ .

(٢) انظر : الخادمات وأثرهن على المجتمع . د / محمد عبد الرحمن الخميس . ٣٦ دار الوطن للنشر ، الرياض . ط الأولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

يحاكيه من أفعال وطقوس مخصوصة ، ويتأكد هذا مع وجود عمل منظم من جانب أجهزة الغزو الفكري ، فينشأ الطفل وقد انطبع في ذهنه من الباطل ، المتمثل في عقائد الكفار وحبّها ، ما لا سبيل إلى انتزاعه إلا بشق الأنفس ، مع أننا في حاجة ماسّة إلى أن ينشأ وقد انطبع في ذهنه وقلبه من عقائد الإسلام ، والشغف بها ، ما يزداد مع الأيام رسوخاً واستقراراً .

٣ ـ تشويش قضية الموالاة والمعاداة في قلب الطفل المسلم :

ولقد نال قضيّةَ الموالاة والمعاداة كثيرٌ من الخلط والتلبيس في قلب الطفل المسلم ، بسبب ما تتبناه وسائل الغزو الفكري من مفاهيم وافدة مزيفة ، لا تمت إلى مبادئ الإسلام بصلة ، حتى غدا الطفل المسلم ، بل وجماهير عريضة من المسلمين كافة ؛ لا يعرف من يوالي ، ومن يعادي ، وكيف يكون ولاؤه أو تبرؤه ، أو من أولى بحبه ، ومن أجدر ببغضه ، من منظور إسلامي . مع أن هذه الأمور من صميم العقيدة ، ومن مظاهر الإيمان الحق.

إن ميزان الموالاة والمعاداة في الإسلام هو العقيدة ، فمن كان من أهل هذه العقيدة الإسلامية وجبت له الموالاة ، أي الحب والنُّصرة والمحاباة والدّنو والصداقة والتحالف . ومن لم يكن من أهلها فليس له من هذه الموالاة نصيب وهو بعد هذا واحد من اثنين : إمّا معادٍ محارب لله ورسوله ، مناوئ للمؤمنين ، فتكون له العداوة والحرب ، ولو كان أقرب الأقربين ، وإما موادع مسالم ، فله المعاملة بالبر والقسط ، ولا يلزم من هذه المعاملة بالبر والقسط أن يحبه المؤمنون ، وأن يناصروه ، ويتخذوه بطانة .

وهذه المفاهيم ونحوها مما يتعلق بقضية الموالاة والمعاداة واضحة جلّية،

دلّت عليها النصوص وأكدتّها سيرة الرسول ﷺ والصحابة ومن تبعهم بإحسان، ولا بأس بإيراد طرف من ذلك على النحو التالي :

قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة:٥٥] ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١] ، وقال ﷻ : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران:٢٨] .

قال ابن عباس : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار فيتخذوهم أولياء ؛ ومثله ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ [آل عمران:١١٨] ، ومعنى ﴿ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ أي فليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء [(١)].

«فما جعل الله عز وجل لرجل من قلبين في جوفه ، وما يجمع إنسان في قلب واحد ودَّين : ودّاً لله ورسوله ، وودّاً لأعداء الله ورسوله ! فإما إيمان أو لا إيمان ، أما هما معا فلا يجتمعان» [(٢)].

«ويرخص فقط بالتّقِيّة لمن خاف في بعض البلدان والأوقات .. ولكنها تقية اللسان لا ولاء القلب ولا ولاء العمل ، قال ابن عباس: « ليس التّقيّة بالعمل إنما التقية باللسان » ، فليس من التّقِيّة المرخص فيها أن تقوم المودة بين المؤمنين وبين الكافرين» [(٣)].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥١٤ .

(٣) السابق ١ / ٣٨٦ .

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]، وقال ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢] .

روي في نزول هذه الآية عن ابن مسعود أنه قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجرّاح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ، وفي أبي بكر دعا ابنه إلى البراز ، فقال : يا رسول الله دعني أكن في الرَّعلة [١] الأولى ، فقال له رسول الله ﷺ: « **متّعنا بنفسك يا أبا بكر ، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري** »، وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر ، وفي عليّ وحمزة قتلوا عتبة وشيبة ابنْي ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر ، وذلك قوله : ﴿ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ ﴾ [٢].

هذا؛ وليس ثمة تعارض بين نهيْ المؤمنين عن موالاة غير المسلمين، وبين جواز البر بمن كان مسالماً موادعاً منهم والقسط معه؛ فإن هناك فرقًا بين الموالاة التي سبقت الإشارة إلى لوازمها ، وبين هذا البر والقسط الذي لا يعدو كونه ضرباً من الإحسان في المعاملة فقط ، كما في مثل قوله تعالى

(١) **الرَّعلة** : الجماعة القليلة أو التي تتقدم غيرها . المعجم الوسيط ١ / ٣٦٨ .

(٢) أسباب النزول للواحدي، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ١٩٩، الكشاف ج ٤ ص ٧٩ ، تفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ٥٩١ .

عن الوالديْن الكافريْن : ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] ؛ فإن هذا المعروف لا يجعل لهما شيئاً من الموالاة ، بل إذا كانا محادّيْن لله ورسوله والمؤمنين ؛ لم تكن هناك وشائج أو معروف أصلاً ، كما ذكر منذ قليل .

وهكذا تبيّن لنا تلك النصوص والوقائع الموجزة ، ونحوها مما لا يتسع لحصره المقام ، أن ولاء المسلم يكون لإخوانه في الدين ، وأنه ليس لمن يخالفونه في الدين نصيب من هذا الولاء ، فلا يجوز أن يتخذهم أولياء ، بل إنه يتبرأ منهم ، خاصة إذا كانوا محادّين لله ورسوله ، أسوة برسول الله ﷺ وصحابته ، وأبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما تبرأ من أبيه لما تبين له أنه عدوّ لله ، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة:١١٤] .

وكذا من قومه ومما يعبدون من دون الله ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] ، وإلا فإنه يكون غيرَ منسجم مع ما يقتضيه إيمانه.

تلك المفاهيم الإسلامية لا وجود لها في وسائل ثقافة الطفل المسلم، وإنما حلّت محلها مفاهيم أخرى، من شأنها أن تعمق في قلبه موالاة غير المسلمين، لأنها تغرس في نفسه أن يعادي من أجل الجنس أو الوطن أو القومية، دون أن يكون هناك إشارة لعنصر العقيدة .

فلا عجب والحالة هذه أن نرى الطفل المسلم يحدث عنده تشويش في مفاهيم الموالاة والمعاداة ، وأن تتبدّل الموازين ، فيصير ولاؤه على أساس القومية العنصرية ، أو الإقليمية ، أو العصبية ونحوها ، فيعادي ويوالي على ضوء تلك الموازين الأرضية المختلّة ، وتتوهّن صلته بإخوانه المسلمين

الذين هم خارج دائرة القومية التي يتعصّب أو ينتمي إليها .

ولقد أصبحنا نرى كثيراً من الأجيال الناشئة على ولاء كامل للغرب وأهله، ولكثيرين من غير المسلمين، المحادين لله ورسوله والمؤمنين، كل هذا في الوقت الذي انقطع فيه ولاء كثير من أبناء الجيل عن شعوب مسلمة بأكملها، وما كان هذا ليحدث لولا ذلك الخلط الذي تبثه وتتبناه وسائل ثقافة الطفل المسلم وغيرها حتى يوم الناس هذا ، فأفسد على الطفل فكره ومفاهيمه ، فيما يتصل بقضية الموالاة والمعاداة .

٤ ـ انتشار مفاهيم وعادات تنافي الإيمان الصحيح، لدى كثير من الأطفال :

وهناك مفاهيم وأعمال تنافي الإيمان الصحيح، ومنها ما يدخل في باب الشرك الأصغر، في كثير من وسائل الثقافة ، فأدى ذلك إلى شيوعها بين جماهير عريضة من الأمة الإسلامية بمن فيهم الأطفال ، بل كان وجودها بينهم أكثر ، وتأثرهم بها أكبر ، وكيف لا، وهم بين إلحاح وسائل الثقافة في بثّها لتلك المفاهيم ، وسلوكِ الكثيرين من الكبار في المجتمع محصورون، فهم على آثارهم مقتدون .

وجدير بالذكر أن الشرك ليس كله مخرِجا من الملة؛ بل منه ما هو أصغر، ومنه ما هو أكبر.

وقد عدّد الإمام ابن القيم أجناس المحرمات، وذكر منها الشرك، ثم قال[1]: وأمّا الشرك ، فهو نوعان : أكبر وأصغر ، فالأكبر : لا يغفره الله إلا

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، هذبه : عبد المنعم صالح العليّ العزي ص ١٩٣ وما بعدها ، (بتلخيص) . وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف . الإمارات العربية المتحدة .

بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحبّ الله ، وهو الشرك الذي يتضّمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨] ، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء ، وربه ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ، ولا تحيي ولا تميت ، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم، والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ، بل كلهم ، يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم - بل أكثرهم - يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، فالله تعالى : لا يغفر شرك العادلين به غيره ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] .

وأصح القولين: أنهم يعدلون به غيره في العبادة والموالاة والمحبة .

وأما الشرك الأصغر : فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ، ومثله قول الرجل للرجل : «ما شاء الله وشئت » و«هذا من الله ومنك » ، و« أنا بالله وبك » ، و«مالي إلا الله وأنت » ، و« أنا متوكل على الله وعليك » ، و«لولا أنت لم يكن كذا وكذا » وقد يكون هذا شركا أكبر ، بحسب قائله ومقصده . ومن أنواعه : النذر لغير الله ، فإنه شرك ، والخوف من غير الله ، والتوكل على غير الله ، والعمل لغير الله ، وابتغاء الرزق من عند غيره ، واعتقاد أن يكون في الكون ما لا يشاؤه .

والشرك أنواع كثيرة ، لا يحصيها إلا الله ، ولو ذهبنا نذكر أنواعه لا تّسع الكلام أعظم اتساع .ا .هـ .

وأذكر الآن بعض المفاهيم والعادات المنافية للإيمان الصحيح، التي تأثر

بها الطفل المسلم، ومنها:

أ ـ الحلف بغير الله :

والحلف أو القسم إنما ينطوي على تعظيم للمحلوف به، ولا يستحق هذا التعظيم غير الله ﷻ ، فإنه سبحانه صاحب العظمة المطلقة، وأيضًا: فإن «حقيقة اليمين ومقتضاه: أن الحالف يؤكد صدق خبره بأنه لو كان كاذباً ينتقم منه المحلوف به انتقاما لا يقدر هو ـ ولا أحد من البشر ـ أن يدفعه لأن المحلوف به يقدر أن يوصّل انتقامه وبطشه من طريق فوق قدرة البشر وطاقتهم وهذا لا يكون إلا لله القويّ المتين ذي البطش الشديد. الفعّال لما يريد» [(١)].

ولهذا عده الرسول ﷺ شركاً ، ونهى عنه : فعن ابن عمر أنه سمع رجلا يقول : لا والكعبة ، فقال : لا يُحْلَفُ بغير الله ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » [(٢)].

وعنه أيضًا ، أن رسول الله ﷺ أدْرك عمر بن الخطاب في ركْبٍ وعُمْرُ يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله ﷺ : « **ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت** »[(٣)].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ١٩٧ .

(٢) رواه الترمذي في .ك النذور والأيمان ، ب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ج ٤ ص ١١٠ رقم ١٥٣٥ وقال : « هذا حديث حسن »، والحاكم في ك الإيمان ج ١ ص ١٨ وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) رواه مسلم ، ك الإيمان ، ب النهي عن الحلف بغير الله . صحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ١٠٥ ، ١٠٦ رقم ١٦٤٦ . والبخاري ، ك الأيمان والنذور ، ب لا تحلفوا بآبائكم ج ٧ ص ٢٢١، والدارمي ، ك النذور والإيمان ، ب النهي عن أن يحلف بغير الله ج ٢ ص ٢٤٢ رقم ٢٣٤١ . ومالك ، ك النذور والإيمان ، ب جامع الأيمان ج ٢ ص ٤٨٠ . وابن ماجه في ك الكفارات ، ب النهي أن يحلف بغير الله ج ١ ص ٩٧٧ رقم ٢٠٩٤ .

وقد جاء عن ابن عباس : لأن أحلف بـالله مئـة مـرة فـآثم خـير مـن أن أحلف بغيره فأبر[1].

هذا وقد يتوهم وجود تعارض بين هذا النهى ، وبـين قولـه ﷺ : «**أفلح وأبيه إن صـدق** » [2] ، وجوابه : أن قوله ﷺ أفلح وأبيه ليس هو حلفاً ، إنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلـها في كلامهـا غـير قاصـدة الحلـف ، والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلـف لمـا فيـه مـن إعظـام المحلـوف بـه ومضاهاته به سبحانه وتعالى . فهذا هو الجواب المرضي ، وقيل : يحتمـل أن يكون هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله تعالى . والله أعلم » [3].

« فإن قيل : فقد أقسم الله تعالى بمخلوقاته كقوله تعالى : والصـافات [4]، والذاريات [5]والطور [6]، والـنجم [7]، فـالجواب : أن الله تعـالى يقسـم بمـا شاء من مخلوقاته تنبيها على شرفه »[8].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ١٠٥ .

(٢) رواه مسلم ، ك الإيمان ، ب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ، من رواية طلحـة بـن عبيد الله . شرح النـووي ١ / ١٦٨ رقـم ١١ . وأبـو داود أول ك الصـلاة ج ١ ص ١٠٧ رقـم ٣٩٢ ، والدارمي ، ك الصلاة ، ب في الوتر ، ج ١ ص ٤٧٧ رقم ١٥٧٨ .

(٣) شرح النووي (الموضع السابق) .

(٤) الصافات أي الملائكة علـيهم السـلام . أي الصـافات أنفسـها أي القائمـات صـفوفا للعبـادة . وقيل: الصافات أقدامها للصلاة ، وقيل الصافات أجنحتها في الهـواء منتظـرات أمـر الله تعـالى . روح المعاني ٢٣ / ٦٤ ، ٦٥ باختصار .

(٥) الذاريات : أي الرياح التي تذرو التراب وغيره ، السابق ٢٧ / ٢ .

(٦) **الطور** : اسم لكل جبل على ما قيل في اللغة العربية عنـد الجمهـور ، وفي اللغـة السـريانية عنـد بعض . والمراد به هنا (طور سينين) الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنـده . ويقـال لـه : طـور سيناء أيضا ، والمعروف اليوم بذلك ما هو بقرب التيه بين مصر والعقبة ، السابق ٢٧ / ٢٦ .

(٧) أقسم سبحانه بجنس الـنجم المعـروف ، علـى مـا روى عـن الحسـن ومعمـر بـن المثني . أيضـا ٢٧/ ٤٤ .

(٨) صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ١٠٥ .

ومما عمت به البلوى : أن صار كثير من المسلمين ، سواء أكانوا أطفالاً أم كباراً يحلفون بغير الله ؛ مثل الحلف بالأب ، أو النبي ، أو الولي ، أو الكعبة ، وغير ذلك ، ولا عجب فإنه لا تكاد تخلو وسيلة من وسائل الثقافة ، خاصة وسائل الإعلام من الترويج لمثل هذه الألوان من الحلف بغير الله ، فنسأل الله المعافاة .

ب ـ التطير أو التشاؤم :

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا طيرة وخيرها الفأل**» قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**» (١).

قال الإمام النووي (٢): أما الطِّيَرة فبكسر الطاء وفتح الياء على وزن العنبة، هذا هو الصحيح المعروف في رواية الحديث وكتب اللغة والغريب، ومنهم من سكن الياء والمشهور الأول. قالوا: وهي مصدر تطير طيرة، والتطير: التشاؤم وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئيّ، وكانوا يتطيرون بالسوانح (٣) والبوارح (١) فينفرون الظباء والطيور ، فإن أخذت

---

(١) رواه مسلم ، ك السلام ، ب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم ، شرح النووي جـ ١٤ ص٢١٨ ، ٢١٩ رقم ٢٢٢٣ ورواه البخاري ، ك الطب ، ب الطيرة ، و ب الفأل ج٧ ص٢٧ ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الطب ، ب ما جاء في الفأل جـ ١٧ ص٢٠١ .

(٢) هو يحيى بن شرف بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالمي ، محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي العلامة شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة . وكان يصوم الدهر ولا يجمع بين إدامين . وكان لا يضيع شيئًا من أوقاته . وكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر للملوك وغيرهم ، توفي في ليلة أربع وعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة بنوى ، ودفن هناك ~ ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٩٤ باختصار.

(٣) سنح الطائر أو الظبي وغيرهما : مرّ من مياسرك إلى ميامنك ، فولاك ميامنه ، والعرب يتيمنون به ، فهو سانح . جمع سوانح ، وسنح . وهو سنيح جمع سنح . وهي سانحة جمع سوانح . المعجم الوسيط ١/ ٤٧١.

ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم ، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن مصالحهم . فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر فهذا معنى قوله ﷺ : «**لا طيرة**» ، وفي حديث آخر : «**الطيرة شرك**» [٢] أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها ، فهو شرك ؛ لأنهم جعلوا لها أثرًا في الفعل والإيجاد .

وأما الفأل فمهموز ويجوز ترك همزه وجمعه فؤول كفَلْس وفلوس، وقد فسره النبي ﷺ بالكلمة الصالحة والحسنة والطيبة [٣].

قال العلماء: يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء والغالب في السرور، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء . وإنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير. وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شر له. والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء. ومن أمثال التفاؤل أن يكون له مريض فيتفاءل بما يسمعه ، فيسمع من يقول : يا سالم ، أو يكون طالب حاجة فيسمع من يقول : يا واجد ، فيقع في قلبه

---

(١) البارح : الريح الحارة في الصيف . جمع بوارح ومن الصيد : ما مر من ميامنك إلى مياسرك. القاموس المحيط ص٢٧٢.

(٢) رواه أبو داود ، ك الطب ، ب في الطيرة جـ٤ ص١٧ رقم ٣٩١٠. والترمذي ، ك السير ، ب ما جاء في الطيرة جـ٤ ص١٦٠رقم ١٦١٤ وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وأحمد ، الفتح الرباني ، ك الطب ، ب ما جاء في التشاؤم جـ١٧ ص١٩٨ . والحاكم ، ك الإيمان جـ١ ص١٧ ، ١٨ ، وصححه . كلهم من حديث ابن مسعود .

(٣) جاء هذا في أحاديث أخرجها الإمام مسلم في ك السلام، ب الطيرة والفأل. وكذا الإمام أحمد.

رجاء البر أو الوجدان والله أعلم [١].

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «**من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك** » ، قالوا : يا رسول الله ، ما كفارة ذلك ؟ قال : «**أن يقول أحدهم اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك**» [٢].

وإذا كانت عادة التشاؤم بالطير قد تلاشت الآن في بعض المجتمعات ؛ فقد استبدل بها التشاؤم بالأشخاص على نطاق واسع ، ولا أزال أذكر مسلسلاً تليفزيونيًا ، يُعرض من حين لآخر ، تدور أحداثه حول شخص يدعى «شرارة» وأن هذا الشخص ـ كما صوره المسلسل ـ كان مدعاة للتشاؤم لدى من يعرفه أو يراه ، وتمضي حلقات المسلسل محاولة أن تقرر أن لهذا التشاؤم أو أن للشخص الذي هو مدعاة للتشاؤم أثرًا في وقوع أشياء كريهة . من خلال الربط بين تواجده في مكان ما ، وبين وقوع المكروه في المكان ، وهكذا يستمر الإيحاء بأنه هو السبب في حدوث ما يقع ، ولولاه ما وقع شيء ضار . وكل هذه المعتقدات الفاسدة تصب في أذهان الناشئة والكبار مغلفة في غلاف ما يسمى «الفن» وفي أسلوب مضحك، يجعلها تسري وتتعمق في نفوس الناس وهم غافلون.

وإذا أضفنا إلى ما تبثه وسائل الإعلام ونحوها من مثل تلك العادات الباطلة ؛ ما عليه حال جموع غفيرة من المسلمين ـ للأسف ـ في كثير من

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٤/٢١٨ ـ ٢٢٠ باختصار .

(٢) رواه أحمد ، الفتح الرباني ، ك الطب ، ب ما جاء في التشاؤم جـ١٧ ص١٩٧ ، ١٩٨ . وقال الشيخ الساعاتي : وأورده الهيثمي وقال : «رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات» . وابن السني في عمل اليوم والليلة ، ب ما يقول إذا تطير من شيء ص٢٥٥ رقم ٢٩٣ من رواية عروة بن عامر مرسلا.

المجتمعات من تخلق بهذه العادة ، وضح لنا مدى إمكانية تأثر الطفل بها ، وانعكاس ذلك على تفكيره وسلوكه ، انعكاسًا سيئًا .

جـ ـ التوجه إلى الأضرحة بقصد التوسل إلى أصحابها وسؤالهم من دون الله ـ تعالى ـ والنذر إليهم :

ولقد وقع كثير من الأطفال تحت تأثير وسائل ثقافية تروج لمعتقدات فاسدة ومفاهيم باطلة بشأن الأولياء والصالحين وأهل البيت، حيث تتبنى كثير من هذه الوسائل أفكارًا منحرفة مثل رفع هؤلاء الأولياء فوق مقام البشرية، والترويج للجوء إليهم في كشف الضر ، وجلب النفع ـ والعياذ بالله من هذا ـ ومثل هذه الأفكار تروج في بعض وسائل الإعلام على وجه الخصوص، بالإضافة إلى الواقع المأساوي لجماهير عريضة من المسلمين إذا تنتشر بينهم ، وما يترتب عليها من سلوكيات شركية، حتى إنه لا يكاد يمر يوم من أيام الجمعة والمواسم المختلفة إلا وتجد الانكباب على أضرحة المشهورين بالأولياء، وتجد الناس ما بين ذاهب ليوفيَ بنذر قد نذره للولي الفلاني من دون الله؛ وما بين سائل راج متوسل إلى صاحب الضريح من دون الله، سائلاً إياه أن يدفع عنه كربه ، أو يحقق له مطلبه، وما بين هائم على وجهه يصرخ، ويرغى ويزبد، مستغيثًا بالولي طالبًا منه المدد والعون، وغير هذا من الأحوال والصور التي يندى لها الجبين وينفطر من أجلها الفؤاد.

إن كل هذا يحيط بالطفل من كل جانب ، فلم يستطع كثيرون من الأطفال منه فكاكًا ، أو عنه ابتعادًا ، فوقعوا فيها ، وتلوثت عقيدتهم بها ، وصرنا نرى من الأطفال من ينذر للولي الفلاني شيئًا ما إذا نجح ، ومن

يذهب إلى الولي قصدًا ، يطلب منه أن يقيل عثرته ، ويكرمه بالنجاح ، ومن يذهب ويطوف بتلك الأضرحة ويتوسل إلى من فيها ويطلب منه المدد ـ من دون الله ـ وقد كنت واحدًا من هؤلاء يومًا ما في طفولتي ، ولكن ما لبثت زمنًا حتى صرف الله عني وعافاني وهداني إلى سواء الصراط، فالحمد لله على توالي آلائه وعظيم أفضاله .

د ـ الاعتقاد في مزاعم المنجمين والعرافين معرفة الغيب :

ومما نشأ في نفوس بعض الأطفال الاعتقاد في أن المنجم أو العراف يستطيع أن يتنبأ بشيء من أمور الغيب ، ومن آية ذلك ما لوحظ أن نسبة غير قليلة من الأطفال يحرصون على قراءة ما يسمى بأبواب الحظ في الصحف والمجلات ، والتي لا تكاد تخلو صحيفة ولا مجلة ـ على اختلافها ـ من تخصيص ركن ثابت لها ، وتجد كل طفل يعرف برجه ـ كما يسمونه ـ ويهتم بمعرفة ما ذكره المنجم بخصوصه ، ولا عجب من وجود هذه المفاهيم لدى الطفل ، فإن الوسائل التي تعرضها عليه ، إنما تعرضها على أنها حقائق ، بل وأبعد من هذا ، حين يفترى بعضها الكذب ، فيسوق قصصًا وروايات ، تتضمن أن شخصًا ما من أشخاص القصة ـ لا سيما من يدعى البطل أو البطلة ـ قد تنبأ له العراف أو العرافة بكذا ، وتزعم أن ما كان من تنبؤ قد وقع بالفعل . وهكذا ينشأ الطفل في جو ثقافي ملوث، يفسد عليه فطرته، ويشوش عقيدته . والله المعافى .

هـ ـ الاعتقاد بأن هناك كائنات ذات قوة خارقة لها تأثير في الكون:

وذلك أن نسبة كبيرة من القصص الخيالية الرائجة ومن أفلام الكرتون

المنتشرة في كل إعلام الدنيا ، تقدم في مضمونها شخصيات قوية خارقة عملاقة ـ أو بالأحرى تظهرها على هذا النحو ـ وأنها لا تقهر ، أو أنها لها تأثير في تسيير حركة الكون وتسخيره ، وتكمن الخطورة في أن الأطفال «ينظرون إلى ما يشاهدونه على الشاشة كواقع» [1] وقد سبق أن أشرت إلى نماذج من هذا المضمون المنحرف ، والذي يكاد يخر الأطفال على مشاهدته صمًا وعميانًا .

وقد ذُكِر لي أن أحد الأطفال سأل أباه عن شخصية من تلك الشخصيات التي تعرض في أفلام الكرتون على أنها خارقة، عما إذا كان هذا البطل «الخارق» أقوى أم الله ؟!!

وكان هذا الطفل السائل يعيش في أسرة فاهمة لدينها، ملتزمة به؛ فكيف يكون حال غيره ممن يعيشون ضمن آلاف من الأسر التي تفتقر إلى الالتزام الكامل ، والفهم الصحيح للدين ، أو أن يكون الوالدان في زحمة الحياة مشغولين ، عن أبنائهما غافلين ؟!

٥ ـ ضعف سلطان العقيدة في النفس وعدم الاهتمام بها أو الغيرة عليها :

ولقد كان الطفل المسلم قديمًا يتربى على توقير الدين ، وكان للعقيدة في نفسه سلطان ومهابة ، وكانت لها مكانة ، لا يدانيها فيها شيء ، حتى لقد كانت أغلى من الروح ، بل ما أرخص الروح حين تبذل في سبيل الدفاع عنها ، وإعلاء شأنها .

فأما الطفل اليوم فقد أريد له أن يتجرد من سلطان العقيدة، ومن أن

---

(١) علاقة الطفل المصري بوسائل الاتصال . د./ عاطف عدلي العبد ص٤٣ ، نقلاً عن عدلي السيد محمد ، تدفق البرامج من الخارج في تليفزيون ج.م.ع. ص٢٠٥ ـ ٢١٣ .

يغار عليها ، وأن يكون مظهره في حياته غير مقيد بما تمليه عليه عقيدته، حين وقع تحت تأثير مناهج علمانية غربية استهدفت ـ من بين ما استهدفت ـ إبعاده عن الدين وصرفه عنه .

ولنتأمل فيما كتبه المستشرق «جب» في معرض حديثه عن تقييم تجربة سيطرة المناهج الغربية على التعليم الحديث في العالم الإسلامي ، إذ يقول:

إن هذا العمل كان من آثاره أن صاغت تلك المدارس والمناهج أخلاق التلاميذ، وكوّنت ذوقهم ، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوربية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي. فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة، ولعل هناك نصيبًا من الحق في التهم التي ترمى بها هذه المدارس الأجنبية من أنها مفسدة لقومية التلاميذ ، وإن كنا نستطيع القول بأنه التطورات السياسية التي أعقبت ذلك في البلاد الإسلامية أيدت هذه التهمة ، ولكن الذي فعلته بلا ريب أنّها ربّت في التلاميذ خروجًا على الأنظمة الاجتماعية ، وأضعفت من هذه الوجوه سلطان النزعة الإسلامية القديمة على التلاميذ .

ثم يقول : لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين ـ ولو من غير وعي منهم ـ أثرًا يجعلهم في مظهرهم العام «لا دينيين» إلى حد بعيد ، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم

الإسلامي على حضارته من آثار [١].

وقال زويمر : «إن السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن - أي منذ عام ١٨٨٢ تقريبًا - على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الإسلام وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية ، ناشئة مضطربة مادية الأغراض، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقًا ، فلا للدين كرامة ، ولا للوطن حرمة» [٢].

*****

(١) من التبعية إلى الأصالة ص٨١ .

(٢) الخنجر المسموم . أنور الجندي ص٢٢ .

المبحث الثاني

آثار تعبدية

وأقصد بالآثار التعبدية؛ تلك التي تؤثر على الجانب الروحيّ، وما يتعلق به من أداء الشعائر والعبادات الروحية مثل الصلاة والذكر والتسبيح وقراءة القرآن ونحوها.

ولقد كان للغزو الفكري آثار ضارة على الطفل المسلم، بل وغيره، في هذا الجانب، وهي آثار لم تأت عفوية أو من فراغ وإنما كانت نتيجة تخطيط ماكر خبيث، ويستطيع المرء أن يلاحظها ـ بشيء من التأمل ـ على أرض الواقع.

وكان من أبرز تلك الآثار:

ضعف التدين وأداء العبادات:

والواقع أن هناك أمورًا كثيرة تحوط بالطفل المسلم تؤدي إلى هذا الأمر، ومنها ما نراه من بذل المحاولات لإشغاله وإلهائه بصفة مستمرة عن أداء العبادات ، مثل الترويج لرياضة كرة القدم بشكل يفوق الحد ، ولدرجة أنه إذا تعارض أي شيء مع نقل مباراة كرة قدم مثلاً ، وإذاعتها مسموعة أو مشاهدة ، قدمت المباراة ، وما أكثر ما تأتي أثناء الصلاة ، وأحيانًا يستغرق نقل مباراة واحدة مدة فرضين من الصلوات ، بحيث لا يكون مفر من إضاعة فرض على الأقل لمن يجلس لمتابعة المباراة ، وأحيانًا يعطّل الناس فريضة لها خصوصيتها الشرعية والاجتماعية مثل صلاة الجمعة من أجل مباراة كذلك ، وأحيانًا أخرى تعْمد وسائل الإعلام إلى إذاعة مباريات

خارجية أو محلية في وقتي صلاة العشاء والتراويح في شهر رمضان مع أنه يمكن تسجيل المباراة ثم إذاعتها بعد فترة صلاة التراويح حتى تتاح الفرصة لمن يحرص على مشاهدة المباراة من أداء الصلاة مع الجماعة ، ويُعان الناس على الخير والعبادة ، بالإضافة إلى أن إذاعتها بعد التسجيل يوفر أموالاً طائلة ما أحوجنا إليها في البناء والتعمير ؛ لأن نقل المباراة على الهواء أمر مكلِّف للغاية .

وبالإضافة إلى ذلك نجد خلق التعصب لهذا الفريق أو ذاك وتغذيته وتشجيعه حتى يصل الأمر بالمتعصبين للفرق والأندية الرياضية إلى التشاجر ، وأحيانًا التقاتل ، فهل في هذا كله مصلحة تعود علينا؟!

ولا يَظُنّنّ ظانٌّ أننا نحارب الرياضة البدنية ، بل نرحب بها بشرط أن تكون في إطار ما أحل الله، أداءً وهدفًا، أمّا أن تصبح صنمًا مقدسًا، وملهاة عن فرائض الله ، وسبيلاً إلى الشحناء والبغضاء ونحو هذه المفاسد، فلا مرحبا بها.

ومثل مباريات كرة القدم المسلسلات والأفلام والمسرحيات التي يُتعمّد إذاعتها أو عرضها في وقت لابد أن يتخللها فيه الأذان ، والنشء بل والكبار الذين جلسوا لمشاهدتها عاكفون على ذلك لا يفكّرون في إدراك الصلاة ، بل ما أكثر ما يضيق بعضهم بأن يقطع الأذانُ عليه استرساله ومتابعته لما يشاهد ، خاصة إذا كانت مباراة أو حفلاً على الهواء ، مما يجعل البعض يبغض الأذان ـ والعياذ بالله .

ومما أدى إلى ضعف التدين كذلك ، ما نشاهده في الآونة الأخيرة من حملات مسعورة غاشمة على التدين والمتدينين ، وتصويرهم بصورة مزرية ساخرة حتى وصل السفه والحقد ببعض عملاء الغزو الفكري إلى أن

ربطوا ـ من خلال وسائل الإعلام ـ بين مظاهر التدين الإسلامي ، كاللحية والتردد على المساجد ، والنقاب ، وملازمة قراءة القرآن ، ونحوها ؛ وبين كل خلق ذميم كالكذب والنفاق ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وعقوق الوالدين ، والإضرار بمصالح المجتمع ، ونحو هذه النقائص ، والقيام بعرض هذا الافتراء والبهتان على الناس في صورة أفلام ومسرحيات ومسلسلات، بشكل دائم ومتكرر ، في ربوع العالم الإسلامي.

وفي مقابل هذه الصورة الذميمة التي يرسمها الإعلام المحارب لله ورسوله والمؤمنين للتديّن وأهله، نشاهد الإعلاء من شأن اللهو وذويه، والمعاصي وأهلها ، والتزيين لصورة أولئك الذين يجاهرون الله بالمعاصي، وبينهم وبين التمسّك بأمور الدين الأولية هوّة سحيقة ، وملء الدنيا بالحديث عنهم ، وعن مناقبهم ، وتصويرهم بصورة المثاليين الناجحين في شؤونهم ، النافعين لغيرهم ، مع عدم الربط بين نجاحهم وشهرتهم وبين العبادة والتديّن .

أليس هذا التزييف يوحي للطفل ـ عند المقارنة بين الصورتين (صورة المتديّن الكريهة، وصورة المفرِّط المنمّقة) ـ على أحسن الظنون بعدم جدوى العبادة، وعدم ضرورة التديّن، إن لم يحتقر المتدينين، ويزهد في الدين والتديّن بالمرة؟

ثم إنه لا يغيب عن بالنا بهذا الصدد أن السواد الأعظم من المدارس ومحاضن الطفل المسلم ـ بالإضافة إلى الجامعات والمعاهد العليا ـ لا يراعَى في إعدادها أن يكون بها مسجد أو اهتمام بأداء الصلوات التي تتخلل اليوم الدراسي، بينما لا ينسى القائمون على الأمر أن تكون المحاضن والمدارس مجهزة بقاعات للمسرح، وحجرات للموسيقى، وصالات للرياضة، على

أحدث طراز، وأفضل تصميم، ونحو هذا، مما يُفقِد الطفلَ الاهتمام بالعبادة.

ثم إن وسائل الثقافة ـ إلا النزْرَ اليسير ـ تخلو من التركيز على ربط النشء ببيوت الله ﷻ ، بل كثيرًا ما توجههم إلى قضاء أوقاتهم في النوادي والشواطئ المختلفة ، والسينما ، وهذه الأماكن وأمثالها صارت ـ للأسف ـ لا تساعد على بناء عقيدة إسلامية ، أو تقويم خلق ، أو تزكية نفس ؛ أو إصلاح فكر ، فأصبح كثير من الأطفال عرضةً للوقوع في حبائل رفقاء السوء الذين يعمرون تلك الأماكن وأشباهها في الغالب ، ومظّنة أن ينحرفوا عن السلوك القويم، ولا عجب، فقد انقطعت صلتهم ـ أو على الأقل وهنت ـ ببيوت الله ، وضعفت عزائمهم وهممهم عن أداء العبادات فيه، وحرموا مجالسة الصالحين الذين يعمرونها ، وخلت قلوبهم من ذكر الله وحفظ كتابه الكريم ، فافتقدوا بذلك التوجيه الإسلاميّ.

وهكذا أمسى كثيرٌ من أطفالنا ينساحون [1] إلى الشوارع والطرقات والسينما، بعد أن ضلوا الطريق إلى المساجد، وضعف التزامهم بأداء العبادات.

علاقة ضعف التديّن بانحراف الأحداث:

وقد أثبتت الدراسات والبحوث أن ابتعاد النشء عن المساجد، وعدم انخراطهم في القيام بالشعائر التعبديّة، له صلة بانحرافهم وجنوحهم إلى الجريمة.

«وقد تبين من الدراسة التي أجريت على ٢٠٠ طفل من الأحداث

(١) ساح الماء يسيح سيحًا وسيحانًا : جرى على وجه الأرض ، القاموس المحيط ص٢٨٨. و «انساح الماء اندفع» المعجم الوسيط ١/ ٤٨٥ .

المنحرفين الذين عرضوا على محكمة أحداث الإسكندرية سنة ١٩٥٧، عندما سئلوا عن الأماكن التي يقضون فيها وقت فراغهم أن ٥٢٪ منهم يقضون فراغهم في الشارع، بينما ٢٩٪ منهم يقضونه في السينما، و ٥٪ منهم فقط يقضون وقت فراغهم في النوادي أو الساحات الشعبية، والباقي في أماكن أخرى متفرقة، كالمنزل أو شواطئ البحر أو المقاهي.

ومن الدراسة التحليلية التي أجراها مركز بحوث الخدمة الاجتماعية بالإسكندرية ١٩٧٣م للأحداث الجانحين بمدينة الاسكندرية اتضح أن ٥٥,٢٪ من العينة التي أجرى عليها البحث وكان عددهم ١٠٠ حدث يقضون وقت فراغهم في التجول في الطرقات دون هدى أو هدف محدد، بينما ٣٢,٩٪ منهم يقضون وقت فراغهم بالمنزل» [1].

«وقد اتضح من أحد البحوث التي أجريت في مصر عند دراسة الصلة بين الأطفال الجانحين وأداء شعائر الدين ما يلي:

١ ـ نسبة الأحداث المتهمين بالسرقة الذين لا يؤدون الصلاة ٧١,٨٪.

٢ ـ نسبة الأحداث المتهمين بالسرقة الذين لا يؤدون الصوم ٥٢,٨٪ .

كما أجريت دراسة على مجموعة من الأحداث المنحرفين الذين قدموا إلى محكمة الأحداث بالإسكندرية، لبيان مدى الارتباط بين نقص التدين وبين الانحراف، وتبين أن جميع الأحداث موضع الدراسة يؤمنون بالعقيدة الدينية كفكرة، ولكن النتيجة كانت عكسية فيما يتعلق بأداء الفروض الدينية، فلم يكن من بينهم من يتمسك بهذه الفرائض كاملة، ولوحظ مع

---

(١) الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين، د. محمد سلامة محمد غباري ص١٦٢، الأحداث المنحرفون (عوامل الانحراف ـ المسؤولية الجزائية ـ التدابير) دراسة مقارنة د. علي محمد جعفر. ص٩. المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزيع - بيروت . ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

ذلك أن نسبة ٢٪ منهم يؤدون الصلاة بطريقة غير منتظمة ، كما اتضح أن ٦٪ من بينهم يؤدون فريضة الصيام» [1].

فلا ندري ـ بعد هذا ـ أي مصير يراد لأبنائنا بإلهائهم عن عبادة الله، أو إضعاف نوازع الخير والتديّن فيهم ؟!

نسأل الله العافية.

*****

(١) الانحراف الاجتماعي (السابق) ص١٧٤ ، نقلاً عن طه أبو الخير ومنير العصره: انحراف الأحداث ص٣٨٥ .

المبحث الثالث

آثار أخلاقية

١ ـ جنوح بعض الأطفال نحو الجريمة والعنف :

ولقد كان من أسوأ آثار الغزو الفكري المعادي في مجال الأخلاق؛ جنوح بعض الأطفال نحو الجريمة والشر، وغلبة طابع العنف على جوانبَ من سلوكهم، وقد لوحظ أن أكثر الوسائل ترويجًا للشر والجريمة والغش، ونحو هذا من المفاهيم من منظور غربي، متعارض مع الإسلام؛ هي وسائل الإعلام، والتي قد أصبح تعلق الناس بها ـ عامة ـ والأطفال خاصة؛ أمرًا زائدًا عن الحد، حتى يمكن أن يوصف في كثير من الأحيان بأنه غدا مرضًا مقلقًا.

وتكاد تجمع الدراسات في مختلف المجتمعات على تأثير مادة العنف والجريمة من خلال وسائل الإعلام، في سلوك الطفل والشباب تأثيرًا سيئًا، حتى ليقول أحد الغربيين وهو ستيفن بانا الطبيب النفسي والأستاذ في جامعة كلومبيا: «إذا كان السجن هو جامعة الجريمة . فإن التليفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الأحداث» (١).

ونشرت جريدة الأحرار (المصرية) دراسة بعنوان : «دراسة ميدانية تؤكد : التليفزيون يفسد أطفالنا» وجاء فيها : أن أطفالاً بين الثامنة والرابعة عشرة بلغت جرائمهم (١٤٠ ، ١٤٣) مئة وأربعين ألفًا ومائة وثلاثة

(١) الإعلام والبيت المسلم . فهمي قطب الدين النجار ص١١٣ ، وانظر : الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية د/ أحمد بدر ص١١٨.

وأربعين [١].

وقد أكد القاضي الأمريكي كيرتيس بوك أن التليفزيون هو من أسباب انحراف الأحداث الرئيسية [٢].

ويقول الدكتور «رالف باني» مدير إحدى العيادات في بروكلين : إنه يرى ويسمع ويدرس حوالي ٤٠٠ من الأحداث سنويًا ؛ وقد تبين له أن الأفلام جعلت الفتيان يحسون أن الحياة كلها مليئة بالجريمة ، ووجد أنهم على علم تام بفنون الإجرام . كما أنهم يتصرفون بعنف تام في محيط الأسرة ويتحدون المسؤولين [٣]. وأشارت بعض التقارير الصادرة عن منظمات دولية إلى أن ما يتراوح بين ٢٥ ـ ٣٠٪ من أعمال العنف في سائر أنحاء العالم سببها مشاهدة العنف في التليفزيون.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية أكدت دراسة قام بها معهد جاك عام ١٩٥٤ أن ٧٠٪ من الآباء يلقون باللوم على قصص الجريمة وبرامج العنف في الإذاعة والتليفزيون ويرون أنها وراء ظاهرة جنوح الأحداث[٤].

وقد جرت دراسات مقارنة على عينات بشرية أو مجموعة من الأطفال جانحين وأطفال غير جانحين ، كما جرت دراسة أخرى على أثر السينما على نزلاء السجون وإصلاحيات الأحداث وعلى أشخاص أسوياء غير منحرفين . وكانت من أبرز هذه الدراسات تلك الدراسة التي تناولت

---

(١) نحو إعلام إسلامي . د/علي جريشة ص١٥ نقلاً عن الجريدة المذكورة ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ ٨ فبراير ١٩٨٨م ص١٠.

(٢) أثر وسائل الإعلام على الطفل. أحمد محمد الزبادي وآخران ص٤٢ .

(٣) السابق ص١٠٧.

(٤) أيضًا ص٣٩ .

مجموعة من الأطفال الجانحين من ذكور وإناث ومن نزلاء مؤسسات إصلاحية متعددة ، وقد تناولت هذه الدراسة ٣٦٨ طفلاً جانحًا من الذكور والإناث وقد أعرب ١٠٪ منهم عن تأثره المباشر بالسينما ، كما أعرب ٤٩٪ من الجانحين الذكور أن السينما أثارت رغبتهم لحمل سلاح ناري قاتل ، وأن ٢٨٪ منهم تعلموا بعض أساليب السرقة التي تعرضها أفلام السينما وأن ٢٠٪ منهم تعلموا كيفية الإفلات من القبض عليهم ، والتخلص من عقاب القانون ، وأن ٤٥٪ منهم وجدوا الانحراف والجريمة الطريق السريع إلى الثراء العاجل كما تصوره السينما لهم ، وأن ٢٦٪ منهم تعلموا القوة والعنف عن طريق تقليد بعض المجرمين في أسلوب معيشتهم الذي أظهرته السينما لهم من خلال أفلام الجريمة [١].

وهناك دراسة أجراها اثنان من الباحثين على ٥٠٠ حدث منحرف بالمقارنة مع ٥٠٠ حدث غير منحرف فوجدوا من خلالها أن ٤٤,٩٪ من الأحداث المنحرفين كانوا يترددون على السينما بشكل متكرر بمعدل ثلاث مرات أو أكثر في الأسبوع بينما بلغت هذه النسبة ١١٪ عند الأحداث غير المنحرفين .

وجاء في تقرير الهيئة الصحية العالمية لعام ١٩٥١ عن انحراف الأحداث وعلى لسان أحد القضاة الفرنسيين العالمين في ميدان الأحداث ما يأتي «لا يخالجني أي تردد أن لبعض الأفلام وخاصة الأفلام البوليسية المثيرة معظم الأثر الضار على غالبية الأحداث المنحرفين» .

وقد أثبتت التجربة أن لعرض الأفلام تأثيرات متنوعة على الأحداث

---

(١) الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ص١٦٦ نقلاً عن مرجع أجنبي ، وانظر : الأحداث المنحرفون ص٩٢ .

بصفة خاصة وهم الذين لم يكتمل إدراكهم ولم تنصقل خبرتهم بعد . فهذه ظلمة القاعة وما يصحبها من جو خاص يشجع على السلوك السيّئ ، كذلك ما نراه من مشاهد مخلة بالحياء . قادت بعض الفتيات إلى مهنة الدعارة والتشرد ، كما قادت بعض الأولاد إلى ممارسة ضروب جنسية شاذة وأدت ببعضهم للانضمام إلى عصابات ، كما أثبتت التجارب والدراسة أن بعض السرقات الكبيرة كان الدافع إليها تردد الأحداث بشكل متكرر إلى قاعات السينما (١).

ويرى الخبراء والشرطة أنه لا توجد جريمة قتل جنسية إلا وكان القاتل فيها مدمنا للأفلام والقراءات الداعرة ، ويقولون : إن التليفزيون يُعَلِّم المذنب أساليب تنفيذ الدوافع (٢).

هذا ، وإن هذه الآثار قد تظهر بسرعة ، وقد تكمن في عقل الطفل لفترات من الزمن ، ثم تظهر فيها بعد ، فهي تكون ، والحالة هذه ، كالنار التي تكمن تحت الرماد ، إذ يمكن أن تشتعل في أي وقت وإن بدا أنها غير موجودة .

فقد قرر نفر من الباحثين أن الأفلام السينمائية التي تثير في الفرد الدوافع والأفكار الخاصة بالسلوك الإجرامي قد لا يظهر أثرها في السلوك الفردي على الفور ، إذ إن هذه الدوافع والأفكار تكمن ثم تستقر داخل العقل لمدة معينة ، وبمرور الزمن قد تزول هذه الدوافع بدون أن تترك أيَّ أثر ، ولكن قد تظهر في صور مختلفة في السلوك الفردي (٣).

---

(١) الأحداث المنحرفون ص٩٣ باختصار ، نقلاً عن مراجع أجنبية .

(٢) أثر وسائل الإعلام على الطفل ، أحمد محمد الزبادي وزميلاه ص٤٣ .

(٣) الأحداث المنحرفون ، ص٩٤ بتصرف . نقلاً عن مرجع أجنبي .

وكذلك «أخذ الأثر التراكمي لمشاهدة التليفزيون والذي يمتد حتى سن ٢٠ تظهر نتائجه : أن هناك علاقة مباشرة بين أفلام العنف التليفزيوني في الستينيات وارتفاع الجريمة في السبعينيات والثمانينيات» [١].

وإن الصغار هم أسرع الناس تأثرًا بما تعرضه وسائل الإعلام من مادة تتضمن الترويج للعنف والشر والجريمة ، وبخاصة إذا كان لدى البعض منهم ميل سابق للتأثر بها ، وذلك يعود لأسباب منها :

أ ـ عدم نضوج السن ، «ذلك لأن السن غير الناضجة تتميز بضعف ملكة النقد أو انعدامها ، وسهولة في التأثر ، وميل إلى الانغماس في خيال خصب غير واقعي واستعداد للمغامرة يدعمه غرور مسيطر» [٢].

وفي يوم نشرت صحيفة الأخبار القاهرية خبرًا يقول : إن طفلاً صغيرًا قفز من الدور الثالث ومات وهو يقلد «فرافيرو» ويقول : «أنا جاي» [٣].

ب ـ أن قابلية الأطفال للتقليد والمحاكاة في هذه السن كبيرة جدًا ، بحيث يمكن أن يقلدوا أحداثًا صعبة ومعقدة ، ويحاكوا طرق تنفيذها كما رأوها تمامًا ، كما يؤكد هذا أحد الباحثين ؛ فيقول :

وفي هذه السن الصغيرة نجد أن القابلية للمحاكاة لدى الأحداث كبيرة ، مما يجعلهم يحاولون محاكاة بعض أبطال هذه الروايات (أي روايات السينما والتليفزيون) ، أو أن العروض نفسها أو البرامج قد تتضمن بعض الأفكار الأخلاقية والاجتماعية التي تعتبر خرقًا لقيم وتقاليد المجتمع ، وقد يكون

---

(١) أثر وسائل الإعلام على الطفل ، أحمد محمد الزبادي وزميلاه ص٣٩ .

(٢) الأحداث المنحرفون ص٩٣ ، ٩٤ ، نقلاً عن د/ رمسيس بهنام : علم الإجرام جـ١ ص١٤٨.

(٣) دراسة تليفزيونية ميدانية . إعداد المهندس أكمل أحمد فؤاد . ملحق بكتاب نحو إعلام إسلامي ص١٤٧.

الهدف من عرضها ، هو أخذ العبرة ، ولكن الصغير لا يصل إلى هذا المستوى ، وبذلك نكون قد عرضنا هؤلاء الصغار إلى خبرات مبكرة لا يجب أن يمروا بها قبل سن النضج ، وقد تمهد هذه الخبرات طريق الانحراف . وعملية تقليد الصغار لما يشاهدونه في البرامج السينمائية والتليفزيونية عملية خطيرة ومؤثرة [١].

ولقد عرضت إحدى الشبكات التليفزيونية الأمريكية N.B.C تمثيلية يداهم فيها الإرهابيون من المجرمين ركاب أحد قطارات الأنفاق ، ويقتلون أحد الركاب ، فإذا بصبية منحرفين يهاجمون أحد الشرطة في أحد قطارات الأنفاق ، ويقتلونه بنفس الطريقة التي شوهدت على شاشة التليفزيون ، وقد أشارت إحدى لجان الكونجرس إلى أن نسبة كبيرة من جرائم الأحداث في الولايات المتحدة ترجع إلى تقليد ما يرونه على شاشة التليفزيون [٢].

جـ ـ شعور الأطفال بأن ما يرونه في وسائل الإعلام حقيقي ، وليس مجرد تمثيل ، ونظرتهم إلى ذلك على أنه تعبير عن القيم الاجتماعية التي ينبغي عليهم أن يعيشوها وينتموا إليها وهذا ما أكدته الدراسات .

«فلقد دلت الكثير من الدراسات على أن الطفل عادةً يحاول التشبه بالشخصيات التي يعرضها التليفزيون نظرًا لاعتقاد كثير من الأطفال أن العالم الذي يشاهدونه على الشاشة هو مرآة صغيرة للعالم الحقيقي ، كما أن عددًا من المراهقين يحاولون تقليد الأدوار التي يقدمها التليفزيون لكي يلعبوها في حياتهم الواقعية ، وعندما تقدم الشاشة عنصر العنف فإن هذا العنف يتسلل إلى نفوس الأطفال ، ويحاولون تقليده ومحاكاته حتى يشعروا

---

(١) الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ، ص١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) أثر وسائل الإعلام على الطفل ، أحمد محمد الزبادي وزميلاه ص٤٢ ، ٤٣ .

بانتمائهم إلى عالم القيم الاجتماعية والأخلاقية عن طريق المشاهدة التي تؤدي إلى الاستجابة التي تتلاءم مع مفاهيم المجتمع المتحضر» [١].

وهكذا نرى أن تعرض الأطفال لقراءة أو مشاهدة روايات العنف والجريمة ، على النحو الذي تُقَدَّم به في وسائل الإعلام ، ليس فيه أدنى مصلحة لهم ، ولا للمجتمع من حولهم ، وذلك خلافًا لما يزعمه البعض من أن مشاهدة الأطفال لمثل تلك الروايات تساعد على تفريغ المشاعر العدوانية أو امتصاصها لديهم .

بل كان من نتائج بعض التجارب التي أجريت بهذا الخصوص : «أن مشاهدة العنف في هذه البرامج لم يكن سبيلاً لتفريغ المشاعر والدوافع العدوانية وتصريفها ، كما أن الأطفال يتعلمون من مشاهدة البرامج التليفزيونية .. حتى إذا ما ووجهوا بمواقف مشابهة فيما بعد ، فإنهم سيقومون بنفس الأعمال التي شاهدوها على الشاشة الصغيرة» [٢].

نسأل الله أن يوفق القائمين على الإعلام في البلاد الإسلامية إلى حماية أطفالنا وشبابنا من هذه الأضرار ، وأن يوفقهم لتقديم كل نافع ومفيد يسهم في إصلاح فلذات أكبادنا .

٢ ـ انتشار كثير من العادات الغربية الاجتماعية :

ومن الآثار الناجمة عن الغزو الفكري في جانب الأخلاق : انتشار عادات اجتماعية غربية ، لا صلة لها بالإسلام ، بين كثير من النشء ، وهي كثيرة ـ مع الأسف ـ وأشير إلى بعضها على سبيل المثال ، فيما يلي :

---

(١) المصدر السابق ص٣٥ .

(٢) الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص١١٩ ، وانظر : حول أثر التليفزيون على الأطفال والشباب . مقال للدكتور إبراهيم إمام . ملحق بكتاب نحو إعلام إسلامي ص١٦٦ ـ ١٧٥ .

أ ـ الاختلاط والعلاقات العاطفية بين الفتيان والفتيات :

وذلك أن الاختلاط قد غدا أمرًا شائعا في كثير من المجتمعات الإسلامية، ونتج عنه انتشار عادة سيئة صدرتها لنا مؤسسات الغزو الفكري ووسائله، وسعت إلى تكريسها، وهي وجود علاقة أو صداقة وحب بين الفتى والفتاة، ليس لها مبرر شرعي.

ومن الأمور الخطيرة التي ترسخت في نفوس الكثيرين، لاسيما النشء الصغير، أن تلك المفاسد عنوان التحضر، وسمات الشخصية العصرية الراقية، ومن ثم صاروا يلهثون للتحقق بها أو تحقيقها في واقع حياتهم، وخاصة من كان منهم في مرحلة الطفولة المتأخرة، أو المراهقة المبكرة.

ب ـ الأكل والشرب بالشمال:

وكذلك أصبح كثير من الأطفال لا يعرفون آداب الأكل والشرب، أو لا يلتزمون بها ، والتي من أظهرها أن يأكل المرء أو يشرب بيمينه ، إذ حلت محل هذه السنة الإسلامية ، ما عليه الغرب من عادات اجتماعية، ومنها عادات الأكل والشرب ، فصاروا يحاولون جاهدين محاكاتها وإتقانها من خلال وسائل الإعلام التغريبية ، فلا يبالي أحدهم بأي يد تُدخل الطعام أو توصل الشراب إلى فيه ، هذا فضلاً عن بقية آداب الطعام الإسلامية المهملة في وسائل الثقافة ، وبالتالي في حياة الطفل.

جـ ـ ترك تحية الإسلام واستبدال غيرها بها:

ولا يخفى أن تحية الإسلام، التي يحيي بها المسلم أخاه المسلم إذا لقيه في ساعة من ليل أو نهار؛ هي السلام.

وللسلام آداب وأحكام ، لا يتسع المقام لذكرها ، وقد أحسن الإمام النووي ـ رحمه الله ـ وأجاد في الحديث عن هذا الأمر في كتابه القيم «الأذكار» (١)، فأحيل عليه من أراد الاستزادة .

وقد غدا كثير من أطفالنا لا يستخدمون تحية الإسلام، بل ومن الكبار أيضًا ، واستبدلوا بها غيرها من عادات وعبارات غربية وافدة، حتى أمست تحية الإسلام بينهم غريبة ضائعة ، بل إن البعض ينطق عبارات مثل «صباح الخير» أو «مساء الخير» بغير اللغة العربية ، تقليدًا لما يشاهده أو يقرؤه في وسائل الإعلام وغيرها .

د ـ ترك أدب الإسلام في المكافأة على المعروف:

وقد سنّ لنا رسول الله ﷺ عندما يقدِّم لنا أحد من الناس معروفًا ، أن ندعو له ونثني عليه ، ومن أحسن ما يقول المسلم بهذا الخصوص ، ما رواه أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أنه قال : «**من صُنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرًا ، فقد أبلغ في الثناء**» (٢).

ولكن وسائل الغزو الفكري المعادي قد عملت جاهدة على تغييب هذه الآداب الراقية وأمثالها من حياة النشء المسلم ، حتى يشبُّوا بعيدًا عنها، فنجحت في هذا ، بل في بعض الأحيان تتناول مثل هذه الآداب باللمز،

---

(١) الأذكار من كلام سيد الأبرار . للإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي ص٢٠٩ ـ ٢٢٤. اعتنى به وفهرسه محيي الدين الشامي . مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . ط الثالثة ١٤١١ ، ١٩٩١م .

(٢) رواه الترمذي ، ك البر والصلة ، ب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه ، جـ٤ ص٣٨٠ رقم ٢٠٣٥ وقال : «هذا حديث حسن جيد غريب» . وصححه الشيخ الألباني ، صحيح الجامع ٢/ ١٠٨٩ رقم ٦٣٦٨ .

وتربطها بالتزمّت والتقعّر ، حتى غدا كثيرٌ من أبنائنا لا يعرفونها ولا يستخدمونها ، وإنما يستخدمون بدلاً منها ألفاظًا أخرى ، وللأسف ينطقونها بغير العربية ، مجاراة لـ «الإيتيكيت» فأصبح البعض منهم إذا أراد أن يكافئ أحدًا على معروف يقول له : «ميرسي» أي شكرًا بالفرنسية ، بدلاً من أن يهتدي أو يستن بهدي رسول الله ﷺ .

هـ ـ اقتناء الكلاب من غير مصلحة معتبرة:

وقد غدا كثير من أطفالنا يتسارعون إلى اقتناء الكلاب، والقيام بخدمتها خدمة لا ينال مثلها كثير من الآدميين ، وذلك كله دون مصلحة معتبرة شرعًا، أو حاجة معقولة، تدعو إليه، وإنما هو محض تقليد لعادات الغربيين في هذا المجال، وأصبح هؤلاء الأطفال مولعين بتلك العادة السيئة ، حتى أورثتهم الميوعة ، والانغماس في اللهو ، والابتعاد عن معالي الأمور والجاد منها، بالإضافة إلى ما تجره من النفقات الكثيرة التي تذهب على شراء الكلب، وأكله، وتطبيبه، ورعايته، ونحو هذا من الاهتمامات.

و ـ تقليد الغربيين في أزيائهم المنافية لآداب الإسلام:

ومن مظاهر تأثر المسلمين ـ خاصة النشء ـ بعادات الغرب وأخلاق أهله، تقليدهم وتقليد قطاعات عريضة منهم للغرب في زي أهله ولباسهم الذي يتعارض مع آداب الإسلام في مجال اللباس والزينة ، مثل عادات تشبه الرجال بالنساء ، والعكس ، وكذلك ظاهرة تبرج النساء ، وسعي الفتيات المسلمات إلى الانسلاخ من الزي الإسلامي الذي يتميز بستر عورة المرأة ـ وبدنها كله عورة ما عدا الوجه والكفين ـ وملاحقتهن لما يسمى «بالموضة» وتتبع أحدث ما يظهر منها ، مع العلم بأن الذين يتحكمون في تصميم أشكالها ومقاييسها وأحجامها هم اليهود والنصارى ، والذين هم

حريصون على أن تتعرى المرأة ، ويتفننون في هذا الأمر .

ومما يزيد الطين بِلّة؛ ما نراه في الفترة الأخيرة من هجوم سافر على الحجاب الإسلامي للمرأة من قبل بعض المسلمين أنفسهم ، ومن خلال وسائل الإعلام في بلاد المسلمين ، ووصفهم لمن يدعون إليه ويتمسكون به بالتخلف والجهل وما يشابه هذا من أوصاف ، الأمر الذي كان له أثر كبير في جعل النشء يتبنون العرى والتخنث والتحلل ، ونحو هذا من السمات التي يتسم بها الغربيون في طرائق أزيائهم ولباسهم .

ولقد أفسد هذا الأمر كثيرًا من بناتنا وأبنائنا في أنفسهم، وأفسد كذلك غيرهن في المجتمع، بالإضافة إلى ما تفرضه أو تجره متابعة آخر الموضات من تكاليف وأعباء مالية مرهقة للأسر، وخاصة ذات المستوى المعيشي المتدني.

ز ـ التدخين والقمار:

وهناك عادات سيئة انطبعت على سلوك نفر من الأطفال، تقليدًا لما يرونه في وسائل الإعلام واعتقادًا منهم بأنها من المزايا والقيم الاجتماعية المرموقة ومن هذه العادات: التدخين [1]، إذ لا يكاد يخلو فيلم أو رواية من

---

(١) يحسن أن أبيِّن حكم التدخين، فأقول ـ وبالله التوفيق ـ:

١ـ لقد ثبت أنّ التدخين مُضِرٌّ بالصحة، ويؤدِّي إلى أخبث الأمراض، مثل أمراض القلب وسرطان الرئة والرَّبو ... وغيرها.

وقد رَوى غيرُ واحد مِن الصحابة؛ منهم ابنُ عباس وعُبادةُ بنُ الصامت وعائشةُ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار» (رواه ابنُ ماجه وأحمدُ والطبرانيُّ وغيرُهم).

٢ـ وهذه الأمراض التي يُحْدِثها التدخين بسبب ما يحتوي عليه مِن مواد سامة، لأجل هذا يُعدّ مِن الخبائث، وكلُّ خبيثٍ مُحرّمٌ في الشرع، كما قال الله تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [سورة الأعراف: ١٥٧]. =

تشبث (البطل) بهذه العادة، فضلاً عن أنه لا يكاد يخلو ميدان أو شارع أو

= ٣ـ كما أنّه نوع من إلقاء النفس إلى التهلكة، وسبيلٌ إلى دمار الأنفس والأموال. وقد قال الله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة: ١٩٥].

٤ـ والتدخين يُوهِن البَدَن، ويصيبه بالفتور والانحطاط، ويؤثّر سَلْبا على عمل عددٍ من أجهزة الجسم، وهذا مما نهى عنه رسول الله ﷺ.

عن أمِّ سلمة قالت: «نهى رسولُ الله ﷺ عن كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفتِّر» (رواه أبو داود). والمفتر: هو ما يَحدُث به الفتورُ في الأعضاء والانكسارُ.

٥ـ وإضافةً إلى ما سبق: فإنّ التدخين إنفاقٌ للمال في غير موضعه، وهذا مما لا يرضاه لنا ربُّ العالمين.

عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» (رواه مسلم).

٦ـ وإنفاق المال على التدخين ينطوي على مجافاة الحكمة والعقل والمنطق، فهو كمن يمسك مالًا ويحرقه بيده، بل ربما كان إحراق المال مجردًا أقلَّ ضررًا مِن أنْ يشتريَ به المرءُ الدخانَ ثم يتعاطاه؛ لأنّ الأخير إحراق للمال مع إتلافٍ للصحة وإضرار بالبيئة !!

وهو بهذا يدخل تحت عموم النهي عن التبذير، الواردِ في قوله تعالى: {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [سورة الإسراء: ٢٦، ٢٧].

٧ـ ثم إنّ الدخان يلوِّث الهواء، فهو ضارٌّ بالبيئة، وهذا مما يدخل تحت عموم النهي عن الإفساد في الأرض، الواردِ في قول الله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [سورة الأعراف: ٨٥].

٨ـ وختاما: فإنّ التدخين بما يُحْدثه مِن إضرار بالصحة، وإيذاءٍ للحياة والأحياء، وإتلافٍ للأموال؛ يفوِّت ويُعطِّل مصالح ضَرورِيةً للناس اتفقتْ جميعُ الشرائعِ الإلهيةِ على رعايتها وصيانتِها، ومنها حفظ الأنفس والأموال.

وعلى هذا فإنّ الذي تطمئنّ إليه النفس: أنّ التدخين حرام شرعا. والله ـ تعالى ـ أعلم.

صحيفة أو مجلة أو تلفاز من إعلان يروج التدخين ، مصحوب ببهرجة وتزويق يخطفان الأبصار ، ويجذبان المرء ـ إذا كان صغيرًا ، وبالأخص إذا كان عنده ميل للتدخين ـ إلى الوقوع في هذه العادة المرذولة، وقد كان، حيث لوحظ على كثير من الأطفال أنهم يدخنون ، إما متوارين وإما مجاهرين ، الأمر الذي يؤدي إلى أضرار صحية ونفسية ومالية على الطفل وأسرته والمجتمع من حوله .

ومن العادات الضارة كذلك التي وقع فيها بعض الأطفال عادة الميسر أو القمار، فنسأل الله السلامة.

٣ ـ زعزعة كثير من القيم الاجتماعية الإسلامية:

ولقد كان من أسوأ الآثار الخلقية على النشء المسلم، زعزعة أو اهتزاز كثير من القيم الاجتماعية الإسلامية مثل احترام المعلم، واحترام الوالدين، وتوقير الكبير وتبجيل علماء الدين، ونحو هذه القيم المثلى.

وعلى سبيل المثال: فيما يتعلق بجانب احترام المعلم؛ فإن مسرحية واحدة مثل مسرحية «مدرسة المشاغبين» قد أسهمت بدور كبير في زعزعة قيمته واهتزاز شخصيته لدى كثير من النشء ، وإغرائهم بمعاملة معلميهم معاملة منحطة على نمط ما عرضته المسرحية ، حتى لقد قام بعض الفتيان بتصرفات مخزية يندى لها جبين الشرفاء ، في بعض المدارس في مصر ، تجاه معلماتهن (في التعليم المختلط) ، تقليدًا لمنظر ساقط من المناظر الكثيرة البذيئة التي تتضمنها تلك المسرحية .

ويقول الدكتور عمر فروخ ـ متحدثًا عن آثار التعليم الغربي الذي فرض على عالم الإسلام ـ:

وجدت بعد ثلاث وأربعين سنة في التعليم أن طلابنا وتلاميذنا وهم مجموعة الأجيال المقبلة قد فقدوا كثيرًا من الخلق الديني الذي كان لا يزال موجودًا في التلاميذ الذين عرفتهم في عشر العشرين وعشر الثلاثين وعشر الأربعين، ثم وجدت في السنوات الأخيرة بين الطلاب حركات واتجاهات مؤسفة وحالات لا تعكس النقص في التربية الدينية فحسب؛ بل تنعكس على الوجود الاجتماعي والطبيعي للأمة كلها [(١)].

وقد اهتزت نظرة الصغار إلى الكبار، فلم تتسم بالاحترام الكامل «ويرى علماء الاجتماع أن التليفزيون يشبع في النشء حب المغامرة والتحرر من القيود والاتصال بعالم الكبار، كما يقوي ميولهم بأن يصبح لهم كيان» [(٢)].

٤ ـ شيوع كثير من الألفاظ السيئة على ألسنة بعض الأطفال:

ولم يعد بخافٍ على أحد تلك الموجة الكبيرة من المسرحيات والأفلام والأغاني والقصص الهابطة التي تحاصر الناس أينما حلوا وأينما ارتحلوا، حتى اقتحمت عليهم بيوتهم ومخادعهم، وقد تضمنت كمًّا كبيرًا من الألفاظ النازلة والعبارات غير المهذبة التي شاعت على ألسنة كثير من الناس خاصة النشء ، وهي عبارات مجافية للذوق واللياقة ، بل إن بعضها مما يجب ألا يتعدى حدود الفراش بين الزوجين ، ولكنها ـ مع الأسف ـ أصبحت تلوكها ألسنة بعض الأطفال الأبرياء في المجتمع ، وتبدو في كلامهم واضحة من آن لآخر .

وقد كتب أحد المحررين ناقدًا لأحد البرامج (الاجتماعية الموجهة للأطفال في تليفزيون الكويت) ، وبعد ما أورد بعض العبارات العامية

---

(١) من التبعية إلى الأصالة ص٨٠ ، ٨١ .

(٢) الإعلام والبيت المسلم . فهمي قطب الدين النجار ص١١٤.

الهابطة التي أذيعت في ذلك المسلسل ، قال :

من يصدق أن الكلمات السابقة هي جزء من سيناريو مسلسل محلي (تربوي) اجتماعي موجه للأطفال !!

من يصدق أن الكلمات والمفاهيم التي يتلاشى الآباء إسماعها لأبنائهم ويعملون جهدهم لإحاطة النشء بسور من الأخلاق الحميدة والمعاملة الطيبة الصادقة .. تعرض عليهم من خلال الشاشة الصغيرة بعد الإفطار كل يوم !! (١).

والغريب أن الأطفال يلتقطون هذه الكلمات وتلك العبارات .. ويرددونها في كل مكان : في الأسرة والمدرسة والنادي وغير ذلك .. حتى لو كانت تلك الألفاظ سوقية أو هابطة .. ومهما حاولت المدرسة أو الأسرة تنقية البيئة من هذه الألفاظ وتلك العبارات فإن جهودها تذهب أدراج الريح ؛ لأن التأثير التليفزيوني القوي المتراكم لا يقاوم بسهولة .. (٢).

٥ ـ التغاضي عن بعض المنكرات الاجتماعية :

وإذا كان من الأمور الخطيرة أن يتخلى الناس عن مكارم الأخلاق، ويقعوا في مرذولها ، ويتعللوا بعلل ، ويلتمسوا المعاذير لتبرير ذلك الأمر، مع علمهم بأنهم على خطأ ، فإن الأمر الأخطر من ذلك والأسوأ أن يتقبل الناس المنكر ، ويقعوا في سيئ الخلق دون إحساس بأن ما هم فيه منكر وسيء ، يعد خرقًا للفضائل الاجتماعية ، وهذه ـ لعمر الله ـ مرحلة من الانحدار والسقوط مدمرة ، ونعوذ بالله من أن تنجرّ إليها الأمة .

---

(١) بصمات على ولدي ص٣٣ . نقلاً عن جريدة القبس ١٦ رمضان ١٤٠٨هـ ٢ مايو ١٩٨٨م .
(٢) المصدر السابق : نفس الموضع .

ومن هذا القبيل : هذا الأثر الذي نحن بصدد الحديث عنه ، حيث أدى الغزوُ الفكريُّ بالكثيرين ، ليس فقط من الصغار ، بل ومن الكبار أيضًا، إلى أن يتغاضوا عن كثير من المنكرات الاجتماعية، ويرضون عنها، ويرحبون بها، أو على الأقل لا يحدث نفور أو انزعاج منها، والنتيجة التعويد على استمراء المنكرات وإقرار الرذائل، بل والتعرض للوقوع فيها.

«والأمثلة على ذلك أكثر من أن نستقصيها .. لكن نورد نماذج هنا للإيضاح فقط :

ـ صرنا نتقبل أن يحتضن رجل بنتًا شابة؛ لأنه يمثل دور أبيها . وصدقنا ذلك ولم نعد ننكره ، بل نحن مطالبون أن نأخذ الأمور بعفوية وطبيعية !.

وصرنا لا ننكر وجود رجل وامرأة في وضع الزوجين .. بل إن من يتقن ذلك نصفه بأنه (ممثل محترم) وأنها (ممثلة محترمة) ومن يجهر بالإنكار فهو ضيق الأفق .. عقيم الخيال .. وصرنا لا ننكر على من تظهر حاسرة الرأس كاشفة الشعر والرقبة والذراعين والساقين .. ونعتبرها محتشمة .

وكذلك مناظر احتساء الخمور والتدخين والاغتصاب والسرقات والقتل والسباب بأقذع الألفاظ ... مع أن هذه الأوضاع جميعها مصادمة لأمر الله عز وجل»(١).

ويضيف أحد الكتاب متحدثًا عن خطورة وآثار الأدب الماجن على الشباب والناشئة ، فيقول : «وقد يعبث الفتى أو الفتاة حينا إذا قرأ أو قرأت مجونا جريئًا عريانًا، ولكن إذا ألفت العين والنفس أمرًا كان مبعثًا

---

(١) بصمات على ولدي ص١٠ ، ١١.

للحياء أمس ، فقد لا تلبث العين والنفس أن تنزعا إليه وتطلباه . فإذا فقدت النفس نفورها من قراءة المخازي وتصور معانيها فقد هانت عليها المرحلة التالية ، وهي التلبس بهذه المعايب سلوكًا وعملاً .. وإذن فعلى الصون والعفاف ألف عفاء . عليهما ألف عفاء في كثير من الشباب ذكورًا وإناثًا ، إذا لم تقف أفلام المعربين والكتاب» [١].

٦ـ ضعفُ تقديرِ قيمة الوقت، والاستهانةُ بضياعه:

وذلك بسبب تلك الكمية الضخمة من برامج اللهو ، التي يطلق عليها «البرامج الترفيهية» والمغامرات الخيالية الجانحة ، وشغل وقت الطفل بأمور يخرج منها في النهاية بلا حصيلة ، وكل هذا ونحوه قد عود الأطفال على عدم تقدير الوقت ، حتى نشأ الواحد منهم على استعداد أن يضيع اليوم في غير ما فائدة ، ويسهر أمام التلفاز حتى مطلع الفجر دون أي شعور بالحرج ، وكيف لا يكون كذلك ، وهو يسمع ويشاهد من يقول بأن لدى وقتًا أريد أن أقتله ، فيقتل نفسه وأمته من حيث لا يدري ، عندما يعكف على ألوان من اللهو بل والشر ، ويعزف عن أداء واجباته ، حتى غدا هذا سمة كثير من المسلمين ـ مع الأسف ـ ويأتي الإعلام ليعمق هذا الخلق الذميم ويكرسه !

*****

(١) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٣٥٧. ط السابقة ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م. نقلاً عن مقال لمحمد توفيق دياب.

المبحث الرابع

آثار نفسية

وأقصد بالآثار النفسية، تلك الآثارَ الضارة التي يمكن أن تعرِّض صحة المرء النفسية للخطر ، أو تتنافى معها .

وأشير في البداية إلى مفهوم الصحة النفسية، حيث عرفها أحد المتخصصين «بأنها حالة دائمة نسبيًا، يكون الفرد فيها متوافقًا نفسيًا» (شخصيًا وانفعاليًا واجتماعيًا أي مع نفسه ومع بيئته)، ويشعر فيها بسعادة مع نفسه، ومع الآخرين ، ويكون قادرًا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكانياته إلى أقصى حد ممكن ويكون قادرًا على مواجهة مطالب الحياة، وتكون شخصيته متكاملة سوية ، ويكون سلوكه عاديًا ، بحيث يعيش في سلامة وسلام .

والصحة النفسية حالة إيجابية تتضمن التمتع بصحة العقل والجسم، وليست مجرد غياب أو الخلوّ أو البرء من أعراض المرض النفسي» [(١)].

ولقد كان للمادة الفكرية والثقافية المعروضة في وسائل ثقافة الطفل، وخاصة وسائل الإعلام، آثار تضر بالصحة النفسية للطفل، وتعرضها للخطر، ومنها ما يأتي :

(١) الصحة النفسية والعلاج النفسي . تأليف د/ حامد عبد السلام زهران ص٩ . عالم الكتب . القاهرة ط الثانية ١٩٧٨.

١ ـ الخوف والقلق عند بعض الأطفال:

وأعني بالخوف هنا: الخوف المرضي، أو ما يسميه علماء الصحة النفسية «الخواف» أو الـ «فوبيا» وهو خوف مرضي دائم من وضع أو موضوع (شخص أو شيء أو موقف أو فعل أو مكان) غير مخيف بطبيعته، ولا يستند إلى أساس واقعي ، ولا يمكن ضبطه أو التخلص منه أو السيطرة عليه ، ويعرف المريض أنه غير منطقي ، ورغم هذا فإن الخوف يتملكه ويحكم سلوكه ، ويصاحبه القلق والعصابية والسلوك القهري .

وهناك فرق بين الخوف (العادي) وبين (الخوف المرضي) ، فالخوف العادي غريزة، وهو حالة يحسها كل إنسان في حياته العادية حين يخاف مما يخيف فعلاً، مثل حيوان مفترس حين يشعر باقترابه ينفعل ويخاف ويقلق ويسلك سلوكًا ضروريًا للمحافظة على الحياة هو الهرب، فالخوف العادي إذن هو خوف موضوعي أو حقيقي (من خطر حقيقي)، أما (الخوف المرضي) فهو خوف شاذ ودائم ومتكرر ومتضخم مما لا يخيف في العادة ، ولا يعرف المريض له سببًا . وقد يكون الخواف عامًا غير محدد ، وهميًا أو غير حسي ، كالخوف المرضى من الموت ، أو العفاريت .. إلخ » [١].

وأما القلق فهو حالة توتر شامل ومستمر نتيجة توقع تهديد خطر فعلي أو رمزي قد يحدث ، ويصحبها خوف غامض ، وأعراض نفسية حسية .

ويمكن اعتبار القلق انفعالاً مركبًا من الخوف وتوقع التهديد والخطر [٢].

ولا ريب في أن الخوف والقلق على هذا النح ، يعدان مصدر خطر

---

(١) السابق ص٤١٧ ، ٤١٨.

(٢) السابق ص ٣٩٧ .

وضرر على صحة الطفل النفسية والجسمية ، وعلى كل تصرفاته إذ «إن الأطفال الذين تتملكهم كل هذه المخاوف من أشياء عديدة معرضون للتصرف بعصبية عندما يتقدمون للامتحان ، أو عندما يطلب منهم في الفصل أن يكتبوا ، أو يشتركوا في ألعاب المدرسة .. وهذا الطفل العصبي يعاني أيضًا من أعراض خوف جسمانية عندما يتواجد مع أطفال أكثر عدوانية ومع الراشدين ذوي السلطة .. وعندما يشاهد شخصًا مصابًا أو دمًا ، قد يشحب لونه أو يرتجف أو يتقيأ أو يغمى عليه .

ومن الظواهر الشائعة في هؤلاء الأطفال تضرج الوجه [(١)]، والتوتر الظاهر ، والتنقل بين الاسترخاء والتوتر ، ضعف لا سبب له ، غثيان ، أرق ، سلس بول ، إجهاد ، دوار ، عدم التحكم في الإخراج» [(٢)].

«وإن الطفل لا يستطيع أن يكون شخصية إيجابية إذا كان يعيش تحت ضغط شديد من الخوف، إنه عندما يشعر بالعجز عن مواجهة مخاوفه فإنه يتوقف عن مواصلة جهوده نحو التعلم ويحجم عن القيام بأنشطة بسبب التوترات المتولدة ، وإن المخاوف الحقيقية والوهمية للأطفال كثيرًا ما تكون أقوى من مخاوف الراشدين .. إن خيالهم الحي النشط يمكن أن يخلق الكثير من المخاوف التي تثير الرعب في نفوسهم» [(٣)].

هذا ، وإن لمخاوف الأطفال أسبابًا كثيرة ومتنوعة ، ومن هذه الأسباب وأخطرها ما تتضمنه كثير من وسائل الإعلام من أفكار غير سليمة، وخرافات، وما تروج له من روايات العنف والشر والجريمة ، وقصص الرعب ، فكل هذا

---

(١) تضرج الخد : أحمد . المعجم الوسيط ١/ ٥٥٧ .

(٢) الطفل ، تنشئته وحاجاته ، د./ هدى محمد قناوي ص٢٣٨ . (بدون دار وتاريخ النشر) .

(٣) السابق ص٢٤١ .

ونحوه يضر بالطفل ضررًا نفسيًا بالغًا ، ويزيد من مخاوفه وقلقه .

ومن أمثلة ذلك: «حالة طفل في السادسة من عمره شاهد مع أسرته في برنامج تليفزيوني جزءًا من مسرحية (حواء الساعة ١٢) وفيها منظر حضور روح الزوجة المتوفاة عند إطفاء النور بعد منتصف الليل، والمسرحية كوميدية، إلا أن الطفل لم يفهمها لصغر سنه ، ونام قبل أن تنتهي المسرحية ظانًا أن أرواح الموتى تعود وتزور أقاربهم ، وفي الليلة التالية ولعدة ليالٍ ظل الطفل لا ينام إلا والغرفة مضاءة على غير عادته ... وبمناقشة الطفل تبين التأثير السيئ لما شاهده في التليفزيون ..» [(١)].

ولعل من المفيد أن أذكر هنا مقتطفات مما كتبه أحد المتخصصين في مجال الأمراض النفسية ، فيما نحن بصدده ، إذ يتحدث عن المخاوف التي تثيرها قصص الجنيات ونحوها فيقول :

وغالبًا ما يخلط الأطفال في سن ما قبل المدرسة والأطفال الصغار في سن المدرسة بين الخيال والواقع ، وقد يخافون من أن تأتي الساحرة الرهيبة وتختطفهم ، أو تجعلهم ينامون مئة عام ، أو أن تمارس إحدى حيلها القذرة عليهم ، وبالطبع فإن قصص الجنيات لا تخيف كل الأطفال ، ولكن يجب أن تجنب الأطفال الأكثر حساسية والقلقين قراءة القصص المرعبة .

إن مشاهدة الرعب تؤثر تأثيرًا أقوى بكثير وأسوأ بكثير على الأطفال، والعديد من برامج التليفزيون يخلق خوفًا وقلقًا شديدين في الأطفال في سن

---

(١) طفلك الصغير هل هو مشكلة ، محمد كامل عبد الصمد ، ص١٠٢ هامش ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط. الأولى ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م . نقلاً عن د/ ملاك جرجس في سلسلته : مشاكل الطفل النفسية .

ما قبل المدرسة ، وفي أطفال الصف الأول الابتدائي [1].

ويتحدث عن المخاوف التي يثيرها التليفزيون فيقول:

وقد كشف البحث العلمي عن أن الأطفال الذين يقضون وقتًا طويلاً في مشاهدة التليفزيون يعانون قلقاً أشد ومخاوف أكثر وأشد من الأطفال الذين يقضون وقتًا قليلاً أمام التليفزيون ، بما يعرضه من قصص إجرامية ومرعبة .

فكم من طفل خاف من الذهاب للنوم بعد مشاهدة العنف على شاشة التليفزيون ، فإذا كان كل هذا صحيحًا ، كما يعتقد الطفل ، فكيف يطمئن إلى أن العنف الذي رآه لن يوجه إليه وإلى عائلته ؟

وتكشف الدراسات العلمية عن أن العديد من برامج التليفزيون تعلم المراهقين ومن يصغرونهم السلوك العنيف ، بل إن الضرر الأكبر يقع على الأطفال الأصغر سنًا الذين يأخذون ما يرونه على شاشة التليفزيون بصورة حرفية ويشاهدون برامج العنف برعب شل كيانهم ، ولا يوجد أدنى شك في أن العنف على شاشة التليفزيون لا يزيد من المخاوف فحسب ، وإنما أيضًا يؤدي إلى إضعاف الكفوف التي تكبح جماح السلوك العدواني ، وتوجد عدة مقالات عن العدوانية «في دائرة المعارف الدولية للطب النفسي» وعلم النفس والتحليل النفسي وعلم الأعصاب «تقدم الدليل الموضوعي القاطع على أن الأطفال الصغار يتملكهم الخوف وتنشأ لديهم اضطرابات النوم والكوابيس «بينما يصبح الأطفال الأكبر سنًا والمراهقون جامحين في سلوكهم الاجتماعي وإن انعدام الخوف مثله كمثل

---

(١) مخاوف الأطفال بـ وولمان . ترجمة د/ محمد عبد الظاهر الطيب ص١٦٩. مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . ط الثانية ١٩٩١م .

الخوف الزائد عن الحد ، فكلاهما يؤدي إلى سلوك غير سوي [(١)].

ثم يقول في الختام : إن الغالبية العظمى من الأطفال الذين لا يشعرون بدافع إلى مهاجمة الأبرياء من الناس بعد مشاهدة التليفزيون ، يبدؤون ـ بدلاً من ذلك ـ في الاعتقاد بأنهم هدف سهل للمختطفين ورجال العصابات والقتلة ، وعلى أي حال فالمجرمون موجودون في كل مكان ـ على شاشة التليفزيون ـ ويهاجمون الناس دون خشية عقاب . ولا عجب إذن ، أن الكثير من أطفال يشعرون بعدم الأمان حتى في بيوتهم وينشأ لديهم قلق شديد [(٢)].

وتقول الدكتورة ماري برستون الأستاذ بجامعة ستياتفورد : إن مشاهدة التمثيليات العنيفة زادت كثيرًا من الحالات العصبية عند الأطفال ، وعودتهم قضم أظافرهم ، وسببت لهم اضطرابًا في النوم ، وإحساسًا بالفزع وتحجرًا في القلب [(٣)].

وقد قامت مربية ألمانية بجمع أقوال صغار الأطفال والأحداث في إحدى المدن الألمانية حول الأفلام التي تحظر عليهم مشاهدتها وما يجتذبهم إليها، وقد ذكر أطفال صغار أنهم يخفون وجوههم بالوسادة ليتجنبوا مشاهدة المناظر الوحشية . وقالت فتاة صغيرة : إنني أغمض عيني وأترك فتحة صغيرة وقد أجاب معظمهم عند سؤالهم عن سبب مشاهدتهم للأفلام المرعبة رغم ما تثيره في نفوسهم من خوف وهلع بأن قيام الوالدين بعرض

---

(١) السابق ص ٢١١.

(٢) السابق ص ٢١٢.

(٣) الخدمات التوجيهية المقدمة للطفل المسلم . د./ نجيب الكيلاني ، بحث منشور ضمن بحوث حلقة رعاية الطفولة في الإسلام (أبو ظبي ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) بإشراف منظمة المؤتمر الإسلامي ص٣٤٧ طبعة عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

تلك الأفلام هو السبب . أما الدافع الثاني فهو الشعور بالملل . كما أن التلاميذ في الصفوف الابتدائية يشاهدون الأفلام المرعبة لأن الوالدين والأصدقاء يشاهدونها وكذلك بسبب الملل وحب الاستطلاع والتسلية والاستمتاع .

وتذكر ممرضة للأطفال في أحد المستشفيات المخصصة لمعالجة المصابين في الحوادث أن الأطفال يتعرضون لكوابيس تعذبهم عندما يدخلون مرحلة الصحو من واقع الصدمة أو من المخدر ، فهم يصرخون ويضربون بأيديهم وأرجلهم ويبكون بكاءً مرًا، ويصيح أحدهم : «أخرجوني من القبر» مما يظهر بوضوح أن كثيرًا من الأطفال لا يتخلص من الآثار السلبية للأفلام المرعبة التي يشاهدونها في البرامج التليفزيونية أو في أفلام الفيديو [1].

أما بعد: فهل آن للقائمين على وسائل ثقافة الطفل عمومًا، ووسائل الإعلام خصوصًا «أن يعلموا أن ألد أعداء بناء الشخصية السوية هو الخوف» [2]، فيعملوا على تجنيب الطفل دواعيَه ومثيراته؟

٢ ـ انعدام الخوف وتولد الغلظة في المشاعر، وتبلد الأحاسيس لدى بعض الأطفال:

وإذا كانت روايات العنف والجريمة تعرض كثيرين من الأطفال إلى المخاوف المرضية والقلق ، على نحو ما سبق؛ فإن تكرار مشاهدتها أو قراءتها لفترات أطول ، خاصة من جانب الأطفال الذين هم في الطفولة المتأخرة أو المراهقة ، يؤدي إلى العكس ، إذ يولد عدم الخوف والغلظة في

---

(١) بصمات على ولدي . ص٢٤ نقلاً عن مجلة البراق (الكويتية) ص٤٨ . يناير ١٩٨٨م .

(٢) الطفل تنشئته وحاجاته ص ٢٤٢.

المشاعر والجنوح في السلوك عند كثير منهم ، وهذا يعد مرضًا لا يستهان به كما أكد ذلك علماء النفس ، وقد مر بنا منذ قليل ، ما ذكره أحد الإحصائيين النفسيين من أن انعدام الخوف مثله كمثل الخوف الزائد عن الحد ، فكلاهما يؤدي إلى سلوك غير سوي .

«ويذهب بعض علماء النفس أيضًا إلى أن المسلسلات العنيفة والبرامج البوليسية تخلق في النشء شعورًا بالبلادة وعدم المبالاة ، وينجم عن ذلك نوع من الشلل في الإحساس ، والقيام بردود أفعال غليظة بعيدة عن أي شفقة أو تعاطف» (١).

وهذا التأثير يتراكم ، ويمتد آثاره في حياة الطفل إلى ما بعد البلوغ ، فقد «اتضح من دراسة طويلة الأمد ، أجريت على أطفال في التاسعة من أعمارهم لمعرفة مقدار شغفهم بالأفلام المرعبة ، أن الذين كانوا مولعين بمشاهدة ذلك النوع من الأفلام قد أصبحوا بعد عشرة أعوام ممن يتصفون بالميول العدوانية» (٢).

هذا ، ولقد تكلمت بشيء من التفصيل حول جنوح الأطفال نحو العنف والجريمة ، في المبحث السابق ، فأكتفي هنا بهذه الإشارة ، لارتباط الكلام هنا بما ذكرت هناك.

٣ ـ تعريض بعض الأطفال للإصابة بمرض الفصام:

و «الفصام مرض ذهاني يؤدي إلى عدم انتظام الشخصية وإلى تدهورها التاريخي ، ومن خصائصه الانفصام عن العالم الواقعي الخارجي ، وانفصام

---

(١) الإعلام والبيت المسلم ص١١٧.

(٢) بصمات على ولدى ص٢٥ .

الوصلات النفسية العادية في السلوك ، والمريض يعيش في عالم خاص بعيدًا عن الواقع ، وكأنه في حلم مستمر ، والمعنى الحرفي للمصطلح الإنجليزي هو انفصام العقل .

ويعرف الفصام أحيانًا باسم «انفصام الشخصية» أي تشتت وتناثر مكوناتها وأجزائها ، فقد يصبح التفكير والانفعال كل في واد» [١].

والفصام أنماط وأصناف ، ومن أصنافه : «فصام الطفولة : حيث تظهر أعراض الفصام قبل البلوغ ، ويبدو فيه اضطراب وفشل نمو الشخصية والنكوص الطفولي الشديد» .

«وتظهر معظم حالات الفصام عادة بين سن ١٥ ـ ٣٠ سنة ، وتصل إلى أقصاها في أواخر العقد الثالث من العمر ، ومن ثم كان يسمى قديمًا خبل الشباب أو جنون المراهقة أو الخبل المبكر» [٢].

ويذكر علماء النفس للفصام أسبابًا كثيرة ، ومنها التغيرات الثقافية والحضارية الشديدة ، مثل التغيرات التي تصاحب الهجرة إلى بيئة ثقافية مختلفة دون استعداد نفسي لذلك ، وقد لاحظ العلماء أن الذين يهاجرون إلى بيئات وثقافات مختلفة اختلافًا كبيرًا عن بيئاتهم وثقافاتهم التي هاجروا منها يكونون أكثر عرضة للإصابة بهذا المرض [٣] وإن وقوع المرء بين تيارين ثقافين متناقضين ، كل منهما يجتذبه ، وتعرضه للازدواجية في المضمون الفكري والثقافي ، يجعله عرضة لأن يعيش حالة من الصراع النفسي ، خاصة إذا كان ضعيف الإدراك ، قليل التمييز ، وليست لديه

---

(١) الصحة النفسية والعلاج النفسي ص ٤٥٠.

(٢) السابق ص ٤٥١ .

(٣) السابق ص ٤٥٢ ـ ٤٥٤ بتصرف واختصار .

القدرة على ترجيح أحدهما على الآخر .

ولو نظرنا إلى واقع الطفل المسلم اليوم ألفيناه يعيش تناقضًا كبيرا بين تيارين ثقافيين، أحدهما متمثل في الثقافة الإسلامية الأصيلة ، والآخر متمثل في الثقافة الأجنبية الداخلية ، وكلاهما يجتذبه فهو يجد ـ على سبيل المثال ـ في المسجد توجيهًا نابعًا من الثقافة الإسلامية ، وفي البيت كذلك، بينما يجد في وسائل الإعلام التغريبية العكس .

فمثلاً الطفل يجد في المسجد من يعلمه هَدْي الشرع الحنيف، ومكارم الأخلاق، ويجد في البيت من يوجهه إلى الابتعاد عن التدخين، وأنه سلوك غير سويّ، فإذا يمم وجهه نحو وسائل الإعلام، أو بعض النماذج المتغربة، أو غير الملتزمة في المجتمع ، وجد العكس، كالإشادة بالتبرج ، والدعوة إلى الاختلاط المستهتر، وعدم إنكار شرب الخمور، والتدخين ، بل قد يجلس أمام التليفزيون فيجد توجيهًا إسلاميًّا ، ودعوة إلى خلق ما من فضائل الأخلاق، وفي نفس الجلسة ، يجد توجيهًا معاكسًا ، ودعوة مناقضة، فكيف يوفق الطفل المسكين بين هذا التناقض الخطير ؟!

«تشتكي إحدى الأمهات بمرارة:

(تسألني صغيرتي عن الممثلة (الفلانية) : هل سيدخلها الله إلى النار ـ أم إلى الجنة ؟ ! إن قلت إلى الجنة فستصبح قدوة ، وإن قلت إلى النار فستقول صغيرتي : ولكنها جميلة ومحبوبة ، وإن قلت : لا أعرف سأترك صغيرتي في حيرة !!!

لم يكن أمامي إلا القول: إنها مسلمة ، ولكنها لا تطيع الله ﷻ في أفعالها، فأفعالها حرام ، ولكن عسى الله أن يهديها ، ورحت أتعمد تلهية صغيرتي لكي لا ترى ذلك البرنامج مرة أخرى) .

وقد ذكر أحد العلماء أن التليفزيون يروج لعملية التربية الموازية والمضادة لعمليات التربية التي تقوم بها المدرسة والأسرة ودور العبادة، وإذا كانت مهمة المدارس تربية الذوق وترقية المدارك وإعلاء الغرائز، بالتضافر مع الأسر؛ فإن التليفزيون يعمل في اتجاه عكسيٍّ تمامًا» [١].

وهكذا يعيش الطفل المسلم تناقضًا في القيم ، ويتعرض لصراع بين ما ربى عليه ضميره ، وبين ما يراد له أن يصاغ عليه عقله ، فإلى متى ، ولمصلحة من يستمر هذا القضاء على شخصيته ، والأضرار بكيانه النفسيّ ؟

٤ ـ إفساد واقعية الأطفال:

ومن الأمور التي تلاحظ بكثرة في وسائل ثقافة الطفل ـ خاصة وسائل الإعلام ـ ما نراه من عرض مشاهد ، أو ذكر أحداث تتنافى مع الواقعية، وتتعارض مع سنن الله في الكون والتي من بينها ترتيب النتائج على المقدمات ، وارتباط كل سبب بمسببه وهكذا ، حيث إن ما يعرض في أفلام الكرتون ، وما تغص به كثير من القصص والروايات مغرق في الخيال واللاواقعية ، الأمر الذي يصرف الطفل عن حقائق الواقع ، ويدفعه إلى عالم خيالي مريض ، ويؤثر سلبًا على تصرفاته في الحياة العلمية ، ويقعد به عن المثابرة وبذل الجهد لبلوغ أهدافه ، وتحقيق مطامحه .

ويتحدث الأديب الدكتور نجيب الكيلاني عن بعض النماذج الفكرية المقدمة للطفل، ذات الصلة بما نحن بصدده ، وما يمكن أن ينتج عنها من آثار تربوية ضارة ، فيقول :

---

(١) بصمات علي ولدى ص٣٤ ، ٣٥ بتصرف ، وانظر كذلك ص٣٧ ، أثر وسائل الإعلام على الطفل ، د/ صالح دياب هندي ، ص٤٣.

إن قصص علاء الدين ، ومصباحه السحري ، لا تناسب الطفل المسلم ، ولا تنمي نوازع الجد والاجتهاد فيه ، وماذا تكون نتيجة ما يقرؤه أو يسمعه الطفل وهو يرى «الجني» يقول :

شبّيك ..... لبيك ..... أنا عبدك وبين يديك ، ثم يحضر لعلاء الدين ما يعشق من مال أو جواهر أو قصور في غمضة عين ؟؟

أليس أجدي من ذلك كله أن نعلم الطفل كيف يجد الإنسان ويعرق ويتعب وهو يبحث عن منجم من الذهب بدلاً من أن يقدم له ذلك الذهب ـ في غمضة عين ـ على طبق من فضة ؟؟ وقس على ذلك ما تحفل به القصص من مصادفات غريبة تتمثل في أوراق «اليانصيب» والثروات التي تهبط فجأة من وصية ثري مات ، أو هبة سخية يجود بها صاحب جاه أو سلطان ، أو كنز مدفون في الأرض ؟؟ أليس من الأفضل أن نعلمه كيف أن الجبال عرضت على رسول الله ﷺ أن تكون ذهبًا فأبى[1] ، وأن أنبياء الله كانوا يأكلون من كدّ يدهم ، وأن تلك الأوهام التي تصور الإثراء السهل المباغت ليست هي القاعدة في الحياة ؟؟ وأن السعادة الحقيقية في الجهاد والدأب ، وفي التضحية والإيثار ، وفي أداء الواجب وخدمة المجتمع ، ومساعدة المحزونين والمتألمين والمحتاجين ؟ [2].

---

(١) جاء هذا في حديث أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال : **«عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ، فقلت : لا يا رب ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا ـ وقال ثلاثًا أو نحو هذا ـ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك»** أخرجه الترمذي ، ك الزهد ، ب ما جاء في الكفاف والصبر عليه جـ٥ ، ص ٥٧٥ رقم ٢٣٤٧ وقال : «هذا حديث حسن» ، ورواه أحمد، الفتح الرباني ، ك الزهد ، ب الترغيب في الزهد في الدنيا ، جـ ١٩ ، ص١٠١.

(٢) أدب الأطفال في ضوء الإسلام ، د./ نجيب الكيلاني ، ص١١٨ ، ١١٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط .الثالثة ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

إن مثل هذه الأفكار اللا واقعية «تؤدي في النهاية إلى تعطيل الذهن وشلل الفكر .. وعرقلة مسار العقل .. وإطلاق العِنان للأخيلة المريضة والأشباح الهزيلة .. وكيف نقنع أبناءنا بعد ذلك بجدوى الاقتصاد وأهمية إنكار الذات .. وقيمة الصبر ... وفائدة العمل ... وضرورة ضبط النفس وبذل الجهد والمثابرة والتخطيط في الحياة لبلوغ أهداف سامية وغايات رفيعة وتحقيق مثل عليا؟» [١].

*****

(١) بصمات علي ولدى ص٣٠ ، ٣١، نقلاً عن الإعلام الإذاعي والتليفزيوني ص٢٤٠ ، ٢٤١.

المبحث الخامس

آثار أخرى متفرقة

وفي هذا المبحث أشير إلى بعض الآثار الأخرى ذات الخطورة البالغة، مع ملاحظة أنها غير منفصلة عما سبقت الإشارة إليه من آثار في المباحث السابقة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً : الجهل بكثير من جوانب الثقافة الإسلامية :

ولقد غرق كثير من النشء المسلم في مستنقع الجهل ، فصاروا يجهلون أمورًا كثيرة من جوانب الثقافة الإسلامية ، وهي أمور لا ينبغي أن تجهل أو توارى عن مسلم ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، ومن أمثلة ذلك :

أ ـ الجهل بأمور الدين من عقيدة وعبادات وآداب ونحوها : حيث يوجد كثير من الأطفال يجهلون كثيرًا من حقائق العقيدة الإسلامية ، ولا يعرفون إلا معلومات قليلة عنها ، وقد فاتهم الإحاطة بكثير مما كان يجب ألا يفوتهم معرفته منها ، وكذلك الحال في أمور العبادات الشرعية وآداب الإسلام وأخلاقه ، كالآداب الاجتماعية المتعلقة بالطعام والشراب والعطاس والتحية ، والآداب الأخرى مثل آداب النوم والاستيقاظ والركوب ، فضلاً عن معرفة الأذكار المأثورة في أحوال متفرقة مثل المرض ونزول المطر ، وكذلك الجهل بقراءة القرآن الكريم على الوجه الصحيح .. كل هذه الأمور وأمثالها حرم من معرفتها جماهير عريضة من أبناء المسلمين، من الذين وقعوا فريسة ، و أسارى لأجهزة ووسائل الغزو الفكري المعادي .

بل إن هناك بعض البلاد الإسلامية ، مثل بلدان أفريقيا ، قد أطبق عليها

جهل فاحش ، غدت معه وفي ظله لا تعرف الأبجديات عن أمور دينها ، كما يتضح هذا من رسالة بعث بها (إحسان حقي) مؤلف كتاب «أفريقية الحرة» ، إذ جاء فيها :

«وإذا كان المبشرون لم ينجحوا في تنصير المسلمين فإنهم قد نجحوا بلا شك في إقصائهم عن دينهم بما فرضوه عليهم من نظام تجهيل وإبعاد عن البلاد الإسلامية ، حتى جعلوا كثيرًا منهم يجهلون دينهم ، وحتى صار فريق منهم يجهل أنه مسلم ، وهو يمارس الأحكام الإسلامية أو بعضها ، وقد غادر المستعمرون البلاد بأجسامهم بعد أن طبعوها بأفكارهم ومبادئهم ولغتهم أيضًا» [(١)].

ومما يؤسف له أن نظم التعليم والثقافة والإعلام في كثير من الأقطار الإسلامية وقعت في سياسة تجهيل المسلم صغيرًا كان أو كبيرًا بأمور دينه، بل إن بعضها يوغل في هذه السياسة يومًا بعد يوم، فإلى الله المشتكى.

ومما يدعو للغرابة حقًا ، أن هذا التجهيل يكاد يكون مقصورًا على أبناء المسلمين فقط ، حيال أمور دينهم ، ولا يراد له أن يكون إلا في بلاد المسلمين ، في حين أن كثيرين من غير المسلمين يبدون حريصين كل الحرص على إحاطة أجيالهم الناشئة بمعتقداتهم ومذاهبهم إحاطة تامة منذ الصغر ، كما يلاحظ هذا في البلاد الشيوعية ، خاصة فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي البائد ، وكما هو الحال لدى اليهود [(٢)]، وغيرهم من شعوب الأرض ، فإلى متى يستمر هذا الوضع الخطير في بلاد المسلمين ،

---

(١) مأساتنا في أفريقيا ، عماد الدين خليل ص٨٠ ، ٨١ ، نقلاً عن : المسلمون ـ المجلد التاسع ـ عدد : ٥.

(٢) للاستزادة في هذه الجزئية ، يراجع : وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص٩٠ وما بعدها .

الذي لا يخدم إلا أعداءنا الذين يتربصون بنا الدوائر ؟!

ب ـ الجهل بالتاريخ الإسلامي:

وكيف لا يجهل أبناؤنا التاريخ الإسلامي ، في ظل المؤامرة الخطيرة عليه ، والتي من مظاهرها عدم إتاحة الفرصة للطفل المسلم ليتعرف على هذا التاريخ ، وشغله بدلاً من دراسته ، بدراسة غيره من تاريخ لا يمت إلى الأمة الإسلامية بصلة ، مثل إفساح المجال على آخره لدراسة تاريخ الفراعنة في كل المراحل التعليمية إلى ما قبل الجامعة ، وتاريخ الأوروبيين، مع تقليص مساحة تدريس التاريخ الإسلامي في مقابل هذا الأمر، لدرجة أن ذكر بعض الباحثين بعد دراسة عن تطوير مناهج التعليم في مصر في السنوات القليلة الماضية أنه «قد تقلصت مناهج التاريخ الإسلامي حتى أصبح مجموع ما يدرسه الطالب طوال سنوات تعليمه من الابتدائي حتى تخرجه من الجامعة ، هو ٤٠ صفحة فقط مقررة على الصف الثاني الإعدادي»[1].

وفي ظل المؤامرة على التاريخ الإسلامي أصبح الطفل المسلم يجهل الكثير والكثير عن حاضر العالم الإسلامي، بل هناك أقطار وشعوب مسلمة بكاملها ، لا يعرف أبناؤنا مجرد اسمها ، فكيف يتصور أن يتواصلوا معها ، ويعيشوا همومها وآلامها !

إن هذا الواقع محزن، وإنه لمن المؤسف أن يقع هذا في أمة كان سلفها يعلمون أبناءهم السير والمغازي كما يعلمونهم السورة من القرآن، وإن من يشارك في تلك المؤامرة، ويساعد في إحكامها، عليه أن يتوب إلى الله، ويقلع عن هذا الجرم، وإلا فعليه وِزْر عظيم.

---

(١) فتنة في الأرض وفساد كبير ، فهمي هويدي ، مقال بجريدة الخليج ، مرجع سابق .

هذا ، وفي مقابل جهل كثير من أبنائنا بالتاريخ ، وأمور الدين من شريعة وعقيدة ، وآداب وغيرها ، يلاحظ أن كثيرًا منهم ، يعرفون عن الممثلين والمغنيين والراقصين ، رجالاً ونساء ، محليين وأجانب ، وحياتهم الشخصية، وطرائق عيشهم وعدد مرات طلاقهم وزوجاتهم ، ونحو هذه من الأمور ، ما لا يعرفون معشاره عن جوانب الثقافة الإسلامية ـ كما أسلفت ـ ولا عن جوانب المعرفة في شتى العلوم ، فنسأل الله أن يرزقهم العلم النافع ، ويهيئ لهم أسبابه .

ثانيًا : تحريف كثير من المفاهيم لدى الطفل المسلم :

وكان من آثار الغزو الفكري الخبيثة أن كثيرًا من الحقائق والمفاهيم الإسلامية والتاريخية والفكرية وغيرها، أصابها التحريف لدى الطفل المسلم، ومن صور ذلك على سبيل المثال ما يلي:

أ ـ مفاهيم القومية والوطنية ونحوهما: حيث غدا كثير من النشء يفهمونهما بالمعنى الضيق الذي يجعل الأمة شيعًا وأحزابًا، وعناصر وأعراقًا، من غير اعتبار لعنصر الدين الإسلامي الذي يجب ألا يكون لمثل هذه المفاهيم العلمانية وجود معه وفي ظل مبادئه الغرّاء.

ب ـ قضية فلسطين : وحقيقة الصراع بيننا وبين اليهود ، إذ أريد للنشء أن ينظروا إليها مجردة عن الإسلام ، وعلى أنه صراع بين القومية العربية، وبين إسرائيل، وأن السعي لاستنقاذ فلسطين ، إنما هو لأنها أرض عربية محضة ، في حين أن اليهود يعتبرون الصراع دينيًّا عقائديًا ، ويربون شعبهم على هذه الحقيقة ، صغارًا وكبارًا .

جـ ـ تحريف كثير من الحقائق المتعلقة بالتاريخ الإسلامي: مثل تكون صورة شائهة محرفة عن الخلافة العثمانية لدى النشء، وأنها كانت استعمارًا،

وكانت شرًّا محضًا استراح منه العرب ، كما استراحوا من أرزاء الاستعمار الأوربي.

د ـ تكوّن مفاهيم خاطئة حول الإسلام من حيث كونه دينًا ودولة:

فقد حرص أرباب الغزو الفكري وأتباعهم على تكريس المفهوم العلماني في نفوس الأجيال عبر وسائل الثقافة، الأمر الذي حال بين كثير منهم وبين فهم الإسلام فهمًا شموليًا، حسب ما شرعه الله، وكما جاء به رسول الله ﷺ، وطبقه هو والمسلمون الأولون .

هـ ـ ومن المفاهيم المغشوشة التي أريد لها أن تتعمق في نفوس أبناء الأمة صغارًا كانوا أو كبارًا ؛ خلع الصفة الإسلامية عن منطقة الشرق الإسلامي وتجريدها من هذه الصبغة ، حتى صار السواد الأعظم يعرفها بمنطقة الشرق الأوسط، «وهو تعبير ماكر من تعبيرات الغزو الفكري يراد به إيجاد مكان لإسرائيل في المنطقة لا يثير الاستنكار ، فلو وصفت هذه المنطقة بأنها منطقة إسلامية ، فكيف توجد فيها إسرائيل ؟ ولو وصفت حتى بأنها عربية ، فكيف توجد فيها إسرائيل؟ أما حين تصبح منطقة «جغرافية» لا صفة لها ولا انتماء ، فإن وجود إسرائيل فيها يصبح أمرًا لا يثير الاستنكار!»[1].

و ـ **تحريف معنى البطولة** : واختلاط المفاهيم بشأنها لدى الطفل :

يقول الأستاذ يوسف العظم : ولعل من مآسي الإعلام العربي المنهزم، المسخ الذي أصاب معنى «البطولة» بحيث راح الجيل الجديد من البراعم المؤمنة يسألون وهم يعجبون :

---

(١) واقعنا المعاصر ص ٣٥٣ هامش .

ألستم تقولون لنا إن خالد بن الوليد وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي أبطال؟ إننا نسمع الإذاعة ونشاهد التلفاز ونقرأ الصحف وهي تعلن عن فيلم أبطاله فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وميشال شلهوب ... أو عمر الشريف كما يدعون !

ويضطرني مثل هذا المسخ الإعلامي الرهيب الذي لست أعرف مصدره إلى أن أوضح أنا وغيري للصغار الذين تبدو الحيرة في عيونهم ، الفرق بين الأبطال الأصلاء والأبطال الدخلاء ...

لقد اعتاد منتجو الأفلام الأجنبية أن يقدموا ممثليهم على الشاشة وقد سبقت أسماءهم كلمة «Star» بالإنجليزية وهي لا تعني بحال بطولة ، وإنما تعني «التلألؤ» أو اللمعان إذا صح التعبير ، أي أن هذا الممثل أو ذاك يلمع أو يتلألأ في مسلسل ما أو قصة مصورة على الشاشة .. فمن أين جاء الإعلام العربي بالبطولة يلصقها بفريق من الناس فيهم السكارى ومنهم المنحرفون ليختلط الأمر على الجيل الذي نربي، وهو يرانا نصف الأتقياء والأدعياء ، والأبرار والفجار معًا بصفة واحدة ، ونطلق على هؤلاء جميعًا لقبًا واحدًا في تضارب وتضاد !! [1].

ثالثًا : ضعف مستوى اللغة العربية وضياعها لدى كثير من الأطفال:

ولقد تأثر مستوى اللغة العربية عند أطفالنا تأثرًا ملحوظًا، ففي بعض المجتمعات هبط مستوى اللغة، وفي بعضها ماتت أو شوهت، ولقد أسهمت كثير من وسائل ثقافة الطفل في هذا التردي المرير الذي آلت إليه اللغة

---

(١) الإعلام العربي المعاصر وأثره في ضياع الجيل وهزيمة الأمة ، ضمن بحوث الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص٥١٧ ، ٥١٨ .

العربية لدى النشء المسلم.

«ويكاد يكون الإجماع تامًا على أن طريقة الكلام في البرامج .. ولغة التمثيليات تؤثر على الأطفال تأثيرًا بالغًا، فأسلوب الأداء في تقديم المواد الإذاعية مفعم بالعبارات الشاذة والألفاظ الدخيلة، فضلاً عن النطق المنحرف، وخاصة حينما تتشبه المذيعات بالنطق الأجنبي للحروف العربية الأصيلة .. كالضاد مثلاً .. ولا زالت عبارة (أعداء) النادي الدولي بدلاً من (أعضاء) تثير سخرية النقاد» [١].

وقد كان لوجود المربيات الأجنبيات بكثرة في بعض المجتمعات الإسلامية ، مثل منطقة الخليج، وغيرها، تأثير ملحوظ في هذا الأمر.

«وقد أثبتت الدراسات الميدانية القُطْرية أن المربية تحادث الطفل بلغتها، وتسمعه أغانيها وحكاياتها ، وهكذا يتمكن الطفل من لغة المربية على حساب اللغة العربية، وإذا حاولت المربية التحدث مع الطفل بلغة عربية خاطئة ، فإن الطفل يتعلم اللغة العربية بطريقة المربية ، وإن تحدثت بلغة إنجليزية ركيكة، تعلم الطفل اللغة الإنجليزية خالية من مضمونها ومحتواها ، وبلا قواعد ولا أصول» [٢]، حتى آل الأمر إلى اعوجاج لسان الأطفال في الخليج، وبلادٍ أخرى، وتفضيلهم للأفلام والأغاني والحكايات والأساطير الهندية أو غير العربية [٣].

ولا يغيب عن الذهن بهذا الخصوص ما قام به الاستعمار الغربي الحديث ، من جهود ومحاولات ما كرة بغية إضاعة أو إماتة اللغة العربية في

---

(١) بصمات علي ولدى ص٣٢ .

(٢) المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي ص٩٩ ، ١٠٠.

(٣) السابق بتصرف .

البلاد الإسلامية التي امتد إليها سلطانه ، وما نتج عن هذه المحاولات من تأثير سيئ على مستوى اللغة العربية في تلك الأقطار ، كما هو الحال في الجزائر ـ على سبيل المثال إذ صار الناس يتخاطبون بلغة لا علاقة لها بالعربية، بل وأحيانا يتخاطبون بالفرنسية ـ كما ذكر لي بعض من لقيت من أهلها ـ، ولولا جهود جبارة بذلها الدعاة المخلصون والعلماء العاملون هناك ، لماتت اللغة العربية ، ومثل الذي حدث في كثير من أقطار أفريقيا حيث اندثرت فيها اللغة العربية؛ ذلك أن الاستعمار لم يتركها إلا بعد أن طبعها بلغته ، ولذا «فقد اضطر أكثرها بعد الاستقلال أن تتخذ لغة المستعمر لغة لها (الإنكليزية والفرنسية) ، ومن مهازل الدهر أن يضيّع أكثر الأفارقة لغتهم العربية، وأفريقيا معقل هذه اللغة بما فيها من جامعات الأزهر والقرويين والزيتونة ...» [1].

رابعًا : إعجاب الطفل وانبهاره بالغرب ، على حساب احترامه لأمته :

وذلك أن كثيرًا من وسائل الثقافة لا تفتأ تزين له صورة الدول الغربية، وأنماط حياتها، وواقعها المزهر، بأساليب خلابة تجعله يزدري أمته وواقعها، «فلقد تبين من الدراسة التحليلية لمضمون عينة من المضمون الأجنبي المذاع في التليفزيون المصري خلال الفترة من أول مارس إلى نهاية مايو ١٩٧٩ أن القيم السلبية تشكل ٤٦,١٧٪ من مجموع القيم التي عكسها حيث يركز على دور الفرد بصفة أساسية دون النظر إلى المجموع، ويستخدم القسوة والعنف كوسيلة لحل الصراع، ويتعصب بشدة للمجتمع الأمريكي، حيث تعكس المسلسلات الأمريكية عظمة الأمريكي والمزايا التي يتمتع بها هذا

(١) مأساتنا في أفريقيا ص٨١ ، نقلاً عن جريدة (المسلمون) المجلد التاسع العدد : ٥ ، والكلام من رسالة بعث بها «إحسان حقي» .

الشعب، كما تظهر في شعوب الدول الأخرى في صورة سيئة، وتصفهم بالجهل والتأخر، وتزداد خطورة هذا المضمون الأجنبي من أنه قد يترك آثارًا بطرق غير مباشرة على المشاهدين ـ وبخاصة الأطفال ـ» [١].

وكذلك ذكر بعض الباحثين : «أن معظم الأفلام الخاصة بالأطفال» غير أفلام الكرتون والدمي «تحاول تصوير جوانب مشرقة للدول منتجة الفيلم، وهذا فيه فصل لأطفالنا عن واقعهم ، وربطهم بغرام الدول المنتجة للفيلم» [٢].

وجدير بالذكر أنه قد لوحظ أن هناك اتجاهًا يسري بقوة في مناهج التعليم الوطني، يرمي إلى تحسين صورة الغرب ولو أدى ذلك إلى التنفير من صورة الشرق الإسلامي، ومن الأمثلة على هذا ، واقع كتب «المعلومات والأنشطة البيئية» المقررة على تلاميذ المدارس الابتدائية، وهي كتب «تقوم على الرسوم الإيضاحية والصور ، تتضمن إيحاءات تنفر الطفل من نموذج ونمط حياته الشرقي ، بحيث يظل النموذج الغربي مستقرًا في وعيه باعتباره الأفضل والأمثل» .

وبعد أن عرض أحد الكتاب لدلائل مفصلة عما حوته تلك الكتب ومن خلال أمثلة من موضوعاتها، تؤكد الملاحظة المشار إليها، قال: «على ذلك النمط تمضي الكتب التي تسهم في تشكيل وعي الطفل في السنوات الأولى من التحاقه بسلم التعليم، إذ يشوه ذلك الوعي ويسممه بحيث ينمو نافرًا من بيئته ونموذجه الحضاري، ومتعلقًا ومبهورًا بالنموذج

---

(١) علاقة الطفل المصري بوسائل الاتصال ، د./ عاطف عدلي العبد ص٤٣ ، ٤٤ ، نقلاً عن : عدلي سيد محمد ، تدفق البرامج من الخارج في تليفزيون ج.م.ع. ص٢٠٥ ـ ٢١٣.

(٢) أثر وسائل الإعلام على الطفل ، أحمد محمد الزبادي ، وزميلاه ، ص٣٤ .

الأوروبي»[١].

«ومن هنا ينشأ وأنف أمته في الرغام ، محبًا لعدوه تلقائيًا ، كارهًا لبني قومه إيحائيًا ، مطلقًا عبارات الهزء والسخرية عندما يكبر يجرح بها أهله وينال بها من تراثه وعقيدته كلما لمس من صديق ما لا يروق له ، أو وقع مع صاحب في خلاف في الرأي أو السلوك أو مظاهر الحياة !» [٢].

خامسًا : ضعف روح التضحية والفداء لدى كثير من النشء :

ولقد انصرف كثير من النشء عن معاني التضحية، وخلت نفوسهم من روح الجهاد والفداء والإقدام، وصاروا بعيدين عن هذه المعاني، وأنّى لهم أن يعيشوها، ويتحققوا بها، في ظل المناهج الفكرية الغربية التي حاصرتهم من كل مكان، وهي مناهج استهدف واضعوها إخماد تلك الروح لدى الأجيال، بتوجيههم إلى الانشغال باللذات، والانغماس فيها، والانصراف عن عظائم الأمور، وقد خططوا لهذا الأمر بعناية فائقة.

ورحم الله إقبال [٣]، إذ قال: «لقد أفسد نظام التعليم الغربي الروح

---

(١) مقال : فتنة في الأرض وفساد كبير ، فهمي هويدي : بجريدة الخليج (مرجع سابق) .

(٢) أين محاضن الجيل المسلم ص٢٩ ، ط. جمعية الإصلاح بدبي ، وانظر الاتجاهات الوطنية ١/ ٢٥٩.

(٣) ولد محمد إقبال في سيالكوت، بإقليم البنجاب في ٢٢ فبراير ١٨٧٣م في عائلة كشميرية تعيش على الزراعة، وتعلم القرآن الكريم واللغة العربية في صغره، ثم حصل على شهادة ماجستير في الآداب عام ١٨٩٧ ثم حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة بعد أن قدم رسالته عن (تطور الفكرة العقلية بإيران)، وكان أديبًا شاعرًا، وفيلسوفًا وسياسيًا، وكتب مؤلفاته بثلاث لغات هي الأوردية والفارسية والإنجليزية، وهو أول من نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس، وبوجوب تكوين دولة خاصة بهم، ثم تحقق هذا الحلم بعد نضال مرير متواصل، بقيادة محمد علي جناح مؤسس دولة الباكستان، ولكن بعد سنوات من رحيل إقبال، وقد نادى بالوحدة الإسلامية التي أسماها القومية الإسلامية في مقابل القوميات الأوروبية. وقد ذكر أحد الباحثين أن أجداد إقبال كانوا من البراهمة، وأسلم أحدهم عند اتصاله بصوفي مسلم صادق، =

المعنوية في الشباب المسلم ، وجنى على رجولته ، فأصبح شبابًا رخوا رقيقًا ، ضائعًا ، أغيد [١]، لا يستطيع الجهاد ولا يحتمل المكروه» [٢].

لقد أريد لكثير من أبنائنا أن يُنشَّؤُوا على حب اللهو، والشهوات، والتمرغ في أوحالها، والانشغال بكثير من ضروب الباطل، فلم يكن غريبًا والحالة هذه أن تخبو معاني التضحية والبطولة الحقيقيةِ في حياتهم، وستظل هذه الحال الشؤمَى قائمة ما دامت وسائل ثقافة الطفل المسلم مباءة للغزو الفكر المعادي.

نسأل الله ـ تعالى ـ العافية، وأن يرحمنا برحمته الواسعة.

*****

= وفي ٢١ أبريل سنة ١٩٣٨م توفي إقبال، ودفن في لاهور. رحمه الله. بتصرف عن: الفكر الإسلامي الحديث، د./ محمد البهي ص٤٢٥ ، ٤٢٦ هامش ط. السادسة ١٩٧٣م، وجريدة الخليج الإماراتية العدد: ٥٠٩٣ ص٢٧ الأربعاء ٣٠ من شوال ١٤١٣هـ ٢١ من أبريل١٩٩٣م.

(١) **غَيِدًا غَيَدًا** : تمايل وتثنى في لين ونعومة ، فهو أغيَد وهي غيداء ، جمع غِيد ، المعجم الوسيط ٢/ ٦٩٢.

(٢) من التبعية إلى الأصالة ص٧٩.

الفصل الثاني

من آثار الغزو الفكري على الأمة والدعوة الإسلامية

المبحث الأول : **آثار على الأمة الإسلامية .**

المبحث الثاني : **آثار على الدعوة الإسلامية .**

المبحث الأول

آثار على الأمة الإسلامية

الأمة الإسلامية تتكون من مجموع المسلمين في العالم، حيث تربط بينهم عقيدة واحدة، فكل مَن يدين بـ «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، مِن الأفراد والمجتمعات إنما هو عنصر من عناصر هذه الأمة، فالرابط بين المسلمين جميعا هو الإيمان بالله ربًّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا، مهما اختلفت اللغات والأعراق والبلدان، وصدق الله القائل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢].

ويجب على المسلمين جميعا أن يتحدوا ويتآخوا فيما بينهم على ذلك الرابط الإيمانيّ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال جل شأنه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هذا؛ وقد ذكرت في الفصل السابق مجموعة من آثار الغزو الفكري على الطفل المسلم، وإن تلك الآثار في مجموعها ـ لا شك ـ تُعد ضارة بالأمة الإسلامية، وأضيف هنا آثارًا أخرى ضارة على الأمة، وذلك فيما يلي:

أولا: إضعاف قوة الأمة في مواجهة أعدائها:

لا تخلو الأمم والمجتمعات من أعداء ومناوئين لها، والأمة الإسلامية لها أعداء كثيرون، قد مثّلوا جبهة متحدة في مواجهتها، لا سيما مَن قال الله في شأنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ [الأنفال:٧٣]، وقد أصبحت أمتنا

اليوم في موقف ضعف وعجز، ووهن في ظل تكالب الأعداء من الشرق والغرب.

ولقد كان للغزو الفكري للطفل المسلم آثار ونتائج، أدت بدورها إلى إضعاف قوة الأمة، ومنها ما يأتي:

أ ـ تفكك وحدة الأمة نتيجة لاختلاف الفكر بين أبنائها : إذ كانت الأمة متحدة متماسكة ، لاتحاد الذي يجمع بين أبنائها ، وهو الفكر المصطبغ بصبغة الإسلام ، المرتبط بمبادئه وتعاليمه ، المبرأ من التبعية لأي فكر دخيل، حتى ضرب الغزو الفكري بجذوره في المجتمعات الإسلامية ، وتبعه أناس منا ، واصطبغوا به ، فصاروا غرباء عن أمتهم ، وأدى هذا إلى انثلام وحدتها ، ولا عجب في هذا ، فإن الفكر هو الذي يوحد ، ولا يمكن أن يتصور تماسك وتوحد مع اختلاف في التوجهات الفكرية ، وتباين في المبادئ والمعتقدات ، بل إن الأمر ـ عندئذ ـ لا يسلم من نشوء صراع فكري ، يودي بحياة الأمة ويذهب بريحها .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي :

وكلما استعير منهج من بلاد غير إسلامية ، أو اختيرت كتب وضعت في بلاد غير مسلمة ولناشئة غير مسلمة ، كان هذا المنهاج ، وكانت هذه الكتب قلقة نابية لا تفي ولا تساعد في المطلوب ، ويكون الصراع مستمرًا بين الفكر الإسلامي والروح الإسلامية وبين العقلية الجديدة ، والنفسية الجديدة التي تنشأ بتأثير هذه الكتب ومفعول هذا النظام التعليمي . وهذا الصراع ليس أقل شؤمًا لهذه الأمة ولا أقل جناية على حياتها وإسلامها ، من صراع الدين والسياسة والعقل والديانة في أوربا في قرونها الوسطى ، وقد تجلى هذا الصراع وعنف واستفحل في جميع الأقطار الإسلامية التي

أخذت العلوم الغربية برمتها والكتب المقررة في البلاد الأجنبية أو الكتب الخالية من روح الدين على علاتها وطبقت نظام أوربا أو بلاد أخرى في التعليم في بلادها أو أدخلت عليه شيئًا من التعديل ..

فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة ، واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء ، وشك وارتياب في الدين واستخفاف بفرائضه وواجباته ، وثورة على الآداب والأخلاق ، وضعف وانحطاط في الأخلاق والسيرة ، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر وتبذير للأموال على غير ذلك [١].

وهكذا يتبين لكل ذي عينين أن الغزو الفكري سبب كبير من أسباب تفكيك وتوهين الوحدة بين أجيال الأمة.

«وما لم يتوحد فكر هذا الجيل على أساس الإسلام، فلن يتوحد على مبادئ مستوردة من خلف البحار أو من وراء السهوب [٢]، غربية أو شرقية ، وسيبقى الصراع الفكري بين المثقفين يشتد حتى يعصف بهم ، وبمستقبل أمتهم ، ولن يحل أزمة المثقفين الفكرية في هذا العصر غير الفكر الإسلامي الأصيل الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة الدائمة .

ولذا فأحرى بدولنا ومثقفينا أن يجربوا تجربة العصر بتوحيد أمتهم عن طريق توحيد فكرهم على أساس الإسلام وتوحيد مناهج تربية أجيال الأمة في إطار الإسلام . وصدق الله العظيم : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً

---

(١) نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية والتعليم د/ إسحاق أحمد فرحان وآخرين ص٨ ، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ١٣٩٩هـ ١٩٧٧م ، نقلاً عن : أبو الحسن الندوى ، كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية ص٧ ، ٨ .

(٢) السهب : الفلاة ، ومن الأرض ما بَعُد منها واستوى في سهولة . المعجم الوسيط ١/ ٤٧٥.

﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢] [(١)].

ب ـ ضعف مشاعر الوحدة الإسلامية لدى كثير من أبناء الأمة:

ويضاف إلى ما سبق أمر آخر له دوره في إضعاف قوة الأمة ، ويتمثل في أن الخصوم قد استطاعوا أن يبذروا من الفكر ما أضعف مشاعر الوحدة لدى أبناء الأمة ، حيث ملؤوا الأجواء بدعاوى القوميات والعنصريات والعصبيات ، ونحوها من المفاهيم الجاهلية ، حتى طغت على مشاعر الوحدة التي كانت تستمد وجودها وحيويتها من العقيدة الإسلامية ، وفي ضوء تعاليم الإسلام ، وتوجيهات القرآن والسنة ، التي منها قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠] ، وقول الرسول ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**» [(٢)]، فانشغلت الأجيال الناشئة بما يمكن أن يسمى «الأصنام» الجديدة ، أعني القوميات ، حتى صار المسلم يفتن في دينه أو يصب عليه الأذى والاضطهاد في بلد ما ، دون أن يشعر بحاله ، أو يتحرك لنجدته ـ إذا شعر ـ أخوه المسلم الذي في البلد القريب منه !! وما كان شيء من هذا ليحدث ، لو لم تتربّ قطاعات كبيرة من الأجيال على مثل تلك الأفكار والمفاهيم الدخيلة الهدامة ، التي أوهنت مشاعر الوحدة في النفوس ، وخضدت [(٣)] شوكة الأمة .

جـ ـ غياب روح التضحية والفداء لدى كثير من الأجيال الناشئة:

وليس القصد أن أعيد الكلام هنا عن هذا الأثر الذي ذكرته من قبل،

---

(١) التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، د/ إسحاق أحمد فرحان ص١٠٢ ، ١٠٣ دار الفرقان ، عُمان ـ الأردن ـ ط الثالثة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

(٢) متفق عليه.

(٣) **خَضَدَ شوكة فلان** : كسر حدته ، فهو مخضود وخضيد ، المعجم الوسيط ٢٤٨/١.

ولكن أريد أن أشير إلى أنه من الآثار التي أضرت بقوة الأمة ، وهو أمر واضح ، فشتان بين أمة تخرجت أجيالها وتربت على التضحية والبذل، والتطلع إلى المعالي، وتروضت على مقارعة الخطوب، وبين أخرى لم يكن لأجيالها من هذه التربية والتنشئة وافر النصيب، وليكن معلومًا لنا أنه لا أمل في التفوق على عدونا ، والأجيال الناشئة على هذا الحال التي آلت إليها ، من الرخاوة والميوعة ، والانشغال عن عظائم الأمور بالتافه منها، ولا مخرج لنا إلا بتربية الأجيال على الرجولة، والتعالي على شهوات الدنيا ولذاتها، لأنه إذا استمرت هذه الحال من حب الدنيا والإخلاد إلى الأرض، ازداد طمع عدونا فينا، وتجرؤه علينا، غير هياب ولا وجِل.

وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ، فيما رواه ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابةَ منكم وليقذفنّ في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[1].

د ـ ضعف التفاهم بين كثير من أبناء الأمة ومجتمعاتها:

ولقد كان لضعف التفاهم بين كثير من أفراد الأمة ومجتمعاتها الأثر السيئ على قوتها وعافيتها ، وهذا الضعف في التفاهم كان إفرازًا خبيثًا

---

(١) أخرجه أبو داود ، ك الملاحم ، ب في تداعي الأمم على الإسلام جـ٤ ص١١١ رقم ٤٢٩٧ ، وأحمد ، الفتح الرباني ك الجهاد ، ب وعيد من ترك الجهاد في سبيل الله ﷻ جـ ١٤ ص٢٦ ، ك المدح والذم ، ب ما جاء في ذم الدنيا جـ١٩ ص٣١٣وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع جـ٢ ص ١٣٥٩ رقم ٨١٨٣ .

لمخططات الغزو الفكري ، ومرده إلى عوامل كثيرة ، أخص منها في هذا المقام : ضعف اللغة العربية ، أو ضياعها في كثير من المجتمعات ، فإن هذا ولا شك مما يضعف التفاهم بين الشعوب الإسلامية ، الأمر الذي يؤثر بدوره على قوتها كما ذكرت .

هـ ـ ضعف ولاء بعض النشء للأمة:

وإن من الأمور التي تعتبر ضرورة وأساسية لدى أبناء أية أمة أن يكون أبناؤها على ولاء كامل لها ، وتبرؤ كامل من عدوها ، وأن تحقق هذا الأمر، يعد رصيدًا مهمًّا ، يضاف إلى قوتها ، والعكس صحيح.

ومن الملاحظ ـ كما ذكرت من قبل ـ أنه قد اختلطت مفاهيم الموالاة والمعاداة لدى كثير من أبناء الأمة الإسلامية، حتى بلغ المآل من السوء أن صار بعض المسلمين يوالي أعداء أمته ، ويمنحهم وُدَّه وقربَه ، وكان هذا ـ بلا ريب ـ على حساب الولاء للأمة ، بل صار بعض أبناء المسلمين متعلقين بالغرب ، هائمين في حبه ، بينما انقطعت ـ أو وهَنت ـ صِلاتُهم بأمتهم، فهل يُنتظر من مثل هؤلاء أن يكونوا في صف الأمة وناصريها عند الشدائد؟! وهل يمكن أن يُعتبَروا عُدّة لها وذخيرة، تتقوى بهم في النوازل والنائبات؟!

ثانيًا: تأخير نهضة الأمة، وتعويق سعيها نحو الرقيّ:

وإنه مما لا يخفى أن الأمة في سعيها لتحقيق الرقيّ والنهوض مما اعتراها من تأخر عن ركب المعالي والتقدم، بحاجة إلى كل ساعد من سواعد أبنائها، وإلى كل مجهود نافع، كي يعلو البناء، ويتم الوصول إلى المجد ، ولذا فإنها في أمس الحاجة إلى أن يكون أبناؤها صالحين مستقيمين، إذ لا ينتظر

من الفاسد أن ينفع أمته بشيء ـ هذا إن سلمت من شروره ومفاسده .

والناظر المتفحص في أجيال أمتنا ، يلاحظ أن منهم شرائح عديدة قد أفسدها الأعداء ، فحرمت من الاستفادة منهم، بل لم تَسلم من جنايات كثير منهم ، ولا ريب أن هذا ينعكس سلبًا على نهضتها ورقيِّها .

ثم إن الأمة الناهضة ـ خاصة ـ بحاجة إلى أن يكون أبناؤها ذوي همم عالية، وتطلعات راقية ، وطموحات شريفة سامية، وإلا كانوا عاجزين لا ينتظر منهم الإسهام في بناء مجد ، أو صناعة حضارة مشرِّفة .

وإذا ما جئنا نستطلع طموحات كثير من النشء ، ونتعرف على آمالهم، وجدناها طموحات متدنية ، تنم عن نفوس انصرفت عن عظائم الأمور ومعاليها ، ومن نماذج هذه الطموحات ، وأوسعها انتشارًا ، أن يكون أحدهم لاعب كرة شهيرًا مثل اللاعب العالمي أو المحلي الفلاني ، أو فلان النجم الممثل ، ويُسأل الناشئة عن مثلهم الأعلى؛ فلا يخطر على بال كثير منهم أن يكونوا مثل العالم أو المخترع الفلاني .

وإذا تذكرنا أن العلماء والمخترعين ، وأن الحديث عنهم وعن اختراعاتهم وإنجازاتهم العلمية الفائقة ، لا ينال من الاهتمام في وسائل ثقافة الطفل معشار ما يناله الحديث عمّن يُدعَوْن «النجوم والكواكب» أي الممثلين واللاعبين والراقصات ، ومن على شاكلتهم؛ أدركنا لماذا تدنت طموحات أبنائنا وبناتنا ـ على نحو ما أشرت .

إن الأمة إنما تنهض بأسباب النهوض الحقيقية، والتي منها العلم وتنشئة الأجيال في رحابه، وتربيتهم على سبر أغواره، وحفزهم على التطلع لمعالي الأمور ، ولا يمكن أن تنهض باللعب ، ولا بالرقص ، أو الخلاعة والمجون،

وربط الأجيال بها ، وبذويها ، وصدق أديب اللغة العربية "المنفلوطيّ" حين قال: «والله لا يَبلغ العدوُّ منا بِخَيْله ورجله ، وأساطيله وقنابله ، ولا تبلغ السماء منا بصواعقها ورجومها ، ولا الأرض بزلازلها وبراكينها ، ما يبلغ منا المرقص ببغاياه» (١).

ثالثًا : تأخير وصول الأمة إلى الريادة، وإطالة أمد تبعيتها لغيرها :

والأمة الإسلامية أمة ذات خصائص متميزة، تنفرد بها عما سواها من الأمم، ومن تلك الخصائص أنها خلقت لترشد البشرية وتعلمها ، فتُخْرج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا وظلمتها إلى سعة الإسلام ونوره، وصدق الله إذ يقول : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، فهي أفضل الأمم ، ومكانتها بينهم مكانة الأستاذية والقيادة .

والواقع أن هذه المكانة لم تكن محاباة من الله أو مجاملة، تنالها الأمة على أي وضع ولكنها مرهونة بقيامها بواجباتها، والأخذ بأسبابها ، فإذا فرطت ، لم يكن لها من هذه المكانة نصيب .

وإن أمتنا اليوم ـ كما لا يخفى ـ قد، سُلِبت منها الريادة، وانتُزِعت منها القيادة، وتبوّأها غيرها من الأمم، لتكون في مؤخرة الركب وذيل القافلة، جزاء تفريطها، وتنكبها الصراط السويّ؛ ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

(١) النظرات. مصطفى لطفي المنفلوطي . دراسة وتقديم د./ جبرائيل سليمان صبور ٢/ ٢٨٩. دار الآفاق بيروت . ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥٣]، ولذا فإن عليها أن تعمل لتتبوأ مكانتها اللائقة لها، وتستعين بالله ﷻ كي يمكن لها ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وإن مما لا شك فيه أن لتربية أبناء الأمة على مشاعر الثقة والاعتزاز بالنفس ، وأنهم ينتسبون إلى خير أمة أخرجت للناس ، ونحو هذه المشاعر والحقائق ، دورًا كبيرًا في أن يأخذوا بيد أمتهم إلى مكانة القيادة والأستاذية والريادة، أما إذا افتقدوا تلك الثقة وحلت بهم مشاعر النقص والدونية، فأغلب الظن أن هذا يؤخر تَبَوُّؤَ الأمة مكانتها المشار إليها ، ويجعلهم يدورون في فلك التبعية لمن يرون أنفسهم دونه ، ولمن يشعرون نحوه بأنه الأفضل أو الأقوى والغالب ، وهذا ما رزئ به كثير من النشء المسلم في عصرنا الحاضر ، حيث أريد لهم أن يتربوا على التعلق بالغرب ، والنظر إلى حضارته نظرة المغلوب الخاضع إلى الغالب المسيطر، وخُطِّط لهذا بعناية ـ كما سبق أن أشرت ـ فصاروا يحسون بالنقص ومن ثم راحوا يقلدون الغرب ويتشبهون به في كل شيء ، فأصبحت بهم أمتهم في مقام التابع المقود ، الذي تكون رتبته حتمًا التأخير ، فكان هذا من أخطر آثار الغزو الفكري على الأمة .

وقد قرر ابن خلدون ـ رحمه الله ـ أن المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في أشعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده [(١)].

ومن هنا تبرز خطورة تسلل مشاعر النقص والدونية إلى أطفالنا ، حيث تعمل مثل هذه المشاعر على تكريس التبعية للغرب المتقدم علينا ماديًا، والنظر إلى قدرات الأمة وإمكاناتها بتحقير وتهوين، ولا ريب أن لهذا أثرًا

---

(١) يراجع المقدمة ص ١٠١ ، ١٠٢.

سيئًا على الأمة الإسلامية يعرقل وصولها إلى مكان الصدارة وأستاذية العالم ، والله المعافي .

*****

المبحث الثاني

آثار على الدعوة الإسلامية

مفهوم الدعوة الإسلامية :

يقال : دعا فلانًا : صاح به وناداه ، ورغب إليه وابتهل ، ودعا الله : رجا منه الخير ، ودعاه إلى الشيء : حثه على قصده ، يقال : دعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الدين ، وإلى المذهب : حثه على اعتقاده ، والداعية : الذي يدعو إلى دين أو فكرة . الهاء للمبالغة [(١)].

وأما مصطلح «الدعوة الإسلامية» فيطلق ويراد به معنيان :

الأول : الدعوة الإسلامية بمعنى الدين الإسلامي نفسه ، والرسالة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ ، وهذا المعنى نجده واضحًا في تعريفات بعض العلماء للدعوة ، مثل تعريف الشيخ محمد الصواف، إذ يقول : «الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض ، وهي هداية الخالق إلى المخلوق ، وهي دين الله القويم ، وطريقه المستقيم ، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران:١٩] ، ثم اختارها لعباده وفرضها عليهم ، ولم يرض بغيرها بديلاً عنها : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] [(٢)] .

---

(١) المعجم الوسيط ١/٢٩٦ .

(٢) [آل عمران:٨٥] ، من أساليب الدعوة إلى الله تعالى ، الدعوة الفردية ، د./ السيد محمد نوح، ص٦ جامعة الإمارات العربية المتحدة . ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١ م نقلاً عن : من القرآن وإلى القرآن للشيخ محمد الصواف ص ٢٢.

الثاني : الدعوة الإسلامية : بمعنى الدعوة إلى الإسلام ، أي القيام بتبليغه ونشره ، وتعريف الناس به ، وهذا المعنى هو الأكثر شيوعًا في تعريفات من عرفوا الدعوة ، مثل تعريف أستاذنا الدكتور عمارة نجيب، إذ يقول: «والدعوة الإسلامية مصطلح يقصد به بيان الحق وإبلاغه بهدف إشراك الناس في خير الإسلام وهداه» [(١)]، وهو ما أعنيه هنا بالدرجة الأولى .

هذا ، وقد كان للغزو الفكري للطفل المسلم آثار سلبية على الدعوة الإسلامية ، وانعكاسات سيئة على مسيرتها وفعاليتها .

- **وكان من أبرز هذه الآثار وجود عوائق وعقبات في طريق الدعوة،** وقد تمثلت هذه العوائق في مظاهر عديدة، هي الأخرى من آثار الغزو الفكري ، ومنها:

- **اهتزاز ثقة النشء في علماء الدين، وقلة احترامهم للمشتغلين بالدعوة إلى الله؛** حيث صار كثير منهم لا يولون العلماء والقائمين بالدعوة الإسلامية الاحترام المطلوب الذي يليق بهم ، وذلك في ظل الحملات الغاشمة الخبيثة ، المنظَّمة ، عبر وسائل الثقافة، وخاصة وسائل الإعلام ، التي استهدف كثير منها تشويه صورة الدعاة إلى الله ، بل لا يكون من قبيل المبالغة القول بأن ما يناله لاعب الكرة أو الممثل ، أو المغني وأضرابهم ، رجالاً كانوا أم نساء ، من الاحترام والتقدير في نفوس كثير من النشء أضحى يفوق ما يناله العلماء والدعاة بأضعاف مضاعفة .

ولا ريب أن زعزعة ثقة النشء في علماء الدين والدعاة إلى الله عامة،

---

(١) فقه الدعوة والإعلام ، د./ عمارة نجيب ص ١٩.

وتشويه صورتهم في أذهانهم، على نحو ما أشرت ، يهيئ الفرصة لانصراف النشء عن الدعاة ونفورهم منهم ، ويضعف من الاستجابة لهم ، وقبول توجيهاتهم، ونصحهم.

وهذا فيما أرى ، يعد من العقبات التي لا يستهان بها ، إذ إن نجاح الدعوة ـ أي دعوة ـ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بثقة المدعوين في الداعين، ونظرتهم إليهم ، فبقدر ما تتوفر الثقة في الداعي من جانب المدعو ، وبقدر ما يحوز الداعي من احترام وتقدير في نفس المدعو ، يكون نجاح الدعوة، وقبولها، والعكس صحيح .

ولذلك رأينا رسول الله ﷺ في صدر الدعوة، حينما دعا الناس وجمعهم في إحدى المرات، استهل حديثه إليهم بأن ذكرهم بثقتهم فيه ﷺ، واستثار ما في نفوسهم من رصيد الاحترام له عليه الصلاة والسلام ، بسبب ما علموه عنه من حسن النية ، وحميد السلوك ، ليكون هذا أدعى إلى الإقبال عليه ، وقبول ما يدعوهم إليه .

عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] ـ ورهطك منهم المخلصين ـ [١]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: «**يا صباحاه**» [٢] فقالوا : مَن هذا ؟ فاجتمعوا إليه فقال : «**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مُصدِّقيّ ؟**» قالوا : ما جربنا عليك كذبًا، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، قال أبو

---

(١) **ورهطك منهم المخلصين** : تفسير لقوله عشيرتك ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١ / ٥٢ هامش .

(٢) كلمة يقولها المستغيث ، وأصلها إذا صاحوا للغارة ، لأنهم كانوا أكثر ما يغيرون في الصباح وكأن القائل : يا صباحاه يقول : قد غشينا الصباح فتأهبوا للعدو . السابق .

لهب: تبًّا لك [١] أما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام ، فنزلت : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٢].

والناظر في عمل المبشرين في العالم الإسلامي يجدهم حريصين على مد جسور الثقة بينهم وبين من يقومون بدعوتهم، ويحرصون على أن تكون صورتهم خلابة جذابة ، حتى يكون لهم في نفوس الناس ـ خاصة النشء ـ قدر كبير من الاحترام والتقدير، فيعقب هذا قبول ما يدعون إليه ، وإقبال من الناس عليهم ، ومن ثم تأثّرٌ به .

- **وهناك صورة أخرى لهذه العقبات في طريق الدعوة الإسلامية ، من جراء الغزو الفكري في وسائل ثقافة الطفل المسلم ،** تتمثل في أولئك النشء الذين شوه الغزو الفكري ثقافتهم ، وسمم أفكارهم، فشبوا ممالئين للفكر المعادي ودعاته ، وصاروا أداة لنشره والتبشير به في المجتمع المسلم ، إذ أغلب الظن أن هؤلاء في مستقبل حياتهم لن يستطيعوا أن يكونوا محايدين في موقفهم من الدعوة الإسلامية ، وإنما سيكونون ، بشكل أو بآخر ، في هذه الجبهة أو تلك من الجبهات المعادية للدعوة ، والتي تحاول أن تعرقل مسيرتها وتوقف انطلاقها ، وتزداد خطورة هؤلاء على الدعوة ، خاصة إذا كان أحدهم ممن يمكن أن يصير في موقع قياديّ ، سياسيًّا كان أم توجيهيًّا وفكريًّا .

---

(١) أي : ألزمك الله هلاكًا وخسرانًا ، السابق .

(٢) رواه البخاري في ك التفسير سورة تبت يدا أبي لهب وتب جـ ٦ ص٩٤، ومسلم ، ك الإيمان ، ب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جـ٣ ص٨٢ رقم ٢٠٨.

وبالإضافة إلى هذا، فإن وقوع أولئك النشء في براثن الغزو الفكري يعد خسارة للدعوة ، حيث إن كل طفل من هؤلاء يعد بمثابة لبنة فُكَّت من صرح الإسلام ، ووُضعت في بناء الجاهلية ، أو على الأقل مالت عن الإسلام ، وصارت أقرب إلى الجاهلية ، وفي هذا خسارة للدعوة وأنصارها، وكسب للجاهلية وأعوانها ، مع أنه كان ينبغي أن يحدث العكس، وأن يُفَك كل يوم من بناء الجاهلية من اللبنات ، ما يضاف إلى صرح الإسلام، فيزداد بها تماسكه ، ويكثر بها أنصار الدعوة إلى الله .

- **ثم إنه كان من الآثار أيضًا:** انصراف النشء عن الدعوة إلى الإسلام، وزهدهم في الاشتغال بها ، حيث إن أجهزة الغزو الفكري ووسائله حرصت على الغض من شأن هذه المهمة السامية، والرسالة العظيمة ، في نفوس النشء بكثير من الطرق ، حتى صار الكثير منهم غير مستعد لأن يقوم بها أو يكون من المنتسبين إليها، بينما نجد استعدادًا فائقًا وتطلعًا كبيرًا لدى بعضهم لأن يكون من أهل الفن أو الكرة أو نحوهما، والدعوة في حاجة لكثرة مَن يقومون بها، وزيادة عدد من يشاركون في حمل أعبائها، ويعينون على ذلك، وخاصة في عصرنا الحاضر الذي كثرت فيه أجهزة الإضلال، ووسائل الصد عن سبيل الله، وكثر عدد المنتسبين إليها الداعين إلى أبواب جهنم من شياطين الإنس والجن، والله المستعان.

*****

الخاتمة

إن موضوع الغزو الفكري الموجه للطفل المسلم وما يتعلق بـه؛ موضـوع طويـل، متعـدد الجوانـب، متشـعب المسـالك ، ولم يكـن قصـدي في هـذه الدراسة أن أستقصيَ ذلك الموضوع المتشعب، ولا أن أحصيَ كـلَّ جوانبِـه، ولكني قصدت تسـليط الأضـواء علـى جـانبين اثـنين منـه، وهمـا مظـاهره وآثاره، آمِلا في أن تتوجه الأنظار إليه، وتتضافر الجهود وتتـوالى الدراسـات حول بقية جوانبه وتفصيلاته وجزئياته، إذ هو بمثل هذه الدراسـات خليـق، والأمة كذلك لمثلها أحوج، لا سيما في عصر تداعت عليها الأمـم فيـه كمـا تتداعى الأكلة إلى قصعتها، وأرجو أن أكون قد أسـهمت في تجليـة ضـروب الموضوع وساعدت في فـتح البـاب لتناولـه بمزيـد مـن الدراسـات الموسـعة والعميقة.

ويبقى بعد ذلك جانب ثالث وهو لا يقل أهمية عما عداه مـن الجوانـب الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع الخطير، ألا وهو كيفيـة مواجهتـه والتصـدي له، ودَرْء أخطـاره، والحقيقـة أنـه جانـب مهـم، وخليـق بـأن تشـارك فيـه، وتتصدى لبحثه فرق عمـل متناسـقة متكاملـة، تضـم النخـب الممتـازة مـن مفكـري الأمـة وعلمائهـا وقادتهـا المخلصـين، مـن مختلـف التخصصـات والمواقع والمستويات.

ولقد أسْهَمْتُ بجهد متواضع حول موضوع مواجهة هـذا الغـزو المـدمر، وقدمت تصوري راجيًا أن يكون فيه ما يَصْلح في سدّ هذه الثغـرة الخطـيرة، ودرء ذلك الخطر الماحق، وأتبعته بحديث عن بعض العقبـات الـتي تعـترض سبيل مواجهة فعالة لهذا الغزو، مع إشارة إلى بعض الخطوات العمليـة الـتي تحققت بفضل الله تعالى، فكانت بمثابـة مبشـرات علـى طريـق المواجهـة، في

كتاب آخر بعنوان «الغزو الفكري .. التحدي والمواجهة» [1]، فأحيل على ما كتبته هناك.

وفي الختام أقترح هذه التوصيات، سائلاً الله تعالى الإخلاص والسداد:

١ ـ على المسلمين أن يهبوا جميعًا لمواجهة الغزو الفكري، ودرء أخطاره حتى نبرأ من بلائه، وأن تكون مواجهة مبنية على أسس صالحة، وشاملة وجماعية، تشارك فيها جميع الفئات والهيئات، بدءًا بالأسرة المسلمة، ومرورًا بالحكومات المسلمة، والدعوة الإسلامية، وانتهاءً بكل فرد من أفراد المجتمع، ونحن متى قمنا بواجبنا بهذا الخصوص، فسوف يتلاشى ضرر الغزو الفكري، ثم ننتقل إلى موقف الهجوم، ونشر الإسلام وإشاعة مبادئه في العالم ليشيع الفكرُ الإسلامي، وتكون كلمة الله هي العليا.

٢ ـ على الأسرة المسلمة أن تحرص على تربية أولادها تربية إسلامية شاملة، فإن هذا من أكبر العوامل في تحصينهم ضد الغزو الفكري طَوال أعمارهم، وأن تحرص كذلك على حمايتهم من وسائل الغزو الفكريّ.

٣ ـ على الحكومات الإسلامية أن تسارع إلى تطبيق شرع الله على الوجه الذي يرضي الله ورسوله، وأن تعمل تبعًا لهذا على أسلمة الثقافة والتربية والتعليم والإعلام على وجه الخصوص.

٤ ـ يجب ضبط المدارس والجامعات الأجنبية، وكل وسيلة تعليمية أو إعلامية، وعدم تركها تروج للفكر المضاد لثقافتنا وثوابتنا، والتصدي للمؤسسات التي ثبت أنها من ركائز الغزو الفكري، وتنظيف المجتمعات الإسلامية منها.

---

(١) نشرته دار الكلمة.

٥ ـ يجب العناية بأمر مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، لما ثبت من أن لها دورًا قويًّا في تنشئة الأجيال على حفظ كتاب الله تعالى، وتعليمهم اللغة العربية.

٦ ـ ينبغي القيام بتوعية كبيرة ومستمرة للمسلمين بوسائط الغزو الفكري وروافده، وما تحمله من سموم، خاصة ما كان منها موجهًا للطفل المسلم من مجلات وكتب وقصص ونحوها، وكشف هذه الروافد ومن يقف وراءها ليكونوا على بينة من أمرها، ويأخذوا حذرهم منها.

٧ ـ عقد مؤتمرات إسلامية عالمية بين الحين والآخر للنظر في مسيرة الغزو الفكري المعادي، وخاصة ما يتعلق بمواجهته، ووضع الخطط والبرامج المناسبة بهذا الخصوص وتدارسها.

٨ ـ على جماهير المسلمين في المجتمعات الإسلامية مقاطعة الموجود من ركائز الغزو الفكري ووسائله، خاصة في مجالي الإعلام والتعليم، والسعي لإيجاد محاضن إسلامية لتربية النشء وتعليمهم وَفق ديننا وثقافتنا الإسلامية.

٩ ـ على المسلمين أن ينبذوا التفرق ـ لا سيما العلماء والدعاة ـ ويتعاونوا صفًّا واحدًا على إزالة العقبات من طريق مواجهة الغزو الفكري، واثقين بنصر الله ﷻ.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

*****

فهرس المصادر المراجع

١ ـ القرآن الكريم . سبحان من أنزله .

٢ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د./ محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة بيروت ط الرابعة ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠م .

٣ ـ الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ، د./ أحمد بدر . دار القلم ، الكويت . ط الأولى ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤م .

٤ ـ أثر وسائل الإعلام على الطفل ، أحمد محمد الزبادي ، إبراهيم ياسين الخطيب ، محمد عبد الله عودة . الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ـ الأردن .

٥ ـ أثر وسائل الإعلام على الطفل ، د./ صالح دياب هندي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ـ الأردن . ط الأولى ١٩٩٠م .

٦ ـ الأحداث المنحرفون (عوامل الانحراف ـ المسؤولية الجنائية ـ التدابير) دراسة مقارنة . د/ علي محمد جعفر . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت . ط الأولى ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م .

٧ ـ أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨م .

٨ ـ الأدب المفرد ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ، راجعه واعتنى بتصحيحه محمد هشام البرهاني ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف ، الإمارات العربية المتحدة ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٩ ـ أسباب النزول ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري

٤٦٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ط الأولى ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م .

١٠ ـ الإسلام يتحدى ، مدخل علمي للإيمان ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، مكتبة القرآن ، ط السادسة ، ١٩٧٦م .

١١ ـ الإصلاح ، مجلة تصدر في دولة الإمارات العربية المتحدة ، العدد ٢١٥ ، السنة السادسة عشرة ، ٨ جمادى الآخر ١٤١٣ هـ ، ٣ ـ ٩ ديسمبر ١٩٩٢م .

١٢ ـ أصول الفكر التربوي في الإسلام ، د./ عباس محجوب ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م .

١٣ ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ، تصنيف الإمام الحافظ العلامة أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني ، تحقيق د./عبد المعطي أمين قلعجي ، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ـ باكستان ـ ط الثانية ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

١٤ ـ الإعلام العربي المعاصر وأثره في ضياع الجيل وهزيمة الأمة ، يوسف العظم ، بحث منشور ضمن بحوث كتاب الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ، النظرية والتطبيق . إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض . ط الثانية ١٤٠٥ هـ .

١٥ ـ الإعلام في ديار المسلمين ، بداية ورسالة ، د./ يوسف محيي الدين أبو هلالة ، دار العاصمة ، الرياض . النشرة الأولى ١٤٠٨ هـ .

١٦ ـ الإعلام والبيت المسلم ، فهمي قطب الدين النجار ، شركة الشعاع للنشر ، الكويت . ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

١٧ ـ الإعلام والتيارات الفكرية المعاصرة ، سعيد عبد الله حارب ، دار الأمة للنشر والتوزيع ، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة .

١٨ ـ الأم ، تأليف الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ) أشرف على تصحيحه وطبعه محمد زهري النجار ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

١٩ ـ الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية معهم ، د./ محمد سلامة محمد غباري ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية . ط الأولى ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦ م .

٢٠ ـ أين محاضن الجيل المسلم ، يوسف العظم ، جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي ، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة .

٢١ ـ البث المباشر ، حقائق وأرقام ، د/ ناصر بن سليمان العمر ، دار الوطن للنشر ، الرياض . ط الثانية ١٤١٢هـ .

٢٢ ـ بصمات على ولدى . طيبة اليحي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط الثالثة ١٤١٢ هـ .

٢٣ ـ تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، منشورات دار الحكمة ، دمشق .

٢٤ ـ تاريخ مصر والإسلام ، للسنة الخامسة الابتدائية ، تأليف محمد عبد الرحيم مصطفى ، إبراهيم نمير سيف الدين ، وزارة المعارف العمومية ، مصر . ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م .

٢٥ ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، د/ مصطفى خالدي ، د/ عمر فروخ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١م .

٢٦ ـ التربية القومية الاشتراكية ، للصف الأول الإعدادي ، تأليف حسن الحموي وآخرين، وزارة التربية ، الجمهورية العربية السورية ١٤١٢هـ ، ١٩٩١

ـ ١٩٩٢م .

٢٧ ـ التربية القومية الاشتراكية ، للصف الأول الإعدادي ، تأليف حسن الحموي وآخرين ، وزارة التربية ، الجمهورية العربية السورية ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣ ـ ١٩٩٤م .

٢٨ ـ التربية القومية الاشتراكية ، للصف الأول الإعدادي ، تأليف حسن الحموي وآخرين ، وزارة التربية ، الجمهورية العربية السورية ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣م .

٢٩ ـ التضليل الاشتراكي ، د./ صلاح الدين المنجد ، ط الثالثة .

٣٠ ـ التطوير بين الحقيقة والتضليل ، د./ جمال عبد الهادي ، أ/علي لبن . الوفاء للطباعة والنشر . المنصورة ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٣١ ـ تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤هـ ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٣٢ ـ التليفزيون السم اللذيذ ، عبد السلام البسيوني . مكتبة الأقصى الإسلامية ، الدوحة ـ قطر ـ ط الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

٣٣ ـ تهذيب مدارج السالكين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، هذبه عبد المنعم صالح العلي العِزّي ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف ، الإمارات العربية المتحدة .

٣٤ ـ الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، محمد فؤاد عبد الباقي ، إبراهيم عطوة عوض ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

٣٦ ـ الحجاب ، أبو الأعلى المودودي ، دار التراث العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

٣٧ ـ الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام ، منير محمد نجيب ، مكتبة المنار ، الزرقاء ـ الأردن ط الثانية ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

٣٨ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، د/ يوسف القرضاوي ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة . ط الرابعة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م .

٣٩ ـ الخادمات وأثرهن على المجتمع ، د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار الوطن للنشر ، الرياض . ط الأولى ١٩٩٣م .

٤٠ ـ الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٤١ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي لفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي المتوفي سنة ١٢٧٠هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤٢ـ سماحة الإسلام ، د./ أحمد محمد الحوفي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة . ط الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

٤٣ ـ سمير ، مجلة أسبوعية للشباب والبنات للجميع من سن ٨ إلى ١٨ ، تصدر عن مؤسسة دار الهلال ، القاهرة . (أعداد متفرقة منها) .

٤٤ ـ سندريلا ، الحكايات المحبوبة ، سلسلة ليدي بيرد للمطالعة السهلة ، الناشرون مكتبة لبنان ، بيروت وآخرون . ط الأولى .

٤٥ ـ سنن أبي داود ، الإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، ضبط أحاديثه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤٦ ـ سنن ابن ماجه ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٤٧ ـ سنن الدارمي للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . الأولى ١٤٠٧هـ ، ١٩٧٨م .

٤٨ ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي . دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٩ ـ سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤م . تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين . مؤسسة الرسالة ، بيروت . ط الثانية ١٣٧٥هـ ، ١٩٥٥م .

٥٠ ـ الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت .ط الثالثة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م .

٥١ ـ الصحافة والأقلام المسمومة ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة . ط الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٥٢ ـ الصحة النفسية والعلاج النفسي ، د./ حامد عبد السلام زهران ، عالم الكتب ،القاهرة . ط الثانية ١٩٧٨م .

٥٣ ـ صحيح البخاري ، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم

ابن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . ط الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٥٤ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت . ط الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

٥٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٦ ـ صور من حقوق الطفل . للمؤلف . (غير منشور).

٥٧ ـ طفلك الصغير هل هو مشكلة . محمد كامل عبد الصمد . دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع . المنصورة . ط الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

٥٨ ـ الطفل تنشئته وحاجاته . د./ هدى محمد قناوي (بدون دار وتاريخ نشر) .

٥٩ ـ عداء اليهود للحركة الإسلامية . إعداد زياد محمود علي . دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمان ـ الأردن . ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٦٠ ـ العقائد الإسلامية . السيد سابق . الناشر دار الكتب العربي . بيروت .

٦١ ـ علاقة الطفل المصري بوسائل الاتصال . د./ عاطف عدلي العبد . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٨م .

٦٢ ـ العلم يدعو للإيمان أ. كريسي موريسون . ترجمة محمود صالح الفلكي. ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ط الخامسة ١٩٦٥م .

٦٣ ـ عمل اليوم والليلة . سلوك النبي ﷺ مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد . للحافظ أبي بكر أحمد بن إسحاق الدينوري الشافعي المعروف بابن السني المتوفي ٣٦٤ هـ . حققه أبو محمد عبد الرحمن كوثر البرني دار القبلة للثقافة الإسلامية . جدة .

٦٤ ـ غادة رشيد . للصف الثالث الإعدادي . علي الجارم . إعداد محمد عبد الحميد غراب . مراجعة محمود الدوة . وزارة التربية والتعليم . مصر ١٩٨٩ـ ١٩٩٠م .

٦٥ ـ غريزة أم تقدير إلهي . شوقي أبو خليل . دار الفكر . دمشق . ط الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

٦٦ ـ الغزو الفكري أهدافه ووسائله . د./ عبد الصبور مرزوق . رابطة العالم الإسلامي . مكة المكرمة .

٦٧ ـ الغزو الفكري .. التحدي والمواجهة . للمؤلف (غير منشور) .

٦٨ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني كلاهما تأليف أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي . دار إحياء التراث العربي . القاهرة . ط الأولى .

٦٩ ـ فتنة في الأرض وفساد كبير . فهمي هويدي . مقال بجريدة الخليج الإماراتية . العدد ٥٠٧٨ الثلاثاء ١٥ شوال ١٤١٣ هـ أبريل ١٩٩٣م .(بالإضافة لأعداد أخرى من الجريدة المذكورة).

٧٠ ـ فقه الدعوة والإعلام . د./ عمارة نجيب ، ملتزم التوزيع مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ١٩٨٦م .

٧١ ـ في ظلال القرآن . بقلم / سيد قطب . دار الشروق . بيروت . ط الثانية عشرة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

٧٢ ـ القاموس المحيط . تأليف العلامة / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م .

٧٣ ـ القواعد للصف الثالث الإعدادي تأليف عبد الرحمن الباشا . تعديل

حسين بطيخة . أميرة الدرة . وزارة التربية . الجمهورية العربية السورية ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ م .

٧٤ ـ الكبائر . تأليف الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . دار الفكر العربي . بيروت . ط الأولى ١٩٨٩ م.

٧٥ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري . دار المعرفة بيروت .

٧٦ ـ المؤامرة على الأخلاق في كتب اللغات الأجنبية . أ/ عبد المنعم أبو الخير ، وآخرون . دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع . المنصورة

٧٧ ـ المؤامرة على مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية . محمد عبد الرحمن طبل ، كامل حمدي عبد الكريم ، نبيل عزام . دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع . المنصورة .

٧٨ ـ مأساتنا في أفريقيا ، الحصار القاسي وثائق من تاريخنا المعاصر . عماد الدين خليل . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط الثانية ١٤٠١ هـ ١٩٨١م .

٧٩ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن علي الحسني الندوى . الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية . الكويت .

٨٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي . بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر . الناشر دار الكتاب العربي . بيروت .

٨١ ـ مخاوف الأطفال . بوولمان . ترجمة د/ محمد عبد الظاهر الطيب . مكتبة الأنجلو المصرية . ط الثانية ١٩٩١م .

٨٢ ـ مختار الصحاح . الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .

مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٨٨م .

٨٣ ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام . محمد محمود الصواف . دار الاعتصام . القاهرة .

٨٤ ـ المدخل الفقهي وتاريخ التشريع الإسلامي ، تأليف د/ عبد الرحمن الصابوني ، د/ خليفة بابكر ، د/ محمود محمد طنطاوي مكتبة وهبة . القاهرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٨٥ ـ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية . د/ عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة . بيروت ط السادسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٨٦ ـ مذكرات السلطان عبد الحميد . تقديم وترجمة د/ محمد حرب . دار القلم . دمشق .ط الثالثة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٨٧ ـ المرأة المتبرجة وأثرها السيئ على الأمة . عبد الله التليدي . دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . ط الثانية ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م .

٨٨ ـ المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي . عرض وتحليل لبعض الدراسات الميدانية د./ إبراهيم خليفة . الناشر مكتب التربية العربية لدول الخليج . الرياض ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

٨٩ ـ المستدرك على الصحيحين . للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي رحمهما الله . دار الكتاب العربي . بيروت .

٩٠ ـ المضمون في كتب الأطفال . أحمد نجيب ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي .

٩١ ـ مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة / محمد الغزالي . دار الكتب

الحديثة . القاهرة . ط الرابعة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م .

٩٢ ـ معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمئة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري . أنور الجندي . دار الاعتصام . توزيع دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع .

٩٣ ـ المعجم الأوسط للحافظ الطبراني ٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ تحقيق د./ محمود الطحان . مكتبة المعارف . الرياض . ط الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٩٤ ـ المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط الثالثة .

٩٥ ـ معركة التبشير والإسلام ، حركات التبشير والإسلام في آسيا وأفريقيا وأوربا د./ عبد الجليل شلبي . مؤسسة الخليج العربي . القاهرة . ط الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

٩٦ ـ معلمة الإسلام . أنور الجندي . المكتب الإسلامي . بيروت .

٩٧ ـ المفردات في غريب القرآن . تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .

٩٨ ـ مقدمة العلامة ابن خلدون . تحقيق حجر عاصي . منشورات دار ومكتبة الهلال . بيروت ١٩٩١م .

٩٩ ـ من أجل تحرير حقيقي للمرأة . محمد رشيد العويد . حواء للنشر والتوزيع . الكويت ط الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م .

١٠٠ ـ من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم واللغة والقانون . أنور الجندي. دار الاعتصام . القاهرة .

١٠١ ـ منهج علماء الدعوة في الكتابة للطفل المسلم في واقعنا المعاصر .

إسماعيل علي محمد علي . رسالة ماجستير مخطوطة بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١م .

١٠٢ـ الموسوعة العربية الميسرة ، بإشراف محمد شفيق غربال . دار إحياء التراث العربي . صورة طبق الأصل من طبعة ١٩٦٥م .

١٠٣ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض . ط الثانية ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م .

١٠٤ ـ الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس رضي الله عنهم صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي بيروت . ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .

١٠٥ ـ ميكي . مجلة أسبوعية تصدر عن دار الهلال . القاهرة (أعداد متفرقة منها) .

١٠٦ ـ نحو إعلام إسلامي .. إعلامنا إلى أين ؟؟ المستشار الدكتور/ علي جريشة . الناشر مكتبة وهبة . القاهرة . ط الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م .

١٠٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر . للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير . تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود الطناحي . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

١٠٨ ـ واقعنا المعاصر . محمد قطب . الناشر مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر . جدة . ط الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

*****

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الباب الثاني

*****

هذا الكتاب

الغزو الفكري سلاح خطير، يقوم على الحرب بالكلمة، والفكرة المعادية، والمعلومة المضللة، وهو سلاح موجود منذ قديم الزمن، استخدمه أعداء الإسلام في محاربة الدعوة الإسلامية، ولكنهم قد ركزوا عليه في الأحقاب الأخيرة أكثر مِن قبل، لا سيما بعد ما فشلت الأسلحة العسكرية، والمعارك الحربية في حسم الصراع لصالحهم.

ولقد خطط أعداء الإسلام لأن يجعلوا للطفل المسلم نصيبا موفورًا من حملات الغزو الفكري، فعملوا على الحيلولة بين الأجيال الناشئة وبين هدي دينها، وتفريغِها من ثقافته، وتجريدِها من عقيدته، وسلخِها من أخلاقه، ثم حشوِ عقولها بالفكر المعادي للإسلام، وسعوا لاستغلال وسائل ثقافة الطفل المسلم، في هذه الحرب الفكرية الشرسة، التي هي أَضر بضحاياها من الوباء المتفشي، والطاعون المستعر.

ويأتي هذا البحث تنبيها وتحذيرا من خطورة الغزو الفكري الذي يسيل من عروق تلك الوسائل الثقافية، لاسيما ما كان مسلَّطاً منها على الطفل المسلم، بالكشف عن مظاهره، وآثاره الضارة؛ كي تتيقظ الهمم، وتتحد الجهود لمواجهته وتوقِّي شرورِه، لأننا إذا رُزِقنا اليقظةَ والتنبه لهذا الخطر، فقد نجونا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتُلينا بتمام الغفلة، فذلك ذلّ الأبد، واللّه المعافي.

دار الكلمة للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

الغزو الفكري سلاح خطير، يقوم على الحرب بالكلمة، والفكرة المعادية، والمعلومة المضللة، وهو سلاح موجود منذ قديم الزمن، استخدمه أعداء الإسلام في محاربة الدعوة الإسلامية، ولكنهم قد ركزوا عليه في الأحقاب الأخيرة أكثر مِن قبل، لا سيما بعد ما فشلت الأسلحة العسكرية، والمعارك الحربية في حسم الصراع لصالحهم.

ولقد خطط أعداء الإسلام لأن يجعلوا لطفل المسلم نصيبا موفورًا من حملات الغزو الفكري، فعملوا على الحيلولة بين الأجيال الناشئة وبين هدي دينها، وتفريغِها من ثقافته، وتجريدِها من عقيدته، وسلخِها من أخلاقه، ثم حشوِ عقولها بالفكر المعادي للإسلام، وسعوا لاستغلال وسائل ثقافة الطفل المسلم، في هذه الحرب الفكرية الشرسة، التي هي أَضر بضحاياها من الوباء المتفشي، والطاعون المستعر.

ويأتي هذا البحث تنبيها وتحذيرا من خطورة الغزو الفكري الذي يسيل من عروق تلك الوسائل الثقافية، لاسيما ما كان مسلَّطاً منها على الطفل المسلم، بالكشف عن مظاهره، وآثاره الضارة؛ كي تتيقظ الهمم، وتتحد الجهود لمواجهته وتوقِّي شرورِه، لأننا إذا رُزِقنا اليقظةَ والتنبه لهذا الخطر، فقد نجونا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة، فذلك ذلّ الأبد، واللّه المعافي.

دار الكلمة للنشر والتوزيع